المجلد التاسع
العدد الثانى ٢٠٠٦

# علوم اللغة

٣٤

فى هذا العدد :

# علـوم اللغـة

## دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

## كتـاب دورى

المجلد التاسع | العدد الثانى | ٢٠٠٦





بسم الله الرحمن الرحيم

# علـوم اللغـة

## دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

### كتاب دورى

مج٩، ع٢ ٢٠٠٦



**قيمة الاشتراك السنوى :**

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

**سعر العدد :**

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

**أسعار خاصة للطلبة :**

**المراسلات :**

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

**دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع**

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

# المحتويات

"بسم الله الرحمن الرحيم "

# تقديـــــــــــم

يصدر بحمد الله وتوفيقه عدد جديد من سلسلة علوم اللغة بإشراف ا٠د٠ / سعيد حسن بحيرى ، أستاذ علوم اللغة ، ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب ، يضم عدة بحوث لغوية فى مجالات مختلفة بعضها فى علم اللغة الوصفى وتعلم اللغة ونشأة النحو وعلم اللغة الدلالى وعلم اللغة المقارن وعلم اللغة النصى ٠

ولعل القارئ الكريم يدرك محاولة أسرة التحرير أن تعمل على أن تصدر فى مواعيدها دون تأخير وأن تستمر فى دعمها البحث العلمى الجاد فى مصر والعالم العربى ٠ ومن ثم فإنها تكرر دعوتها إلى جميع الدارسين المهتمين بالبحث العلمى فى أرجاء العالم الراغبين فى نشر بحوثهم باللغة العربية بأن يرسلوا بحوثهم إلى المشرف على إصدار المجلة فقط مع الحرص على ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (٥٠) صفحة ٠

ويسعد أسرة تحرير المجلة أيما سعادة أن تهدى هذا العدد أيضا إلى أستاذنا العالم الفاضل /

## ا٠د٠ محمود فهمى حجازى

اعترافا بفضله وعونه الذي لا ينقطع لجميع تلاميذه بلا تمييز ٠ أطال الله فى عمره ومتعه بكل صحة وعافية ٠

**والله الموفق الهادى إلى سواء السبيل**

**أسرة التحريـــر**

# شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

# المدة الزمنية للوقف بالسكت فى قراءة حمزة

## ـ رحمه الله ـ ومن تابعه من القراء فى قراءة القرآن الكريم

د. يحيى بن على المباركى
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيـــــز

---

**المقدمة:**

**١. التعريف بالوقف بالسكت:**

عرف ابن الجزرى هذا الوقف بقوله: هو عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف من غير تنفس[1].

وعرفه بعضهم بقوله: السكت: لغة المنع... يقال سكت الرجل عن الكلام أى امتنع عنه.

واصطلاحاً: قطع الصوت على الكلمة القرآنية زمناً يسيراً من غير تنفس مقداره حركتان، وهو مقيد بالسماع والنقل كما قال الإمام ابن الجزرى فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية[2].

---

(١) ابن الجزرى. النشر فى القراءات العشر ١/٢٤٠، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان، وانظر: أسنى المعارج إلى معرفة صفات المخارج لعبد الرقيب بن حامد الشميرى ص: ٣٨، دار الروائع ـ تعز ـ اليمن سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) نصر عطية قابل، غاية المريد فى علم التجويد. ص: ٢٣٤ ط٣، دار الحرمين للطباعة ـ القاهرة، سنة ١٤١٣هـ.

وعرفه آخرون بقولهم: السكت: هو قطع الصوت على الساكن قبل الهمز زمناً دون زمن الوقف عادة من غير تنفس[٣].

وفرق بعضهم بين القطع والسكت[٤] حيث عرف القطع بقوله: معناه فى اللغة الإبانة والإزالة تقول قطعت الشجرة إذا أبنتها وأزلتها، وفى الاصطلاح: قطع القراءة رأساً (أى الانتهاء منها)، والقارىء به ـ أى بالقطع ـ كالمعرض عن القراءة والمنتقل منها إلى حالة أخرى غيرها؛ كالذى يقطع على حزب أو ورد أو فى ركعة ثم يركع وما إلى ذلك مما يؤذن بانتهاء القراءة والانتقال منها إلى حالة أخرى، ولا يكون إلا على رؤوس الآي فى نفسها مقاطع بخلاف الوقف فقد يكون على رؤوس الآي وعلى أثنائها... وإذا عاد القارىء إلى القراءة بعد أن قطعها فيستحب له الإتيان بالاستعاذة ثم بالبسملة إن كان العود من أول السورة وإن كان من أثنائها فله التخيير فى الإتيان بالبسملة بعد التعوذ أو عدم الإتيان بها.

وأما السكت: فهو فى اللغة المنع، وفى الاصطلاح قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف من غير تنفسٍ بنية العود إلى القراءة فى الحال[٥].

نستنتج مما سبق أن حرف الهمزة حرف بعيد المخرج، جلد صعب على اللافظ به، ويحدث نتيجة انغلاق الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين (المزمار) وذلك بانطباق الوترين الصوتيين انطباقاً تاماً، فلا

---

(٣) ابن غلبون، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم. التذكرة فى القراءات الثمان. تح. أيمن رشدى سويد ١/١٤٥، طـ ١ سنو ١٤١٢هـ.

(٤) محمد صادق قمحاوى. البرهان فى تجويد القرآن. دار التراث الإسلامى ـ طـ٣. سنة ١٤٠٥هـ. ص: ٧٤.

(٥) عبد الفتاح السيد العجمى، هداية القارىء إلى تجويد كلام البارىء. طـ١، سنة ١٤٠٢هـ. دار النصر للطباعة الإسلامية. شبرا ـ مصر. ص: ٤٠٩.

يسمح للنفس الصاعد بالمرور من الحنجرة، وهنا ينضغط النفس من الخلف فينقطع زمناً يتكون معه هذا الحرف، ثم ينفرج الوتر فيخرج فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً، ولهذا فإن حرف الهمزة يخرج من أقصى الحلق أو أسفله(٦)، ولصعوبة النطق بحرف الهمزة فقد تصرفت العرب فى النطق به تصرفاً لم يكن فى غيره من الحروف، فقد استعملوا فى الهمزة التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها، والوقف عليها مخففة زمناً حتى يسهل عليه التكلف فى تحقيقها(٧).

٢ ـ المواضع التى يوقف عليها بالسكت ومذاهب القراء فى ذلك: ـ

قال أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبرى(٨): وكان حمزة يسكت على كل ساكن بعده همزة فى كلمتين نحو قوله تعالى «فإن آمنوا» و«جديد * أفترى» و«عذاب أليم» ولام التعريف نحو قوله «الأرض» وفى كلمة واحدة فى «شىء» كيفما تصرفت فقط. زاد الأدمى طرد الباب نحو قوله «يسئل» و«ويسئم» و«القرآن» و«الظمآن»، والمد يجزىء عن السكت بخلاف عنه فى الجمع بينهما. وعلة الوقف على المعرفة إذا كان بعدها همزة فى نحو « الأولى والآخرة..» أن الهمزة حرف ثقيل بعيد المخرج، وحكمه فى هذه الأشياء الابتداء لأن لام المعرفة زائدة فوقف على لام المعرفة ـ كما يقول مكى بن أبى طالب فى كتابه الكشف ـ ليستفرغ القوة

(٦) يحيى المباركى، صوت الهمزة فى اللغة العربية بين القدماء والمحدثين. مجلة جامعة أم القرى. السنة التاسعة ع ١٢ ص: ١٢٩.

(٧) أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعلللها وحججها. تح. محى الدين رمضان. ج٢. ط٢. عام ١٤٠١هـ. ١/ ٧٢.

(٨) أبو المعشر عبد الكريم الطبرى، التلخيص فى القراءات الثمان. تح. محمد حسن عقيل موسى. ط١. ١٤١٢هـ. ص ١٦٩

فى النطق بالهمزة مبتدئاً، وليشعر أن الهمزة حقها الابتداء بها وما قبلها زائد داخل عليها فكأن لام المعرفة كلمة وما فيه الهمزة كلمة، وعلة من وقف على غيرها إذا أتى بعدها حرف الهمزة هى جلادة حرف الهمزة وصعوبة النطق به محققاً وليتمكن اللافظ من القوة والتكلف فى النطق بحرفه. وقال مكى بن أبى طالب القيسى فى كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها[٩]: كان خلف عن حمزة يقف على لام المعرفة إذا كان بعدها همزة وقفة خفيفة نحو «الأولى والآخرة» وشبهه حيث وقع ولم يفعل الباقون... وقرأ حمزة بوقفة خفيفة على الياء من «شيء» حيث وقع على أى حال كان الإعراب. يقف ثم يهمز. وقرأ الباقون بغير وقف غير أن ورشاً يمد الياء على ما ذكرنا عنه فى أبواب المد. وقال الضباع فى شرحه على الشاطبية[١٠]: روى خلف عن حمزة أنه كان يسكت على الساكن فى نحو عليكم أنفسكم، ذلكم إصرى وكذا شيء كيف جاء وشيئاً سكتة يسيرة من غير تنفس ليستريح فيتمكن من النطق بالهمز على حقه، وروى خلاد عنه ترك السكت فى ذلك وهذا مذهب أبى الفتح فارس عنهما. وروى أبو الحسن بن غلبون عن حمزة من روايتيه السكت على لام التعريف وشيء كيف وقع دون عداهما وكلا المذهبين صحيح معمول به عن حمزة ونظمهما العلامة المتولى فقال:

**روى أبو الفتح كل السكت عن خلف وعند خلاد ترك السكت قد أثرا**

**وطاهر نجل غلبون روى لهما بالسكت فى أل وشيء خذه مبتدرا**

---

(٩) الكشف. ١/٢٣٣ وما بعدها.

(١٠) على محمد الضباع، شرح الشاطبية (إرشاد المريد إلى مقصود القصيد). مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده. ص: ٦٨ وما بعدها. وانظر غيث النفع فى القراءات السبع للضباع أيضاً. المكتبة الثقافية، ط١ سنة ١٤١٢هـ. ص٤٨ ومابعدها.

ويتحصل منهما لخلف وجهان أحدهما: السكت على الجميع. وثانيهما: ترك السكت على المفصول. ولخلاد وجهان أيضاً أحدهما ترك السكت على الجميع، والثانى السكت على أل وشيئاً كيف وقع فقط، ونظم ذلك بعضهم فقال:

وشيء وأل بالسكت عن خلف بلا    خلاد وفى المفصول خلف تقبلا

وخلادهم بالخلف فى أل وشيئيه    ولا سكت فى المفصول عن فحصلا

ومن أخذ بالسكت عن أل وشيء وصلاً يجوز له فى الوقف على نحو (الآخرة والأرض) النقل والسكت، ومن أخذ بتركه فيهما وصلا فليس له في ذلك وقفاً غير النقل، وإلى ذلك أشار صاحب إتحاف البرية بقول:

وفي أل بنقل قف وسكت لساكت    عليها وعند التاركين له انقلا

وأما الساكن المفصول فمن أخذ فيه بالسكت وصلاً له فيه وقفاً النقل والسكت، ومن أخذ فيه بتركه وصلاً له فيه وقفاً النقل والتحقيق، فيكون فيه لخلف ثلاثة أوجه: النقل والسكت وتركهما، ولخلاد وجهان: النقل وتركه بلا سكت، وإلى ذلك أشار العلامة المتولى بقوله:

وفي ذي انفصال فانقل اسكت لساكت    وعند غيره نقل وتحقيق اعملا

وقال عبد الفتاح القاضى فى الوافى[11]: روى خلف عن حمزة عند الساكن فى حال وصل الكلمة التى آخرها ذلك الساكن بالكلمة التى أولها الهمز سكتا قليلا على هذا الساكن بأن يسكت عليه قبل النطق بالهمزة سكتة قصيرة بدون تنفس سواء وقف على الكلمة التى أولها الهمز أو وصلها بما بعدها، فليس المراد بالوصل وصل الكلمة التى أولها الهمز، كما

---

(١١) عبد الفتاح القاضى، الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع. طـ٤. سنة ١٤١٢هـ. مكتبة السوادى للتوزيع. ص ١٠٥ وما بعدها.

تقدم سواء أكان ذا الساكن منفصلاً عن الكلمة التى فيها الهمز رسماً نحو (من آمن، عذاب أليم) ... أم متصلاً بها رسمًا مثل (الأولى، الآخرة، الإنسان) ... وكذلك روى خلف عن حمزة السكت على ما لم ينقل فيه ورش، وهو لفظ (شيء) سواء كان مرفوعاً أم مجروراً، ولفظ (شيئاً) المنصوب فى حالا وصل هذين اللفظين بما بعدهما، وهذا مذهب أبى الفتح فارس عن خلف، وعلى هذا المذهب لا سكت لخلاد فى موضع مما ذكر، وقوله: وبعضهم... إلخ معناه أن بعض أهل الأداء وهو طاهر بن غلبون قرأ عن حمزة من روايتى خلف وخلاد عنه بالسكت على (لام التعريف وعلى شيء) المرفوع والمجرود (وشيئاً) المنصوب عند وصل شيء وشيئاً بما بعدهما، لم يزد ذلك على ذلك، فلا يسكت على الساكن المفصول نحو: من آمن، عذاب أليم... لخلف ولا لخلاد ويؤخذ من هذا أن خلفاً يسكت على (أل وشيء وشيئاً) على المذهبين، ويسكت على المفصول على المذهب الأول فقط، ولا سكت له فيه على المذهب الثانى، فحينئذ يكون له فى الساكن المفصول وجها: السكت على المذهب الأول وتركه على المذهب الثانى، ويكون له فى أل وشيء وشيئاً السكت على المذهبين.

وقال عبد الفتاح السيد العجمى المرصفى[١٢]: ويكون الوقف بالسكت فى وسط الكلمة، وفى آخرها، وعند الوصل بين السورتين لمن له ذلك، وليس منهم حفص عاصم، وأكثره وقوعاً على الساكن قبل الهمز سواء كان هذا الساكن صحيحاً أو شبه الصحيح أو كان حرف مد.

فالساكن الصحيح نحو «وبالآخرة هم يوقنون» و«الأرض وضعها

(١٢) هداية القارىء إلى تجويد كلام البارىء، ص ٤٠٩ وما بعدها.

للأنام» وهو المعروف بسكت «أل»، ونحو «إنت أن إلا نذير» وهو المعروف بسكت المفصول، والسكت على كلمة «شيء» مطلقاً سواء كانت منصوبة كقوله تعالى «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» أم مجرورة كقوله تعالى «إنا كل شيء خلقناه بقدر» أم مرفوعة كقوله سبحانه وتعالى «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»، ونحو القرآن فى نحو قوله تعالى «الرحمن علم القرآن» وقوله سبحانه وتعالى «واسئلوا الله من فضله» وهو المعروف بسكت الموصول.

والساكن شبه الصحيح ما كان الساكن فيه حرف لين فقط، ويشمل المفصول نحو «خلوا إلى» و«ابنى ءآدم»، ويشمل كذلك الموصول نحو «فأوارى سوءة أخى» و«كهيئة الطير» و«ظن السوء»، والساكن حرف مد نحو «قالوا ءآمنا» و«يبنى إسرائيل» و«لا يمسهم السوء» وهو المعروف بسكت المد. وقد سكت حفص عن عاصم وكذلك ابن ذكوان عن ابن عامر وإدريس عن خلف العاشر على الساكن قبل الهمز ما لم يكن حرف مد فى أحد الوجهين عنهم من طريق طيبة النشر. وكذلك سكت حمزة على الساكن قبل الهمز عموماً سواء كان الساكن صحيحاً أو شبهه أو حرف مد من طريق طيبة النشر وهو المعروف «بالسكت المطلق». فقد ورد عن حفص عن عاصم من الشاطبية كان يسكت سكتةً لطيفة من غير تنفس بقدر حركتين فى حالة الوصل فى أربعة مواضع فى التنزيل بالاتفاق وهى كالآتى:

السكتة الأولى: على الألف المبدلة من التنوين فى لفظ «عوجا» بأول الكهف فى حالة الوصل ثم يقول «قيما»، وهذا لا يمنع من الوقف على «عوجا» لأنه رأس آية. وإنما السكت حالة وصل «عوجا» بـ «قيما» فتأمل.

السكتة الثانية: على الألف من لفظ «مرقدنا» بياسين ثم يقول «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون»، ويجوز الوقف على لفظ «مرقدنا» وهو تام كما ذكره سيدى على النورى فى غيث النفع، وعليه فلا سكت عندئذ عند عدم الوقف إنما يجب السكت من الشاطبية.

السكتة الثالثة: على النون من لفظ «من» فى قوله تعالى «وقيل من راق» بالقيامة ثم يقول «راق» ويلزم من السكت إظهار النون الساكنة عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام.

السكتة الرابعة: على اللام من لفظ «بل» فى قوله تعالى «كلا بل ران على قلوبهم» بالمطففين ثم يقول «ران»، ويلزم من هذا السكت أيضاً إظهار اللام عند الراء لأن السكت يمنع الإدغام هنا كذلك، وسكت حفص فى هذه المواضع الأربعة من النوع الذى يأتى على آخر الكلمة، قال الإمام الشاطبى رضى الله عنه ونفعنا بعلومه:

**وسكتة حفص دون قطع لطيفة ... علـى ألف التنوين فـى عوجا بلا**

**وفى نـون من راق ومرقـدنا ولا ... م بل ران والباقون لا سكت موصلا**

وكذلك يسكت حفص فى وجه له بين السورتين من غير تنفس فى موضع واحد فى التنزيل وهو بين آخر سورة الأنفال، وأول سورة براءة، ومحله على الميم من «عليم» ثم يقول «براءة»، وعلى الهاء من لفظ «ماليه» فى قوله تعالى «ماأغنى عنى ماليه* هلك عنى سلطانيه» بسورة الحاقة، والوجهان صحيحان مقروء بهما، والسكت هو المقدم فى الأداء.

ومجمل القول أن حفصا عن عاصم له فى القرآن الكريم ست سكتات أربع منهن لم يشاركه فيهن أحد من القراء وهن المذكورات أولاً.

والخامسة: بين آخر الأنفال وأول براءة، وقد شاركه فيها باقى القراء العشرة فى وجه لهم.

السادسة: فى أحد الوجهين عنه على الهاء من «ماليه هلك» بالحاقة، وقد شاركه فيها باقى العشرة فى أحد الوجهين عنهم كذلك إلا حمزة ويعقوب فتأمل[١٣].

٣ـ آراء القراء فى المدة الزمنية للسكت: ـ قال ابن الجزرى فى النشر[١٤]: ـ قال أصحاب سليم عنه عن حمزة فى السكت قبل الهمز: سكتة يسيرة، وقال جعفر الوزان عن على بن سليم عن خلاد: لم يكن السكت على السواكن كثيراً. وقال الأشنانىُ: سكتة قصيرة، وقال قتيبة عن الكسائى: سكت سكتة مختلسة من غير إشباع، وقال النفار عن الخياط يعنى الشمونى عن الأعشى: السكت حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف. وقال أبو الحسن طاهر بن غلبون: وقفة يسيرة، وقال مكى: وقفة خفيفة، وقال ابن شريح: وُقَيْفة. وقال أبو العز: سكتة يسيرة هى أكثر من سكت القاضى عن رويس، وقال الحافظ أبو العلاء: يسكت حمزة والأعشى وابن ذكوان من طريق العلوى والنهاوندى عن قتيبة من غير قطع نفس، وأتمهم سكتة حمزة والأعشى، وقال أبو محمد سبط الخياط: حمزة وقتيبة يقفان وقفة يسيرة من غير مهلة، وقال أبو القاسم الشاطبى: سكتاً مقللا، وقال الدانى: سكتة لطيفة من غير قطع، وهذا لفظه أيضاً فى السكت بين السورتين من جامع البيان. وقال فيه ابن شريح: سكتة خفيفة، وقال الفحام: سكتة خفيفة، وقال أبو العز: مع سكتة يسيرة. وقال أبو محمد فى

---

(١٣) أسنى المعارج إلى معرفة صفات الحروف والمخارج، ص ك ٣٨.

(١٤) النشر ١/ ٢٤٠ وما بعدها.

المبهج: وقفة تؤذن بإسرارها أى بإسرار البسملة، وهذا يدل على المهلة، وقال الشاطبى: وسكتهم المختار دون تنفس، وقال أيضاً وسكتة حفص دون قطع لطيفة.

وقال الدانى فى ذلك سكتة لطيفة من غير قطع، وقال ابن شريح: وُقَيْفة، وقال أبو العلاء بوقيفة، وقال ابن غلبون بوقفة خفيفة، وكذا قال المهدوى، وقال ابن الفحام: سكتة خفيفة. وقال القلانسى فى سكت أبى جعفر على حروف الهجاء يفصل بين كل حرف منها بسكتة يسيرة، وكذا قال الهمذانى، وقال أبو العز: ويقف على ص، وق، ون... وقفة يسيرة، وقال الحافظ أبو عمرو فى الجامع: واختيارى فيمن ترك الفصل سوى حمزة أن يسكت القارىء على آخر السورة بسكتة خفيفة من غير قطع شديد. قال ابن الجزرى: فقد اجتمعت ألفاظهم على أن السكت زمنه دون زمن الوقف عادة، وهم فى مقداره بحسب مذاهبهم فى التحقيق والحدر والتوسط حسبما تحكم المشافهة، وأما تقييدهم بكونه دون تنفس فقد اختلف أيضاً فى المراد به آراب بعض المتأخرين فقال الحافظ أبو شامة الإشارة بقولهم دون تنفس إلى عدم الإطالة المؤذنة بالإعراض عن القراءة. وقال الجعبرى: قطع الصوت زماناً قليلاً أقصر من زمن إخراج النفس لأنه إن طال صار وقفاً يوجب البسملة. وقال الأستاذ ابن بصخان أى دون مهلة وليس المراد بالتنفس هنا إخراج النفس بدليل أن القارىء إذا أخرج نفسه مع السكت بدون مهلة لم يمنع من ذلك فدل على أن التنفس هنا بمعنى المهلة. وقال ابن جبارة دون تنفس يحتمل معنيين: أحدهما سكوت يقصد به الفصل بين السورتين لا السكوت الذى يقصد به القارىء التنفس. ويحتمل أن يراد به سكوت دون السكوت لأجل التنفس أى أقصر منه،أى لأجل التنفس،أى دونه فى المنزلة والقصر ممكن يحتاج إذا حمل الكلام

على هذا المعنى أن يعلم مقدار السكوت لأجل التنفس حتى يجعل دونه فى القصر. قال ويعلم ذلك بالعادة وعرف القراء. قال ابن الجزرى: قلت الصواب حمل دون من قولهم دون تنفس أن تكون معنى غير كما دلت عليه تنفس سواء قل زمنه أو كثر وأن حمله.على معنى أقل خطأ وإنما كان هذا صواباً لوجوه:

أحدها: ما تقدم من النص عن الأعشى تسكت حتى يظن أنك قد نسيت، وهذا صريح فى أن زمنه أكثر من زمن إخراج النفس وغيره.

ثانيها: قول صاحب المبهج: سكتة تؤذن بإسرارها أى بإسرار البسملة. والزمن الذى يؤذن بإسرار أكثر من إخراج النفس بلا نظر.

ثالثها: أنه إذا جعل المعنى أقل فلابد من تقديره كما قدروه فى قولهم أقل من زمن إخراج النفس ونحو ذلك وعدم التقدير أولى.

رابعها: أن تقدير ذلك على الوجه المذكور لا يصح لأن زمن إخراج النفس وإن قل لا يكون أقل من زمنه قليل السكت والاختبار يبين ذلك.

خامسها: أن التنفس على الساكن فى نحو: الأرض ،والآخرة، وقرآن، ومسئولاً ممنوع اتفاقاً كما لا يجوز التنفس على الساكن فى نحو: الخالق والبارىء والفرقان ومسحوراً... إذ إن التنفس فى وسط الكلمة لا يجوز.

**أهداف البحث:**

وفى ضوء هذا الاختلاف بين القدماء من العلماء من أهل الأداء (القُرَّاء) فى تحديد المدة الزمنية لهذا السكت، وكذا عدم وجود أى وسيلة لديهم لتعيين مقدار هذا الزمن فقد ظلت هذه المدة الزمنية محل اختلاف بينهم فى تقديرها الزمنى بحسب مذاهبهم فى التحقيق والتوسط والحدر

حسبما تحكمه المشافهة ويضبطه السماع، ولعل مما عُنِيَتْ به الدراسات الحديثة لأصوات اللغة قياس المدة الزمنية للحدث الكلامى أياً كان نوعه سواء أكان مفرداً (كأن يكون حركة قصيرة أو حرف مد أو حرف صحيحاً ساكناً...) أو غيره (بأن يكون كلمة أو جملة) يقال فى سياق أدائى وصلا كان أو وقفاً. والحروف اللغوية عند نطق أصواتها ليست على درجة واحدة من السهولة والخفة أو الثقل وعسر النطق، ولهذا كانت حروف اللين فى اللغة العربية أسهل الحروف لخروجها من غير كلفة على اللسان فى أثناء النطق بحروفها كما كانت الحروف الذلقية أسهل من غيرها من الحروف الصحيحة الساكنة المعروفة بالحروف المصمتة لخروجها من ذلق اللسان أو من ذلق الشفة، وتعد الحروف الحلقية أصعب الحروف العربية نطقاً نظراً للطبيعة الخاصة لنطقها، ولهذا قل فيها الإدغام الذى ينظر إليه على أنه ثمرة من ثمرات التخفيف وذلك لثقلها، كما قل منها المضاعف فلم يدغم بعضها فى بعض فى كلمتين أيضاً الأغلب لئلا يكون شبه مضاعف مصوغ منها، والمبدأ الخاص الذى يحكم هذه الحروف أن أنزلها فى الحلق أثقلها، وأثقلها الهمزة. والناطق بحرف الهمزة يجد ثقلاً وعسراً عند اللفظ به، إذ الهمزة ـ فى الحقيقة ـ نبرة تخرج من أقصى الحلق، ولذلك ثقلت عندهم لأنها أثقل الحروف فى الحلق فيعسر النطق بها مع ما فيها من الجهر والقوة والشدة، ولذلك استعملت العرب فى الهمزة المفردة ما لم تستعمله فى غيرها، فقد استعملوا فيها التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها فى مواضعها، وذلك كله لاستثقالهم لها، ولم يستعملوا ذلك فى شيء من الحروف غيرها. وبسبب من هذا الثقل لحرف الهمزة نشأ ما سمى عند أهل الأداء (القراء) بظاهرة المد فى حروف المد (الواو والياء والألف نحو سُوء، وسيئت،

وشَاء)، وحرفى اللين (الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما نحو شَيْء وسَوْء) فى آى القرآن الكريم، فقد حرص هؤلاء القراء على إعطاء كل حرف حقه من الأداء فى هذا النوع من الكلام وهو القرآن، انطلاقاً من أن هذه الأصوات (حروف المد واللين) أصوات خفية، والهمزة صوت جلد بعيد المخرج صعب فى اللفظ فلما لاصقت هذه الحروف صوتاً خفياً خيف عليها أن يزداد بملاصقة الهمزة لها خفاء فبُيِّنَتْ بالمد ليظهر، وكان بيانها بالمد أولى لأنه يخرج من مخرجه بمد دون البيان فى أصوات المد واللين لنقص صوتى اللين بانفتاح ما قبلهما عن أصوات المد واللين اللواتى حركة ما قبلهن منهن فقويت بالمد لتمكينهن بكون حركة ما قبلهن منهن وضعف صوت اللين فى المد لكن حركة ما قبله ليست منه.

ولعل فى هذا ما يفسر علة إطالة الصوت بحروف المد واللين زمناً فيما سمى بظاهرة المد فى الأداء القرآنى بأنواعه (المتصل والمنفصل واللازم... إلخ). إذا جاء بعدها حرف الهمزة وذلك لخفاء هذه الحروف بسبب اتساع مخرجها عندما يقع بعدها حرف بعيد المخرج جلد صعب يحتاج من اللافظ به أناة وتكلفاً لبيانه وتحقيقه كحرف الهمزة. هذا فيما إذا أتى قبل حرف الهمزة حرف من حروف المد واللين، وكان اللافظ بحرف الهمزة فى مهلة من أمره حيث يستجمع قواه ويتكلف فى بيانه وتحقيقه بإطالة الصوت بحروف المد واللين اللواتى وقعن قبله، وهى وسيلة نطقية لجأ إليها الناطق العربى ليتمكن من اللفظ بهذا الحرف الصعب مخرجاً، الجلد صفةً، البعيد موقعاً، فإذا انعدمت هذه الوسيلة التى يتخلص بها اللافظ من هذا الحرف واضطر إلى النطق به دون حائل لم يجد بُدّاً من أن يقطع الصوت هنيهة ليعطى جهازه النطقى فرصة استعداداً للتلفظ به، وهو ما نراه إحدى نتائج الاقتصاد فى المجهود

العضلى تيسيراً وتخفيفاً على الجهاز النطقى، وهروباً من الثقل الذى يمثله اجتماع الحرف الصحيح الساكن مع حرف الهمزة عند التلفظ بهما دون فاصل. هذه ظاهرة صوتية نطقية موجودة فى الأداء ببعض الألفاظ فى اللغة العربية عامة وفى النطق بآيات القرآن الحكيم خاصة، وقد أثارت كثيراً من الأحكام عند المهتمين بالأداء القرآنى، بيد أن كثيراً منها ظل تقديراً سماعياً يضبط بالمشافهة وتحكمه الدربة، وقد تركت هذه الظاهرة الصوتية النطقية لدى الباحث شيئاً من الاهتمام بها وهو يستمع إلى قراءة بعض القراء المجيدين المعاصرين بهذه القراءة (السكت)، فحاول الاستفادة من معطيات التقنية الحديثة المتعلقة بحساب المدة الزمنية للحدث الكلامى، ومن هنا قرر مستعيناً بالله العلى العظيم أن يقف ـ بطريق التجريب ـ على حقيقة هذه المدة الزمنية محددة بجزء من عشرة آلاف من الثانية، فجاءت هذه الدراسة من خلال هذه الصفحات التى أرجو من الله جلت قدرته أن يكون فيها النفع والإفادة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والباحث ينبه ههنا إلى صعوبة الحصول على المادة العلمية التى استقى منا نتائج دراسته، ويعود ذلك إلى أن المقرئين المجيدين لهذه القراءة فى زماننا ـ الذى توفرت له وسائل التسجيل والرصد ـ قليلون، وأن هذه القراءة لم تشَع شيوع قراءة حفص عن عاصم مثلاً، ولهذا فقد اقتصر الإقراء بها فى أحوال خاصة جداً، وصعب الحصول على مادة علمية كثيرة من ألسنة القراء المجيدين المعاصرين ممثلاً لها، وظل تتبعنا لأمثلة لها منحصراً فى آيات محدودة من سور القرآن الكريم وردت ـ بطريق الصدفة ـ على لسان المقرىء تبياناً لأوجه القراءة الواردة فى آية ما من كتاب الله العزيز مثلاً.

ويزعم الباحث ـ مع ذلك كله ـ أنه قد وقف على مادة علمية كافية تمثل صوراً عديدة لأوجه هذه القراءة؛ مما مكن الباحث من استقرائها والخروج منها بنتائج علمية استطاع عن طريقها الوقوف على الطريق الصحيح للإقراء بهذه القراءة فى ضوء ما ذكره أهل الأداء (التجويد) من أحكام وقواعد تتعلق بها فى كتبهم ورسائلهم ومختصراتهم.

**طريقة البحث:**

فى ضوء ما قلناه فى أهداف البحث مما يتعلق بصعوبة جمع المادة العلمية؛ فقد قام هذا البحث على نصوص من آى القرآن الكريم مما أمكن للباحث جمعه والحصول عليه من قراءة بعض القراء المشهورين، وكان من أبرزهم فضيلة الشيخ محمد صديق المنشاوى (ت ١٩٦٩هـ)، وفضيلة الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد (ت ١٩٨٨هـ)، وفضيلة الشيخ مصطفى إسماعيل ـ يرحمهم الله جميعاً ـ ثم عمل الباحث على تبويب هذه الآيات الكريمة حسب ورودها فى سورها مع ترتيب هذه السور كما وردت فى المصحف الشريف. ثم قام بإدخال النص المقروء من الآية إلى جهاز (السونا جراف من نوع ٥٥٠٠)[١٥] لقياس مدة زمن السكت التى حصلت فى قراءة القارىء بها، وهو جهاز يتيح للباحث القدرة على قياس زمن الحدث الكلامى بكل دقة؛ حيث يحتوى على جهاز تسجيل لإدخال المادة العلمية ـ موضوع الدراسة ـ مما يمكن الباحث أن يعيد ما يريد سماعه وقياسه من المادة العلمية مرات عديدة، وبعدئذ بدأ التركيز على ما يراد قياسه عن طريق تعيين الحد الفاصل بين نهاية الحدث الكلامى عند السكت وبداية النطق بما بعده من الكلام، وبدا ذلك ممكناً باستخدام الجهاز

---

(١٥) انظر الصورة المرفقة مع هذا البحث للجهاز المستخدم فى البحث.

الصوتى الذى زود بإمكانية التحديد الدقيق للفترة الزمنية التى يمثلها الانقطاع التام عن الكلام واستئنافه بعد ذلك، وذلك عن طريق وضع السهمين اللذين زود بهما هذا الجهاز لتحقيق تلك الغاية، ومن ثَمَّ تَمَّ إجراء اختبارات كثيرة للتأكد من ذلك بتشغيل جهاز إعادة التسجيل الخاص بالجهاز الصوتى، والذى يعيد ـ عادة ـ ما هو محصور بين السهمين، وبعد أن استمع الباحث لما أعيد مرات كثيرة تم قياس مدة تكون هذا الانقطاع من اختفاء انطلاق الصوت المصاحب للكلام السابق إلى ابتداء انفجار النفس بعد غلق جهاز التصويت ـ كلياً ـ وأثبتت تلك المدة الزمنية فى مكانها من النتائج. وقد قسمت الثانية فى هذا البحث إلى عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) جزء من الزمن، فلو انقطع الصوت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة للسكت بمقدار (١,٨٥٣٠) من الثانية؛ فإن ذلك يدل على أن المدة الزمنية لهذا السكت فى ذلك الموضع من الآية الكريمة قد بلغت بالضبط ذلك الزمن. وتوزعت نتائج البحث تبعاً للمقرئين الثلاثة إلى جداول مرتبة على سور المصحف الشريف، وقد اشتمل كل جدول منها على ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى كانت للأرقام التسلسلية، والمجموعة الثانية جعلت لنص الآية، وخصصت المجموعة الثالثة للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة[١٦].

ومما ينبغى ملاحظته هنا أن بعضاً من الآيات الكريمة أعيدت قراءتها من القراء الثلاثة الكرام مرات عديدة، وقد أثبتها الباحث فى مواضعها من السورة الكريمة.

---

(١٦) انظر بعض الصور الطيفية المأخوذة من الجهاز.

قراءة/ الشيخ محمد صديق المنشاوى/ سورة هود عليه السلام

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــة | المدة الزمنيـــة |
| --- | --- | --- |
| ١. | ليوفينهم ربك أعمالهم | ٠,٩١٢٥ |
| ٢. | ٢ .ولا تطغـــــو إنه | ٠,٩٨٧٣ |
| ٣. | ٣ .من اوليـــــاء | ١,٢٠٦ |
| ٤. | ٤ . قبلكـــم أولـــوا | ٠,٩٢٥٠ |
| ٥. | ٥ . فى الأرض | ١,٠٤٩ |
| ٦. | ٦ . ممن أنجيــــــنا | ٠,٦٦٢٥ |
| ٧. | ٧ . من أوليـــــاء | ١,٢٣٧ |
| ٨. | ٨ . فـــي الأرض | ١,٢٥٠ |
| ٩. | ٩ . ممن أجيـــــــنا | ٠,٦٤٣٧ |
| ١٠. | ١٠ . الســـموات والأرض | ٠,٨٧٥٠ |
| ١١. | ١١ . يرجع الأمر | ٠,٨٢٥٠ |
| ١٢. | ١٢ . السموات والأرض | ١,٣٣١ |
| ١٣ | ١٣ . يرجع الأمر | ٠,٩٦٢٥ |

تابع: قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة يوسف عليه السلام

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــة | المدة الزمنيـــة |
| --- | --- | --- |
| ١٤. | . بما أوحينا | ٠,٦٣١٢ |
| ١٥ | ٢ . للإنسان | ١,٣٧٥٠ |
| ١٦. | ٣ . وعلي ال يعقوب | ٠,٩٥٣٧ |
| ١٧. | ٤ . كما أتمها | ٠,٩٣٧٤ |
| ١٨. | ٥ . على أبويك | ١,٢٣٥١ |
| ١٩. | ٦ . إلي أبينا | ١,١٢٣٧ |
| ٢٠. | ٧ . يا أبانا | ١,٢٣٦٧ |
| ٢١. | ٨ . عصبة إنا إذا | ٠,٩٠٣٥ |
| ٢٢. | ٩ . وأجمعوا أن | ١,١٣٧٠ |
| ٢٣. | ١٠ . وأوحينا إليه | ٠,٨٧٤٣ |
| ٢٤. | ١١ . وجاءوا أباهم | ١,٠٦٨ |

تابع: قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة يوسف عليه السلام

| | | |
|---|---|---|
| ٢٥. | ١٢. يا أبانا | ١,١٤٥٧ |
| ٢٦. | ١٣. لكم أنفسكم | ١,٣٥٧١ |
| ٢٧. | ١٤. من تاويل الأحاديث | ١,١٢٢٣ |
| ٢٨. | ١٥. لامرأته أكرمى | ١,١٧٣٥ |
| ٢٩. | ١٦. عسى أن ينفعنا | ١,١١٢٧ |
| ٣٠. | ١٧. ولما بلغ أشده | ٠,٧٨٣١ |
| ٣١. | ١٨. إنه ربى أحسن | ٠,٩٥٧١ |
| ٣٢. | ١٩. السوء | ١,١٠٧٢ |
| ٣٣. | ٢٠. الفحشاء | ٠,٩٨٣٧ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الرعد

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــــة | المدة الزمنيـة |
|---|---|---|
| ٣٤. | ١. أرسلناك فى أمة | ١,١٧٤٧ |
| ٣٥. | ٢. من قبلها أمم | ١,١٤٣٥ |
| ٣٦. | ٣. الذى أوحينا | ١,١١٨٧ |
| ٣٧. | ٤. أوحينا إليك | ٠,٨٦٨٧ |
| ٣٨. | ٥. لا إله إلا الله | ١,١٧٨٦ |
| ٣٩. | ٦. ولو أن | ٠,٧١١٨ |
| ٤٠. | ٧. به الأرض | ١,٢٢٤٨ |
| ٤١. | ٨. بل لله الأمر | ٠,٧٨١٢ |
| ٤٢. | ٩. ولو أن | ٠,٦٠٦٢ |
| ٤٣. | ١٠. قرانا | ٠١,١٤٣٤ |
| ٤٤. | ١١. به الأرض | ١,١٢٥٦ |
| ٤٥. | ١٢. بل لله الأمر | ٠,٨١٨٧ |
| ٤٦. | ١٣. أفلم ييئس | ١,٠٣١٥ |
| ٤٧. | ١٤. الذين امنوا أن | ١,٠٧٤ ،١,٠٦٨٥ |
| ٤٨. | ١٥. يشاء الله | ٠,٧٣٧٥ |
| ٤٩. | ١٦. قارعة أو تحل | ٠,٩١٨٧ |

تابع قراءة المنشاوى/ سورة النحل

| الرقم التسلسلى | نص الآيــــــــــة | المدة الزمنيــة |
|---|---|---|
| ٥٠. | ١ . ما ملكت أيمانهم | ١,٢٤٣٨ |
| ٥١. | ٢ . من أنفسكم | ١,٣٨٠٧ |
| ٥٢. | ٣ . من أنفسكم أزواجا | ١,٠٦٧٣ |
| ٥٣. | ٤ . جعل لكم من أزواجكم | ١,١٣٥٧ |
| ٥٤. | ٥ . من السموات والأرض | ١,٢٤٣٨ |
| ٥٥. | ٦ . شيئا | ٠,٩٦٢٥ |
| ٥٦. | ٧ . من أنفسكم | ١,٢١١٨ |
| ٥٧. | ٨ . الأمثال | ٠,٧٥٦٣ |
| ٥٨. | ٩ . على شيء | ١,٣٤٣٧ |
| ٥٩. | ١٠ . والارض | ١,٠٧٤٨ |
| ٦٠. | ١١ . على كل شيء | ٠,٩٥٦٢ |
| ٦١. | ١٢ . لا تعلمون شيئا | ١,٣٠٥٧ |
| ٦٢. | ١٣ . السمع والأبصار | ١,١٣٦٨ |
| ٦٣. | ١٤ . ألم تروا إلى الطير | ٠,٨٩٣٧ |
| ٦٤. | ١٥ . الانعام | ١,١٣٨٠ |
| ٦٥. | ١٦ . ومن أصوافها | ٠,٩٥٦٧ |
| ٦٦. | ١٧ . ومتاعا إلى | ١,٣٥٥٧ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الكهف

| | | |
|---|---|---|
| ٦٧. | ١ . نبات الأرض | ١,١١٨٢ |
| ٦٨. | ٢ . وكان الله على كل شيء | ٠,٨٣٧٥ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الكهف

| | | |
|---|---|---|
| ٦٩. | ١ . وننزل من القرآن | ١,٠٧٤٨ |
| ٧٠. | ٢ . ما هو شفاء | ٠,٩١٢٥ |
| ٧١. | ٣ . تجرى من تحتها الأنهار | ١,١٨٧٢ |
| ٧٢. | ٤ . وإذا مس الإنسان | ١,٠٣١٨ |
| ٧٣. | ٥ . فى الارض | ١,١٣٦٩ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الروم

| الرقم التسلسلي | نص الآيـــــــــــة | المدة الزمنيـــة |
|---|---|---|
| .٧٤ | ١ . ومن آياته | ١,٠١١٥ |
| .٧٥ | ٢ . من أنفسكم | ١,٥٩٧٠ |
| .٧٦ | ٣ . من أنفسكم أزواجا | ١,٠٤٣٧ |
| .٧٧ | ٤ . خلق السموات والأرض | ١,٤٠٦٧ |
| .٧٨ | ٥ . ومن أياته منامكم | ٠,٧٩٣٧ |
| .٧٩ | ٦ . ومن آياته يريكم | ٠,٧٠٦٢ |
| .٨٠ | ٧ . به الأرض | ٠,٩٣١٢ |
| .٨١ | ٨ . تقوم السموات والأرض | ١,١٣٦٨ |
| .٨٢ | ٩ . ومن آياته | ٠,٧٥٦٢ |
| .٨٣ | ١٠ . السماء والأرض | ١,٢٩٩٥ |
| .٨٤ | ١١ . من الأرض | ٠,٩٣٧٥ |
| .٨٥ | ١٢ . وله المثل الأعلي | ١,٢٧٤٦ |
| .٨٦ | ١٣ . فى السموات والأرض | ١,٠١١٧ |
| .٨٧ | ١٤ . فى السموات والأرض | ١,٠٨١٩ |
| .٨٨ | ١٥ . وله المثل الأعلى | ١,١٩٩٤ |
| .٨٩ | ١٦ . فى السموات والأرض | ٠,٧٨١٢ |
| .٩٠ | ١٧ . مثلا فى أنفسكم | ١,٣٠٥٧ |
| .٩١ | ١٨ . ما ملكت أيمانكم | ١,٢٥٥١ |
| .٩٢ | ١٩ . هل لكم مما ملكت أيمانكم | ١,٢٥٠٨ |
| .٩٣ | ٢٠ . كذلك يفصل الآيات | ٠,٧٨٧٥ |
| .٩٤ | ٢١ . من أضل الله | ٠,٧٤٣٧ |
| .٩٥ | ٢٢ . ثم إذا أذاقهم | ١,٢٢٤٩ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الروم

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــــــة | المدة الزمنيــة |
|---|---|---|
| ٩٦. | ٢٣ . رحمة إذا | ١,٢٩٣٦ |
| ٩٧. | ٢٤ . بما آتيناهم | ١,٣٨٧٥ |
| ٩٨. | ٢٥ . وإذا أذقنا | ١,٢٩١٠ |
| ٩٩. | ٢٦ . بما قدمت أيديهم | ١,٣٧٨٩ |
| ١٠٠. | ٢٧ . وما آتيتم | ١,٤٩٣٢ |
| ١٠١. | ٢٨ . فى أموال الناس | ١,٣٢٩٥ |
| ١٠٢. | ٢٩ . وما آتيتم من زكاة | ١,٤٨٥٧ |
| ١٠٣ | ٣٠ . فأولئك | ١,٦١٧٢ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة لقمان

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــــــة | المدة الزمنيــة |
|---|---|---|
| ١٠٤. | ١ . ووصينا الإنسان | ١,٢٣٧٠ |
| ١٠٥. | ٢ . سبيل من أناب | ١,١٩٤٢ |
| ١٠٦. | ٣ . يا بنى إنها | ١,١٠٥٧ |
| ١٠٧. | ٤ . أو فى الأرض | ١,٤٧٣٠ |
| ١٠٨ | ٥ . على ما اصابك | ١,٥١٣٧ |
| ١٠٩. | ٦ . عزم الامور | ١,٢١٨٦ |
| ١١٠. | ٧ . تمشى فى الارض | ١,١٣٨٢ |
| ١١١. | ٨ . إن انكر الاصوات | ١,٣٩٧٣ |
| ١١٢، | ٩ . وما فى الارض | ١,٢٧٥٤ |
| ١١٣. | ١٠ . وما أنزل الله | ١,١٤١٩ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الزخرف

| المدة الزمنية | نص الآية | الرقم التسلسلى |
|---|---|---|
| ١,١٣٧٢ | ما تشتهيه الأنفس | ١١٤. |
| ٠,٥٦٣٢ | وتلذ الأعين | ١١٥. |
| ١,٥٤٧٣ | التي أورثتموها | ١١٦. |
| ١,٣٢٧٠ | التي أورثتموها | ١١٧. |
| ١,٢٤٦٨ | أم أبرموا أمرا | ١١٨. |
| ١,٢٥٣١ | أم أبرموا أمرا | ١١٩. |
| ١,١٢٣٧ | رب السموات والأرض | ١٢٠. |
| ١,٢٥١٧ | رب السموات والأرض | ١٢١. |
| ١,٢٥٨٣ | رب السموات والأرض | ١٢٢. |
| ١,٢٧٥٠ | وهوالذى في السماء | ١٢٣. |
| ١,١٩٦٧ | وهو الذى في السماء | ١٢٤. |
| ١,٠٧٢٣ | وفي الأرض إله | ١٢٥. |
| ١,١٢٥٦ | وفي الأرض إله | ١٢٦. |
| ٠,٩٧٣٢ | ملك السموات والارض | ١٢٧. |
| ١,٠٧٣٢ | ملك السموات والارض | ١٢٨. |
| ١,٢٣٧٠ | ملك السموات والأرض | ١٢٩. |
| ١,٣١٥٧ | يا رب إن هؤلاء | ١٣٠. |
| ١,٢٧٣٥ | يارب إن هؤلاء | ١٣١. |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الدخان

| | | |
|---|---|---|
| ١,٤٣١٧ | إنا أنزلناه قرآنا | ١٣٢. |
| ١,٣٨٤٦ | إنا انزلناه قرانا | ١٣٣. |
| ١,٢٨٤٧ | إنا إنزلنا قرانا | ١٣٤. |
| ١,٢٣٧٥ | في ليلة مباركة إنا | ١٣٥. |
| ١,٣٦٨٤ | في ليلة مباركة إنا | ١٣٦. |
| ١,٢٣١٨ | في ليلة مباركة إنا | ١٣٧. |
| ١,٢٩٧١ | رب السموات والأرض | ١٣٨. |
| ١,١٣٥٧ | رب السموات والأرض | ١٣٩. |
| ١,٣٨٢٤ | ورب ابائكم | ١٤٠. |

| ١٤١. | ورب آبائكم | ١,٣٦٥٧ |
|---|---|---|
| ١٤٢. | يوم تأتى السماء | ١,٢٣٦٧ |
| ١٤٣. | يوم تأتى السماء | ١,٢٤٨٩ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة ق

| ١٤٤. | ١ . تشقق الأرض | ١,٠٣٧٥ |
|---|---|---|
| ١٤٥. | ٢ . نحن أعلم | ٠,٩٣٤٢ |
| ١٤٦، | ٣ . وما أنت | ٠,٧٨٤٥ |
| ١٤٧. | ٤ . بالقران | ١,١٢٣٠ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الرحمن

| ١٤٨. | ١ . علم القرآن | ١,١١٢٣ |
|---|---|---|
| ١٤٩. | ٢ . خلق الإنسان | ١,٠٦٢٥ |
| ١٥٠. | ٣ . والأرض | ٠,٩٥٣٣ |
| ١٥١. | ٤ . للانام | ١,١٢٤٠ |
| ١٥٢. | ٥ . ذات الاكمام | ١,٠٦٥٤ |
| ١٥٣. | ٦ . فباى الاء ربكام | ١,١٢٣٧ |
| ١٥٤. | ٧ . خلق الإنسان | ١,٠٧٥٦ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الانفطار

| ١٥٥. | ١ . نفس لنفس شيئا | ١,١٣٧٠ |
|---|---|---|
| ١٥٦. | ٢ . نفس لنفس شيئا | ١,٢٥٣٠ |
| ١٥٧. | ٣ . والامر يومئذ | ١,١٤٣٤ |
| ١٥٨. | ٤ . والامر يومئذ | ٠,٩٣٧٢ |
| ١٥٩. | ٥ . وما أدراك ما يوم | ٠,٥١٢٥ |
| ١٦٠. | ٦ . ثم ما ادراك ما يوم | ١,٠٦٢٠ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة الفجر

| الرقم التسلسلى | نص الآيـــــــــــة | المدة الزمنيـــة |
|---|---|---|
| ١٦١. | ١. بعاد إرم ذات العماد | ٠,٧٧٥٠ |
| ١٦٢. | ٢. ذى الأوتاد | ٠,٨٩٣٧ |
| ١٦٣. | ٣. سوط عذاب إن | ٠,٧٦٢٥ |
| ١٦٤. | ٤. فأما الإنسان | ١,٠٨٢١ |
| ١٦٥. | ٥. الأرض دكا دكا | ٠,٨٩٣٧ |
| ١٦٦. | ٦. يتذكر الإنسان | ١,١٢٥٤ |
| ١٦٧. | ٧. كلا إذا دكت | ٩,٤٨١٢ |
| ١٦٨. | ٨. دكت الأرض | ٠,٥٢٥٠ |
| ١٦٩. | ٩. وجىء ربك | ٠,٤٨٧٥ |
| ١٧٠. | ١٠. وجىء ربك والملك | ١,٠١١٧ |
| ١٧١. | ١١. وجىء يومئذ | ١,٠٥٥٣ |
| ١٧٢. | ١٢. يومئذ يتذكر الإنسان | ١,٠٤٩٢ |
| ١٧٣. | ١٣. يوم يتذكر الإنسان | ١,٠٣١٩ |
| ١٧٤. | ١٤. يا أيتها النفس | ٠,٧٩٣٧ |
| ١٧٥. | ١٥. ارجعى إلى ربك | ٠,٩٢٥٠ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة المطففين

| | | |
|---|---|---|
| ١٧٦. | ١. كلا بل ران | ١,٠٥٥٧ |
| ١٧٧. | ٢. كلا بل ران | ١,٣٣١٢ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة البلد

| ١٧٨. | ١ . لا أقسم بهذا البلد | ١,٣٩٣١ |
|---|---|---|
| ١٧٩. | ٢ . الإنسان فى كبد | ٠,٩١٨٧ |

تابع قراءة الشيخ المنشاوى/ سورة القدر

| ١٨٠. | خير من ألف شهر | ١,٧٠٣٢ |
|---|---|---|
| ١٨١. | خير من ألف شهر | ٠,٩٢٣٦١ |

ثانياً: قراءة الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد/ سورة البقرة

| ١٨٢. | ١ . والأنثى بالأنثى | ١,٣١٨٧ |
|---|---|---|
| ١٨٣. | ٢ . بالأنثى | ٠,٦٦٢٥ |
| ١٨٤. | ٣ . فمن عفي له من اخيه | ١,١٧٤٠ |
| ١٨٥. | ٤ . شيء فاتباع | ١,٢٥٠٣ |
| ١٨٦. | ٥ . وأداء إليه بإحسان | ١,١٤٣٦ |
| ١٨٧. | ٦ . عذاب أليم | ١,٢٨١ |

تابع قراءة الشيخ عبد الباسط/سورة يوسف عليه السلام

| ١٨٨. | ١ . لكم أنفسكم | ١,١٤٣٧ |
|---|---|---|
| ١٨٩. | ٢ . انفسكم امرا | ٠,٨٢٥٠ |

تابع قراءة الشيخ عبد الباسط/ سور القيامة

| ١٩٠. | ١ . يقول الإنسان | ١,٠٢٤٥ |
|---|---|---|
| ١٩١. | ٢ . يومئذ اين المفر | ١,٠٩٣٤ |
| ١٩٢. | ٣ . من راق | ١,٢٠٥٧ |

ثالثاً: قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل/ سورة التوبة

| | | |
|---|---|---|
| ١٩٣. | ١ . والله على كل شيء | ٠,٥٤٣٧ |
| ١٩٤. | ٢ . إذ أخرجه الذين كفروا | ٠,٩٨٦٨٧ |
| ١٩٥. | ٣ . إذ أخرجه الذين كفروا | ١,٠١١٨ |
| ١٩٦. | ٤ . إذا خرجه الذين كفروا | ١,٢١٨٥ |
| ١٩٧. | ٥ . لا تحزن إن الله معنا | ١,٣٤٣١ |
| ١٩٨. | ٦ . إذ أخرجه الذين كفروا | ١,٤٨٧٢ |
| ١٩٩. | ٧ . لا تحزن إن الله معنا | ١,٠٩٩٦ |
| ٢٠٠. | ٨ . إذ أخرجه الذين كفروا | ١,٢٧٤٠ |
| ٢٠١. | ٩ . لا تحزن إن الله معنا | ١,٢١١٧ |

تابع قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل/ سورة الكهف

| | | |
|---|---|---|
| ٢٠٢. | ١ . فمن شاء فليؤمن | ١,١٢٥٧ |
| ٢٠٣. | ٢ . ومن شاء فليكفر | ١,٢٣٧٤ |
| ٢٠٤. | ٣ . إنا أعتدنا للظالمين | ١,٠٧٤٥ |
| ٢٠٥. | ٤ . بماء كالمهل | ١,٢٦٧٣ |
| ٢٠٦. | ٥ . من أحسن عملا | ١,٢٤٣٠ |
| ٢٠٧. | ٦ . أولئك لهم جنات | ١,١٣١٧ |
| ٢٠٨. | ٧ . تجرى من تحتها الأنهار | ١,١٣٧٤ |
| ٢٠٩. | ٨ . من أسور من ذهب | ١,١٧٤٥ |
| ٢١٠. | ٩ . جنتين من أعناب | ١,٢٠٦٣ |
| ٢١١. | ١٠ . اتت اكلها | ١,٢٤٣٧ |

تابع قراءة الشيخ مصطفى إسماعيل/ سورة فاطر

| .٢١٢ | ١ . إن الله يهدى من يشاء | ١,١٣٦٨ |
|---|---|---|
| .٢١٣ | ٢ . إن الله يضل من يشاء | ١,٢٦١٥ |
| .٢١٤ | ٣ . والله الذى أرسل الريح | ١,٤٠٦٢ |
| .٢١٥ | ٤ . واللهالذى أرسل الريح | ١,٤٦١٣ |
| .٢١٦ | ٥ . فأحيا به الأرض | ١,٣٣١٧ |
| .٢١٧ | ٦ . ومكر أولئك هو يبور | ١,٠٩٩٦ |
| .٢١٨ | ٧ . جعلكم أزواجا | ١,٠٣٩٨ |
| .٢١٩ | ٨ . وما تحمل كل أنثى | ٠,٩١٨٧ |
| .٢٢٠ | ٩ . وما تحمل كل أنثى | ١,٢١٨٣ |
| .٢٢١ | ١٠ . وما ينقص من عمره إلا | ١,٢٢٤٥ |
| .٢٢٢ | ١١ . سائغ شرابه | ١,١٣٦٤ |
| .٢٢٣ | ١٢ . سائغ شرابه | ١,٣١٢٥ |
| .٢٢٤ | ١٣ . سائغ شرابه | ١,٢٧٤٦ |
| ٢٢٥ | ١٤ . لا يسمع دعاءكم | ١,٢٣٧١ |
| .٢٢٦ | ١٥ . يا أيها الناس | ١,٢٩٣٨ |
| .٢٢٧ | ١٦ . يا أيها الناس | ١,٢٦١٤ |
| .٢٢٨ | ١٧ . أنتم الفقراء إلى الله | ٠,٧٧٥٠ |
| .٢٢٩ | ١٨ . أنتم الفقراء إلى الله | ١,٢٤٣٩ |
| .٢٣٠ | ١٩ . وإن تدع مثقلة إلى حملها | ١,٠٣١٥ |
| .٢٣١ | ٢٠ . يستوى الأعمى والبصير | ١,٢٨١٦ |
| .٢٣٢ | ٢١ . وما يستوى الأحياء | ٠,٩٩٣٢ |

## أولاً: ملاحظات عامة علي النتائج:

ذكرنا فيما سبق أن هذا البحث يحاول ـ بطريق التجريب ـ أن يقف على مقدار المدة الزمنية التى يستغرقها السكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة. هو ما نصت عليه قراءة حمزة ـ رحمه الله ـ ومن تابعه من القراء لآى القرآن الكريم، حيث أشاروا إلى ضرورة قطع الصوت زمناً يسيراً على الحرف قبل الهمزة من غير تنفس، ومقداره حركتان. وقد تفاوتت هذه المدة الزمنية المقدرة بالحركتين ـ عند القدماء ـ فى قراءة هؤلاء القراء الثلاثة المعاصرين الذين أدخل قراءاتهم إلى الجهاز الصوتى (sona graph model ٥٥٠٠)، وتم حساب مقدارها الزمنى بجزء من عشرة آلاف من الثانية. ويعود جزء كبير من هذا التفاوت الزمنى فى المتوسط العام إلى نوع الحرف الذى تعقبه الهمزة، وتم عنده قطع النفس زمناً؛ كأن يكون مثلاً حرفاً ساكناً شديداً أو حرف مد أو لين... إلخ. وذلك على النحو التالى: ـ

١. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية لهذا السكت على الحرف الذى قبل الهمزة فيما أطلق عليه القراء (أل ـ التعريفية) قريباً من (١,٠٥٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٧٠) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٥، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٥٧، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٢)، وهو ما يمثله الجدول التالى ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| «أل» التعريفية | ٧٠ | ٦٣,٩٦٩٦ | ١,٠٤٨٦ |

٢. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف النون الساكنة فى (مَنْ) ونحو الذى قبل الهمزة نحو (مِنْ أولياء) و(ولا تحزنْ إنَّ) حوالى (١,٠٦٣) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٣٤) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٣، ٦، ٧، ٩، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٠، ٩٤، ١٠٥، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٦، ٢٠٩)، وهو ما يمثله الجدول التالى:ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| النون الساكنة «من | ٢٦ | ٢٦,٥٦٩٨٩٥ | ١,٠٦٢٧٩٥٨ |

٣. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف النون الساكنة الذى أصله التنوين ـ أياً كان نوعه ـ قبل الهمزة فى نحول قوله تعالى «ونحن عصبةٌ إنا إذاً لخاسرو» ـ يوسف ـ آية ١٤» قريباً من (١,٠٦٠) من الثانية، وقد كان ذلك من مجموع (١٢) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢١، ٤٩، ٦٦، ٩٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٩١، ٢٢٠) وهو ما يمثله الجدول التالى:ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| نون ساكنة «التنوين» | ١٢ | ١٠,٥٦١١ | ١,٠٥٦١١ |

٤ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف (ميم الجمع) الذى يكون قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد ـ هود ـ آية ١١٦» حوالى (١,٠٥٠) من الثانية، وذلك من مجموع (٧) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٤، ٢٦، ٥٢، ٧٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٨)، وهو ما نراه فى الجدول التالى :ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| حرف مميم الجمع | ٧ | ٧,٤٠١٤ | ١,٠٥٧٣ |

٥ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على تاء التأنيث الساكنة التى قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «على ما ملكت أيمانهم ـ النحل ـ آية ٧١» قريباً من (١,٢٨٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٥) عينة وردت فى الجدول المرفقة (الأرقام ٥٠، ٩١، ٩٢، ٩٩، ٢١١)، وهو ما يمثله الجدول التالى :ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| تاء التأنيث الساكنة | ٥ | ٦,٣٧٨ | ١,٢٧٥٦ |

٦ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد ـ أياً كان نوعه ـ الذى يكون قبل الهمزة فى نحول قوله تعالى «وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك ـ يوسف ـ آية ٦» نحواً من (١,١٣٥٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٧٧) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،

٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢) ، وهو ما يتضح من الجدول التالى :ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| حروف المد | ٧٧ | ٨٧,٣٧٣٠ | ١,١٣٥٠ |

٧. المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرفى اللين ـ الواو والياء الساكنين المفتوح ما قبلهما ـ اللذين يكونان قبل الهمزة فى نحو قوله تعالى «إن الله على كل شيط قدير. والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ـ النحل ـ آيتان ٧٧ ، ٧٨» حوالى (١,٠٠٢) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٢) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ، ١٩٣) وهو ما يمثله الجدول التالى :ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| حرفى اللين | ١٤ | ١٤,٠٣٠٣٨ | ١,٠٠٢١٧ |

٨. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة فيما عدا ما ذكر سابقاً نحو قوله تعالى «بل ران على قلوبهم ـ المصطففين ـ آية ١٤» حوالى (١,٣٧٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٨) عينات اشتملت عليها الجداول المرفقة، وقد حصل عليها الباحث من قراءة بعض القراء غير هؤلاء القراء الذين قام هذا البحث على قراءاتهم، وقد أوضحنا ذلك فيما سبق، وهو ما يمثله الجدول التالى:ـ

| الحرف الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
| --- | --- | --- | --- |
| حرف صحيح | ٨ | ١٠,٩٤٤ | ١,٣٦٨ |

**ثانيا: مناقشة التفاوت الزمنى بين نتائج العنيات وأسبابه:**

أ. المدة الزمنية للسكت على الحرف قبل الهمزة فى كلمة وكلمتين:

١. بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة فى الكلمة الواحدة وليس من كلمتين ـ بصفة عامة ـ نحو قوله تعالى «سائغ شرابه ـ فاطر ـ آية ١٢» (١,١١٤) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٢٩) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٣٢، ٣٣، ٤٨، ٧٠، ٨٣، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢)، وهو ما يمثله الجدول التالى:ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
| --- | --- | --- | --- |
| فى كلمـــة | ٢٩ | ٣٢,٣٠٦ | ١,١١٤ |

٢ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة من كلمتين نحو قوله تعالى «على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء ـ النحل ـ آية ٧١» نحواً (١,١٠٠) من الثانية، وقد كان ذلك من مجموع (٦٦) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩، ٢١، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣٩، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٦٥، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٦١، ١٦٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٠)، وهو ما يمثله الجدول التالى: ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| من كلمتين | ٦٦ | ٧٢,٢٧٦ | ١,٠٩٥ |

٣ . بلغ المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على الحرف الصحيح الساكن الذى يكون قبل الهمزة فى كلمة واحدة نحو قوله تعالى «علم القرآن ـ الرحمن ـ آية ٢» (١,٠٧٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٤) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٤٣، ٤٦، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٥، ١٩٣).

٤ . فى الوقت الذى بلغت فيه قيمة المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد الذى يكون قبل الهمزة فى قراءة هؤلاء القراء الثلاثة فى كلمة واحدة قريباً من (١,٢٣٠) من الثانية،

وكان ذلك من مجموعة (٣٣) عينة اشتملت عليها مادة البحث (الأرقام ٣٢، ٣٣، ٧٠، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢)، نتحقق ذلك من هذا الجدول:ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| الصحيح الساكن | ١٤ | ١٤,٩٨٧ | ١,٠٧٠ |
| حرف المد | ٣٣ | ٤٠,٤٥٨ | ١,٢٢٦ |

**ب. المدة الزمنية للسكت علي الحركات الطويلة (حروف المد):ـ**

سبق أن ذكرنا أن المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد ـ أياً كان نوعه ـ الذى يكون قبل الهمزة نحو (الفحشاء، سوء، ربى أحسن، عسى أن... إلخ) قد بلغ ـ بصفة عامة ـ قريباً من (١,١٠٧) من الثانية، لكنه تفاوت بعد ذلك زمنياً نتيجة لنوع حرف المد؛ كأن يكون ألفاً أو واواً أو ياء، ثم لطبيعة زمن المد الذى يقتضيه أثناء المد؛ كأن يكون مداً متصلاً أو منصلاً أو لازماً أو عارضاً للسكون.

١ . فهو قد بلغ مع حرف المد الألف نحو قوله تعالى «كما أتمها على أبويك ـ يوسف ـ آية ٦» قريباً من (١,١٠٥) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٦٣) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٨، ٦٥، ٧٠، ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣، ١٢٣، ١٢٤،

١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢).

٢ . وهو قد بلغ أيضاً مع حرف المد الياء في قوله تعالى «ارجعي إلى ربك ـ الفجر ـ ٢٨» نحواً من (١,١٢٠) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (١٤) عينة اشتملت عليها الجداول المرفقة (الأرقام ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦، ١٠١، ١١٦، ١١٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢١).

٣ . كما هو قد بلغ مع حرف المد الواو في قوله تعالى «الذين آمنوا أن لو يشاء الله ـ الرعد ـ آية ٣١» حوالي (١,٠٩١) من الثانية، وكان ذلك من مجموع (٦) عينات اشتملت عليها الجداول المرفقة (٢٢، ٢٤، ٣٢، ٤٧، ١١٨، ١١٩)، ويتضح ذلك جلياً في الجدول التالي:ـ

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| حرف المد الألف | ٦٣ | ٦٩,٦٥٩١ | ١,١٠٥٧ |
| حرف المد الياء | ١٤ | ١٦,٦٢٥ | ١,١٨٧٥ |
| حرف المد الواو | ٦ | ٦,٥٨٢ | ١,٠٩٧ |

وبالتدقيق في المتوسط العام للمدة الزمنية لانقطاع النفس على حروف المد التي تكون قبل الهمزة ـ كما يشير الجدول ـ نلاحظ تفاوتاً زمنياً في مدة السكت التي تكون عند حرف دون حرف آخر، ويمثل

المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرف المد الألف المدى الزمنى المعيارى الذى يعد وسطاً بين هذه الفترات الزمنية الثلاث التى يعرضها الجدول، والفارق الزمنى الملحوظ هو الذى نجده فى المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت لكل من الواو والياء، وقد قدر هذا التفاوت الزمنى على اختبار (ت) (t test) للفروق بين العينات بحوالى (P> ١,٠١) وهو ما يمثل (٠,٤٣٩٠) وهذا الفارق الزمنى وإن كان ضئيلاً إلا أنه يعتد به فى أمثال هذه الدراسة.

### ج. المدة الزمنية للسكت على حرفى اللين (الواو والياء):

فإذا تأملنا المتوسط العام للمدة الزمنية للسكت على حرفى اللين (الواو والياء) اللذين يكونان قبل الهمزة ـ كما أشرنا إليه سابقاً ـ فى ضوء ما لاحظناه من أحوال المتوسط العام لزمن السكت الذى يكون على حروف المد قبل الهمزة أيضاً، اتضح لنا بجلاء أن هناك فارقاً زمنياً بينهما قدر على اختبار (ت) للفروق بين العينات (t.test) حوالى (٠,٠٢ P>)، وهو ما يعنى أن مدة زمنية للسكت على حروف المد الثلاثة قبل الهمزة أطول من زمنه على حرفى اللين عند النطق بالهمزة نفسها. ولعل هذا ما يفسر لنا قول بعض علمائنا القدماء أن زمن المد بحرفى اللين المذكورين جاء فى نحو «شَيْء وسَوْء» خشية خفائهما لاتساع مخرجهما وجلادة الهمزة، فلما لاصقت الهمزة حرفى اللين وفيه خفاء بُيِّنَ بالمد، بنقصه وضعفه ومخالفته بذلك لحروف المد، وإنما بقيت المشابهة بين حرفى اللين وحرف المد باللين والسكون لا غير، وبأنهما قد تكون حركة ما قبلهما منهما فكان المد فيهما للهمزة دون مد ما شابهاه، ونقصاً عن درجته، وهى حروف المد. فورش يمد الياء من «شىء» ونحوه، وحمزة

يقف على الياء ثم يهمز، ففى قراءة ورش من المد ما ليس فى قراءة حمزة.

## د. المدة الزمنية للسكت على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة:

أظهرت نتائج عينات البحث تفاوت قيم المتوسط العام للمدة الزمنية لانقطاع النفس على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة، وقد نحا هذا التفاوت الزمنى مناحى شتى تبعاً لنوع الحرف الصحيح الساكن الذى يكون قبل الهمزة:ـ

١. فقد كان مع تاء التأنيث الساكنة التى تكون قبل الهمزة نحواً من (١,٣٠٠) من الثانية، ومع النون الساكنة فى أمثال «من آمن» و«ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون» قريباً من (١,١٠٠) من الثانية، ومع أل التعريف وميم الجمع حوالى (١,٠٥٠) من الثانية، ولكن ظل زمنه يساوى نحو (١) ثانية مع الحروف الأخرى فى غير ما ذكر. ولدى إجراء اختبار (t.test) للفروق بين العينات اتضح أن هناك فارقاً زمنياً بين مدة السكت على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة والنون الساكنة الأصلية أو الناشئة عن التنوين، وقد قدر بحوالى (P> ١,٠١) لزمن انقطاع النفس على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة، وهو فارق زمنى يعتد به فى أمثال هذه الدراسة، وإنما كان ذلك كذلك لأن التاء حرف شديد وقفى جلد، ويتطلب النطق به جزءاً من الزمن أطول من حرف النون الخفيفة الذى هو صوت صاعد فقط من الخيشوم.

٢ . والأمر نفسه يقال أيضاً عن ذلك الفارق الزمنى بين مدة السكت على هذه التاء قبل الهمزة وغيرها من الحروف الأخرى (ميم الجمع، النون، أل التعريف، الحرف والهمزة داخل الكلمة...) التى تكون قبل الهمزة نفسها، فقد بلغ هذا الفارق الزمنى بين مدة السكت على تاء التأنيث الساكنة قبل الهمزة وأل التعريف وميم الجمع... إلخ. (P> ٠,٠٢) على اختبار (t.test) للفروق بين العينات.

٣ . ورد عن حفص عن عاصم ـ يرحمهما الله تعالى ـ أنه كان يسكت سكتة لطيفة على حروف خاصة فى القرآن الكريم، وقد استطاع الباحث أن يحصل من قراءة بعض هؤلاء القراء الثلاثة وغيرهم (وهم الشيخ محمود خليل الحصرى، ومحمود على البنا) لآى القرآن الكريم فى الحروف الخاصة بقراءة حفص عن عاصم على (٨) عينات بلغ المتوسط العام فيها قريباً من (١,٣٧٠) من الثانية. وبمقارنة نتائج هذه العينات مع غيرها من العينات الأخرى رأينا فارقاً زمنياً بينهما فى المتوسط العام. وذلك يعود ـ فى نظرنا ـ إلى أن المسوغ لهذا السكت هو صعوبة الإدغام الذى يكون بين النون الساكنة فى (من) والراء فى قوله تعالى «من راق ـ القيامة ـ آية»، وكذلك اللام فى الراء فى قوله تعالى «بل ران ـ المطففين ـ آية» ففروا من ذلك إلى السكت بمقدار الحركتين وحرصوا عليه ببيان هذا السكت مدة زمنية أطول من غيره.

| الموقوف عنده | عدد العينات | مجموع النتائج | المتوسط العام |
|---|---|---|---|
| بل ران، من راق | ٨ | ١٠,٩٧٦ | ١,٣٧٠ |

## الخاتمة:

تعد ظاهرة السكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة ـ كما نجدها فى قراءة حمزة ـ يرحمه الله ـ ومن تابعه من القراء لآى القرآن الكريم ـ من ثمرات تصرف العرب فى حرف الهمزة. وما ذلك إلا لأن هذا الحرف (الهمزة) جلد يصعب على اللافظ النطق به محققاً، إذ هو حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق. فلما كان أدخل الحروف فى الحلق استثقل النطق به إذ كان إخراجه كالهوع. وبدافع من ذلك فقد استعملت العرب فى الهمزة المفردة ـ مثلاً ـ ما لم تستعمله فى غيرها من الحروف فقد استعملوا فيها التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها فى مواضعها؛ وذلك لاستثقالهم لها ولم يستعملوا ذلك فى شيء من الحروف وغيرها ومن ذلك أيضاً السكت على الحرف الذى يكون قبلها بسبب بعد مخرجها وصعوبة اللفظ بها، وليستفرغ المتكلم القوة فى النطق بها مبتدئاً، وهذا الوقف على الحرف ـ أياً كان نوعه ـ الذى قبل الهمزة ـ من كلمة أو كلمتين ـ فترة من الزمن ثم النطق بها بعد ذلك هو ما تمثله قراءة حمزة ومن تابعه من القراء لآى القرآن الكريم، وهى صورة من صور التخفيف عند النطق بحرف الهمزة لدى الناطقين بها عند العرب وعند غيرهم من أبناء الأمم الأخرى من المسلمين الذين تعبدوا بقراءة آى القرآن الكريم، ويجدون صعوبة فى النطق بها ولا يستطيعون التلفظ بها محققة قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وقد تساءلنا فى بداية هذا البحث عن مقدار الزمن الذى يحق للقارىء أن يسكت فيه استعداداً للنطق بحرف الهمزة، وهو ما تقرره قراءة السكت، وتوصلنا بعد الدراسة والبحث إلى أنه بعد تتبعَ قراءة بعض القراء المجيدين المعاصرين لآى القرآن الكريم بهذه القراءة على صفحات هذا

البحث تبين أن هناك تفاوتاً زمنياً عند السكت على الحرف الذى يكون قبل الهمزة تبعاً لنوع هذا الحرف، وكونه فى كلمة أو كلمتين، فهو مع حروف المد ـ بوجه عام فى كلمة أو كلمتين ـ قد بلغ (١,١٠٧) ثانية، فى حين نجده قريباً من (١,٠٥٠) من الثانية مع الحرف الصحيح الساكن ـ بوجه عام فى كلمة أو كلمتين، وهو قد وصل (١,٢٥٠) ثانية مع حروف المد فى كلمة، وهو مع الحرف الصحيح الساكن وما أشبهه كحرفى اللين قد بلغ (١,٠٧٠) من الثانية فى كلمة أيضاً، ثم بعد ذلك تفاوتت القيم الزمنية للسكت على حرف المد تبعاً لنوع هذا الحرف، فالقيمة الزمنية للسكت على حرف المد (الألف) قبل الهمزة يختلف زمنياً عن مثيليه (حرفى الواو والياء)، وما قيل عن اختلاف القيمة الزمنية للسكت على حرف المد قبل الهمزة يقال كذلك عن تفاوتها عند السكت على الحروف الصحيحة الساكنة قبل الهمزة، ولكنها ظلت دائماً أكثر زمناً من (١) من الثانية فى أحوالها جميعاً. وقد أفضنا الحديث عن ذلك فيما سبق.

# الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة
# مرتكزات أساسية لعلوم اللغة العربية

د. سمير بن يحيى المعبر
قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك عبدالعزيز

**المقدمة:**

من التعريفات الشائعة للغة أنها وسيلة اتصال، وهذه هى وظيفة اللغة العملية اليومية بالإضافة إلى وسيلتها العقلية والنفسية والثقافية. واللغة كأداة اتصال تعتمد على النموذج الاتصالى المتفق عليه عالمياً والذى يتمثل فى طرفى الاتصال المرسل والمستقبل. وتتخذ عملية الإرسال عادة أحد شكلين: التحدث أو الكتابة، فإذا هدف المرسل إلى إيصال معلومة أو رسالة للغير فإنه يقول ذلك عبر الهواء أمام المستمع أو من خلال لاقط الصوت الإذاعى فى حالة الراديو والتليفزيون والمسجل الصوتى. وكذلك عن طريق كتابة ما يريد، بحيث يقرؤها الشخص المعنى بالرسالة فيحدث الاتصال بين المرسل والمستقبل.

وكذلك فإن عملية الاستقبال تتخذ أيضاً أحد شكلين هما الإصغاء أو القراءة. والإصغاء يكون لحديث مباشر أو سماع مسجل صوتى أو راديو أو مشاهدة تليفزيون. أما القراءة فتتم عن طريق ترجمة الرموز المكتوبة إلى أصوات تتكون من كلمات وجمل تحمل رسالة الكاتب من خلال قراءة خبر أو مقالة أو كتاب.

وبذلك تكون عوامل النجاح فى العملية التعليمية أو فى الاتصال بين الناس فى مهارات أربع يجب على المتعلم إتقانها وهى: الاستماع

والتـحـدث والقـراءة والكتـابـة. وبقـدر مـا يكون المتـعلم مـتـمكناً من هذه المهارات بقدر ما يكون ناجحاً في تحصيله العلمي وفي حياته العلمية.

بالوقوف على مناهج أقسام اللغة العربية في كثير من جامعات الدول العربية وجدت أنها تركز على تعليم المواد اللغوية من نحو وصرف وعلم لغة وفقه لغة ومعجم ودلالة وأصوات.. الخ، والمواد الأدبية التي تدرس العصور الأدبية والبلاغة والنقد.. الخ. وتغفل هذه المناهج تدريب المتعلم على المهارات اللغوية من استماع وتحدث وقراءة وكتابة، مما أدى إلى ضعف الخريجين من أقسام اللغة العربية، فلا تجدهم يجيدون التحدث ولا الكتابة.

لذا أحببت تسليط الأضواء على هذه المهارات وتبيين بأنها من الأهمية بمكان بحيث لا يستغنى عن إجادتها وإتقانها كل دارس للغة العربية. وتقديم الحد الأدنى لما ينبغي أن يلمّ به طالب الأقسام العلمية في الجامعات العربية. علّها تكون حافزاً لدراسات مستقبلية أكثر تفصيلاً وأعمق تناولاً.

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والسداد والنفع، إنه سميع مجيب.

***د. سمير بن يحيى المعبر***

الدراسة:

## المهارة الأولى: الاستماع

يقول بشار بن برد:

**يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً**

اللغة العربية أداة اتصال ولابد لهذه العملية من مرسل ومستقبل، ويتبادل الاثنان الأدوار لإتمام عملية الاتصال. والاستماع هو نصف عملية الاتصال، وهو فن من فنون اللغة العربية، ومهارة من أهم مهاراتها اللغوية. وهو قراءة مسموعة فله ميزات القراءة وفوائدها وربما يزيد عليها إذا أتقن المستقبل الاستماع وأنصت بعقل واع وفهم المسموع جيداً، هنا تكتمل فائدة الاستماع فى تنمية ثقافة الفرد وزيادة معرفته فى جميع مجالات الحياة. ولقد كان يعتمد عليه وحده فئةٌ من الذين فقدوا أبصارهم من فجر التاريخ، ورأينا منهم الشعراء والفقهاء والأدباء سواء من أهل اللغة العربية أو من أصحاب لغات أخرى.

### كيف تتم العملية السمعية:

تعد العملية السمعية فى التحليل الصوتى الخطوة التالية لإنتاج الكلام، وهى عملية تتعلق بالسمع أو بالإدراك الحسى للاضطرابات الموجية الصوتية الموجودة فى الجو ثم تعرّف العقل على تلك الأصوات. وتبدأ العملية السمعية من لحظة دخول الموجة الصوتية صماخ الأذن إلى أن تصل إلى طبلة الأذن فتحركها وتؤثر بدورها فى تحرك الأعصاب السمعية وتنقلها إلى المخ[1].

(١) دراسة الصوت اللغوى: د. أحمد مختار عمر. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٥ـ٢٠٠٤ ص٤٨ بتصرف.

وقد ثبت أن حاسة السمع قادرة على إدراك الأصوات بمعدلات معينة للتردد والتوتر لها حد أدنى وحد أعلى، فمجال التردد للأصوات الممكن سماعها بوضوح قد يبدأ من ٢٠ دورة فى الثانية إلى ٢٠ ألف دورة فى الثانية للشخص الشاب ذى السمع الجيد، وبمرور الزمن تضعف حساسية الأذن للترددات العليا، وإذا زادت شدة الصوت عن مقدار معين يصبح مؤذياً ومزعجاً وقد يسبب ألماً حاداً(١).

فالاستماع والفهم مهارتان متكاملتان من مهارات اللغة ينبغى أن يتدرب المتعلمون عليها منذ بدء تعلمهم اللغة العربية. والاستماع هو الإنصات وليس مجرد السماع، والإنصات أكثر دقة وأقرب فى الوصول إلى الهدف من مهارة الاستماع، فالاستماع مهارة إنصات إلى الرموز المنطوقة ثم تفسيرها. ولقد قارن دافيد راسل بين الاستماع والقراءة حين قال: «إن الرؤية يقابلها السماع، والملاحظة يقابلها الاستماع، وأخيراً القراءة ويقابلها الإنصات، ويمكن أن نوضح ذلك بأن الإنسان قد يسمع بشكل عابر صفارة القطار، أو ضوضاء الشارع، ولكنه فى وقت ثالث حين يكون أمام المعلم فى الفصل فإنه ينتبه إلى صوته ويتابع حديثه وتوجيهاته، إنه فى هذه الحالة ينصت لأنه يريد أن يفهم ويستوعب ويفسر وينقد، ومن هنا تستخدم كلمة استماع للدلالة على الإنصات والفهم والاستيعاب والتفسير والنقد»(٢).

فالاستماع يهدف إلى أن تكون قادراً على فهم المتحدث باللغة فى مواقف غير تعليمية. لأن المواقف التعليمية تعتمد على التفوه بالحديث فى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩ ـ ٥٠، وانظر كذلك: دراسة السمع والكلام: د. سعد عبدالعزيز مصلوح. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠م. ص ٢٤٣ ـ ٢٧٢.

(٢) تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: معهد اللغة العربية ـ مكة المكرمة. ص ١٢٢.

بطء والتركيز على مخارج الحروف وإبراز التنغيم ونبر الكلمات والابتعاد عن الإدغام والتحويل. وهذه الإجراءات التعليمية لا يجدها المستمع فى الحديث الطبيعى الذى يسمعه فى أى مجال من مجالات التحدث، ولذلك لابد من السرعة فى فهم المسموع، والسرعة هنا مطلوبة بشكل أكبر من حاجة المهارات الأخرى إليها كالقراءة أو الكتابة. فالمستمع لا يجد لنفسه فرصة لأن يعاود كلمة فاتته أو يقف عند جملة ليمعن النظر فى معناها، فهو لا يملك التحكم فى سرعة المتحدث.

ولذلك لابد من تنمية بعض مهارات الاستماع لدى المستمع قبل تلقى الرسالة المسموعة ومنها(١):

١ ـ أن يعرف غرض المتكلم.

٢ ـ أن يتعاطف مع المتكلم.

٣ ـ أن يتوقع ما يقال.

٤ ـ أن يستمع للأفكار الرئيسة.

٥ ـ أن يستمع للتفاصيل.

٦ ـ أن يتذكر تتابع التفاصيل.

٧ ـ أن يستخلص الاستنتاجات.

٨ ـ أن يلخص فى عقله ما يقال.

٩ ـ أن يستمع ما بين السطور.

١٠ ـ أن يميز الحقيقة من الخيال.

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧.

١١ ـ أن يميز المادة الأساسية ذات الصلة الوثيقة بالموضوع من المادة غير الأساسية.

١٢ ـ أن يستخدم إشارات السياق الصوتية للفهم.

١٣ ـ أن يستمع فى ضوء خبراته السابقة.

١٤ ـ أن يحلل ويفند ما يقال.

١٥ ـ أن يستمع بتذوق واستمتاع.

**أهمية الاستماع وأهدافه:**

لقد اهتم القرآن الكريم بالاستماع وجعله من الوسائل الأساسية فى تلقى ألفاظه ومعانيه، وأوجب الإنصات عند تلاوته، قال تعالى: ﴿ وإذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فاسْتَمِعُوا لهُ وأنصِتُوا لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وحث على حضور القلب ويقظة الذهن عند الاستماع فقال: ﴿إنَّ في ذلك لذكْرىٰ لمن كان لهُ قَلْبٌ أوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

وقد جعل سبحانه الاستماع الجيد هو وسيلة الاتصال بين العبد وربه ليفهم ما يريده الله من عباده من خلال الآيات لتتم لهم الرحمة المرجوة من تنفيذ أوامره سبحانه.

وقد نبهنا الله سبحانه لأهمية الاستماع وهو يعدد نعمه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لعلَّكُمْ تشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وجاءت سيرة النبى صلى الله عليه وسلم حافلة بآداب الاستماع، وكان مجلسه صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وعلم وتقى لا ترتفع فيه

الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، إذا تكلم أطرق جلساؤه، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم(١).

وقد وصفت عملية الاستماع وصفاً دقيقاً وأميناً، ونظراً لأهميتها الكبيرة وضع فيها العلماء مؤلفات عرفت بعد ذلك بآداب السامع والراوى، واشترطوا فى الراوى أن يكون أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت فيه، لا تعتريه الغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه(٢).

كما جاء فى تراث العرب وأمثالهم ما يدل على أن حسن السمع من حسن الفكر، وسبب من أسباب العلم والفهم والتوفيق فى الرأى والرد والإجابة، فقد جاء فى أمثالهم: «ساء سمعاً فساء إجابة».

وروى أنه لما سئل الإمام على كرّم الله وجهه عن كثرة علمه فقال: «لأننى أسمع أكثر مما أتكلم».

ويمكن أن نجمل أهمية الاستماع وأهدافه فى النقاط التالية:

١ ـ للاستماع أهمية كبيرة فى تحصيل المعلومات والمعارف، وكذلك فى التعرف على كل جديد من التطور العلمى أو الأخبار أو الآراء الملقاة فى المحاضرات والندوات.

٢ ـ التعود على آداب الحوار ومنها حسن الإصغاء للمتكلم واحترام الآخر وأخذ حديثه باهتمام وتوقير.

---

(١) الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفورى. ط ١. جدة: دار حافظ ١٤٢٢هـ. ص٤٣٦.

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى. ط١. حيدرأباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٧١هـ. ص ٥.

٣ ـ التعود على الحكم على النص المسموع بالتحليل والتقويم فى ضوء المعايير المحددة والخاصة بالموضوع.

٤ ـ التعود على التقاط أوجه التشابه والاختلاف بين الآراء المطروحة فى النص المسموع.

٥ ـ تنمية القدرة على استخلاص النتائج من بين سطور المادة المسموعة.

٦ ـ تنمية القدرة على تحديد الأفكار الرئيسة والثانوية والتمييز بينهما.

وقد صور أحد الكتاب العلاقة بين مهارات اللغة من حيث ممارسة الفرد لها قائلاً: إن الفرد العادى يستمع إلى ما يوازى كتاباً كل يوم، ويتحدث ما يوازى كتاباً كل أسبوع ويقرأ ما يوازى كتاباً كل شهر، ويكتب ما يوازى كتاباً كل عام. إن الاستماع بذلك يمثل من حياتنا مكانة كبيرة، ومنزلة خاصة، من أجل هذا نجد القرآن الكريم قد أولى هذه المهارة ما تستحقه من أهمية حيث يقدمها الله عز وجل على البصر فى الآيات التى يرد ذكرهما معاً ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦](١).

والاستماع عملية اتصال كما ذكرنا من قبل، وهى مع المهارات الأخرى كالتحدث والقراءة والكتابة وبهذه المهارات مجتمعة يتم عن طريق أدائها النشاط اللغوى اليومى للإنسان، والاستماع نشاط لغوى «وهذا لا يتم منعزلاً عن غيره من الأنشطة اللغوية، فالسامع لابد أن يسمع شيئاً

(١) طرائق تعلم اللغة العربية: د. محمد بن إبراهيم الخطيب. مكتبة التوبة ١٤٢٤هـ. ص٤٢.

ما، قراءة مثلاً أو حديثاً أو قصة أو موضوعاً أو نحو ذلك، وهذه كلها أنشطة لغوية، ويمكن كذلك أن يستغل المتعلم ما سمعه فى تعبيره الشفهى أو فى أحاديثه الخاصة، كذلك فى كتابته التحريرية والتعبير عن آرائه، وكذلك فى توضيح أو تفسير أو شرح لبعض المواقف المختلفة التى تتطلب ألواناً من هذا النشاط اللغوى المتعدد»[١]. «والواقع أن الاستماع يشكل حوالى ٤٥ ٪ من النشاط اللغوى الذى يمارسه الفرد يومياً»[٢].

وقد حدد أحد الباحثين توظيف الوقت فى عملية الاتصال كالتالى[٣]:

الكتابة: ٩ ٪ القراءة: ١٦ ٪

الكلام: ٣٠ ٪ الاستماع: ٤٥ ٪

**أنواع الاستماع:**

والاستماع أنواع بحسب المستمع وهدفه من الاستماع فمنها[٤]:

**١ـ الاستماع اليقظ:**

وهذا النوع يحتاج إليه المرء فى المواقف التى تكون الحاجة فيها إلى الدقة والفهم أكثر، ففى قاعات الدروس والمحاضرات يكون هذا النوع أمراً ضرورياً. كذلك فى مواقف التوجيهات وإلقاء التعليمات.

---

(١) تدريس اللغة العربية المرحلة الابتدائية: محمد صلاح الدين مجاور.ط٣. الكويت: دار القلم ١٩٨٠.

(٢) المرجع السابق: ص ١٦٧.

(٣) كيف تتحدث وتستمع بفعالية: هارفى أ ـ روبنس. (الجمعية الأمريكية للإدارة) مكتبة جرير. ص ٤٧، ص ١٨٨.

(٤) تدريس اللغة العربية: ص ٤٦.

**٢ـ الاستماع المستجيب:**

وهذا النوع يكون فيه المستمع مشتركاً فى الحديث كما فى المناقشة، فالمستمع يستمع إلى ما يقال ويبدى رأيه.

**٣ ـ الاستماع التحليلي:**

وهذا النوع من الاستماع يحتل مكانة فى نفس المستمع عندما يفكر فيما يقال، وربما يكون ضد خبرته وأفكاره ومعلوماته، فيأخذ المستمع بتحليل ما سمع لإبداء وجهة نظره.

**٤ ـ الاستماع من أجل الحصول على معلومات:**

ويعمد إليه الإنسان للحصول على أفكار ومعلومات من المتحدث فى وسائط الاتصال المختلفة.

**٥ ـ الاستماع الناقد:**

وفيه يترتب على المستمع أن يكون حاضر الذهن منتبهاً لما يقال، حتى يستطيع أن يناقش ويبدى رأيه فيما سمع بناء على خبرته أو خبرات الآخرين بأسلوب علمى سليم.

**نقاط مهمة للاستماع بفاعلية:**

١ ـ تقليل أسباب الإزعاج حتى لا تعوق الاستماع، وتجنب التشويش يتيح فرصة التركيز على ما يقوله المتحدث.

٢ ـ الجلوس فى مكان جيد يتيح الاستماع سواءً كان المتحدث شخصاً ماثلاً أو عبر جهاز صوتى.

٣ ـ تجنب أسباب المقاطعة أو تقليلها حتى تظل الأفكار متصلة ومتتابعة.

٤ ـ التركيز على الفكرة الرئيسة: من الصعب أحياناً تحديد ما يُحدِّث عنه الطرف الآخر، لأن الناس يتحدثون دائماً وهم يفكرون، ويتمنون فى أثناء ذلك أن تكون قادراً على أن تستخلص رسالتهم الأساسية من باقى المعلومات. ولكى لا تفقد اهتمامك بالمتحدث ابحث عن الفكرة الرئيسة من رسالته وحدد أهمية كل المعلومات الأخرى بالنسبة للفكرة الرئيسة(١).

٥ ـ التحكم فى العواطف: «لقد وهبك الله ـ كإنسان ـ مجموعة كبيرة ورائعة من المشاعر سواء أكنت تظهرها للآخرين أم لا، التى تجعل الحياة أكثر بهجة، وللأسف تقف تلك المشاعر كحواجز للاستماع بفاعلية إلى الآخرين حيث إن الكلمات التى تستعملها أو تسمعها لها معنى شخصى لديك، إذ تثير عندك أحاسيس إيجابية أحياناً، وسلبية أحياناً أخرى، لذلك يجب أن تتنبه ـ فى كل الأحوال ـ إلى تأثير بعض الكلمات على قدرتك فى الاستماع. (إذا أصبحت عاطفياً) لأن الطرف الآخر يستخدم كلمة مثيرة للانفعالات (الكلمة التى تثير مشاعر سلبية)، فمن المحتمل أنك ستظهر هذه المشاعر، وتصبح مدافعاً، وبالتالى تفقد قدرتك على سماع رسالته بوضوح»(٢).

٦ ـ مراعاة بعض السلوكيات فى أثناء الاستماع: ومن هذه السلوكيات الحركة فى أثناء الحوار فهى توضح اهتمامك أو عدم اهتمامك بما يقوله المتحدث، ولكى تحسن سلوكك فى أثناء الاستماع عليك بالتالى ـ

* حافظ على حالتك الهادئة واليقظة أيضاً.

---

(١) هارفى أ. روبنس: ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٢.

* شارك بفعالية فى المحادثة.

* قلل التلميحات المزعجة.

* حافظ على فعالية نظرة العين (لا تحملق ولا تهيم بعيداً باستمرار).

* عبر عن استحسانك لحديث الطرف الآخر بشكل غير لفظى (إيماء بالرأس، ابتسامة... الخ).

* تكلم مع الطرف الآخر وجهاً لوجه ولا تكلمه من الجنب.

* حافظ على وضعك الطبيعى (استرخ ولا تقيد الأذرع أو اليدين).

* انحن قليلاً ناحية الطرف الآخر بدلاً من الجلوس مشدوداً أو مترهلاً.

* استخدم الإشارات (وخاصة عند الاستجابة) ولكن تجنب التلويح المزعج باليد، أو اللعب بأقلام الرصاص، أو وخز الشخص بإصبعك.

* أومئ برأسك أو ابتسم(١).

ويمكن أن نجعل قضية السمع أكثر شمولاً إذا تمت الإفادة من منجزات العلوم الأكاديمية المختلفة التى حققت تقدماً كبيراً فى هذا الجانب، مثل: علم الأصوات السمعى وتطبيقات ذلك فى أمراض السمع والكلام فى علم النفس والطب النفسى. ودراسة منجزات تلك العلوم التطبيقية تجعل قضية الاستماع قضية علمية ذات أبعاد تطبيقية وتجريبية وعلاجية(٢).

---

(١) هارفى أ. روبنس: ص ٥٣.

(٢) الأسس العامة لبرامج قراءة الكلام للصم المصريين: د. خالد السيد رفعت ود. وفاء على عمار. مجلة علوم اللغة. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة دار غريب. وكذلك: النمو الفنولوجى فى لغة الطفل: د. روحية أحمد محمد العدد السابق نفسه.

## المهارة الثانية: التحدث

التحدث أو الكلام هو أهم صفة إنسانية بشرية تفرق بين البشر وغيرهم من المخلوقات والكائنات، ولذلك جاء عن الفلاسفة فى تعريفهم للإنسان بأنه (الحيّ الناطق المبين)[1].

والنطق هو الذى يكشف مكنون الإنسان، فاللسان ترجمان الجنان، وقديماً قالت العرب المرء مخبوء تحت طى لسانه لا تحت طيلسانه. وقال زهير:

**لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم**

والحديث دليل على الفكر وتصور الإنسان للحياة والوجود، فقد أثر عن اليونان على لسان أرسطو (يا هذا كلمنى حتى أراك) وكأن الرؤية الحقيقية للإنسان لا تتضح إلا عندما يتكلم ويتحدث، والحديث النبوى هو التطبيق الفعلى للقرآن الكريم فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الأرض ولذلك اهتم المسلمون على مر العصور بحديث النبى صلى الله عليه وسلم، وقد وصف القرآن بأنه أحسن الحديث ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ من الله حَديثا﴾ [النساء: ٨٧].

أهم ما يجب أن نتناوله هنا هو أن للكلام أو الحديث مراحل يمر بها قبل أن يأخذ شكله النهائى وإن شئت فقل: عناصر لا يتم إلا بها ولا يأخذ سبيله إلى عقول الناس وقلوبهم إلا بالوفاء بحقها وقديماً قال الشاعر:

**إن الكلام لفى الفؤاد وإنما   جُعل اللسان على الفؤاد دليلا**

وتتلخص هذه العناصر فيما يلى:

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ. حققه فوزى عطوى. بيروت: دار صعب (د.ت) ص ٥٥.

(١) المقدمة.

(٢) الموضوع.

(٣) الخاتمة.

(٤) الأسلوب.

## أولاً: المقدمة

وهى ما يجعل فى صدر الحديث ليثير الفكر إليها وليعطى السامعين صورة إجمالية لها وليحصل لهم معانيه وأفكاره فى نطاق لا يعدوه ولا يتجاوزه.

### أهمية المقدمة:

(١) تنبيه الغافل ليفتح بصره وبصيرته على ما سوف يطرح من قضايا.

(٢) ترغيب المستمع وتشويقه لمتابعة الحدث.

(٣) إعداد الذهن للاقتناع والإذعان.

وتخصص المقدمات والابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع، فإن كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى لاستماعه.

### مواصفات المقدمة:

لكى تكون المقدمة ناجحة جاذبة للأسماع وللانتباه لابد أن تتوفر فيها هذه الشروط:ـ

١ ـ أن تكون مشوقة كأن تكون قصة موجزة، أو تساؤلاً أو مثلاً أو بيتاً من الشعر، أو حقيقة مثيرة. إلى غير ذلك مما يهز النفوس لتلتفت إلى الحديث بقوة تقطع صلتها بكل ما يشغل بالها لتمضى معك إلى نهاية المطاف.

٢ ـ أن تكون لها صلة تربطها بالموضوع ضماناً لتسلسل الأفكار وإيقاظاً للانتباه. وهذه الرابطة بين المقدمة والموضوع كأنما تنشط الفكر الخامد لينهض ويتابع ويتمتع بصلاحية التلقى عنك بما نفخت فيه من نشاط وحيوية وتلك سمة المتكلم الناجح والكلام المؤثر.

قال الجاحظ: (فإنه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ولا يشير على مغزاك). وجاء أيضاً فى البيان التبيين نقلاً عن ابن «المقفع» وتعليقاً عليه: (وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته).

كأنه يفرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح. حتى يكون لكل فن من ذلك صدره الذى يدل على عجزه[1].

٣ ـ لا تطول المقدمة بحيث تشتت الذهن وتجعل المستمع يتململ من طولها. ويقول بلسان حاله: (متى يدخل فى الموضوع؟).

**من أنواع المقدمات:**

ليس لمقدمة الحديث طريقة خاصة تلتزمها لأن الخطيب حر فى نسج مقدمته كيف يشاء وتشاء ظروف المجتمع والموضوع. ومع ذلك فإن المتتبع لتراثنا الإسلامى والعربى يجد أن مقدمات الأحاديث والخطب كانت تتخذ أشكالاً منها.

---

(١) الخطابة: للشيخ محمد أبو زهرة. القاهرة: دار الفكر العربى ١٩٨٠. ص: ٧٨.

١ ـ حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله وكان هذا عرفاً شائعاً لازماً فى العصر الإسلامى والأموى والعباسى، حتى دأب المسلمون عليه فصار قاعدة يندر خلافها. قال الجاحظ «إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التى لم تبدأ بالتحميد «البتراء»، ويسمون التى لم توضح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى «الشوهاء»[1].

ولم يكن توشيح الخطبة بالقرآن شرطاً فى الخطبة الدينية يوم الجمعة أو العيد فحسب بل كان ــ كما قال الجاحظ مستحسناً فى الخطب كلها لأنه يورث الكلام بهاء ووقاراً ورقة وسلس موقع.

٢ ـ البدء بحكمة أو مثل أو ببعض أقوال المتقدمين أو آية كريمة، أو حديث شريف، ويكون مناسباً فى المقام، كما بدأ أبو العباس السفاح خطبته بعد الاستيلاء على الملك من بنى مروان بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨ ــ ٢٩].

وقد يفاجئ الخطيب أو المتحدث السامعين بما يزعجهم فى مفتتح كلامه كما كان يفعل الحجاج مستشهداً ومقتبساً ومن ذلك قوله فى بداية خطبه له:

**أنا ابن جلا وطلاع الثنايا        متى أضع العمامة تعرفوني**

أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله، وإنى لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنى لصاحبها[2].

---

(١) البيان والتبيين. ص ٢١٥.

(٢) البيان والتبيين. ص ٣٦٦.

٣ ـ قد يستوحى المتحدث اللبق مقدمته من حال الحفل والظروف التى يشاهدها فتحدث أثراً فى النفوس عميقاً.. وذلك كما قال سعد زغلول فى مقدمة خطبة له وهو مريض وكان لا ينوى أن يخطب: «يعز على أن أرى منبر الخطابة منصوباً ولا أستطيع له رقياً، وأن أجد مقال القول واسعاً ولا أملك لساناً فتياً، وأن أجد سامعين ولا أجد صوتاً قوياً»[١].

٤ ـ وقد يبدأ الحديث بسؤال يثير الانتباه يجب عنه فى طيات حديثه، «ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة؟».

## ثانياً: الموضوع:

### اختيار الموضوع:

إذا كان اختيار المرء قطعة من عقله فإن المتحدث اللبق هو الذى يقع منه الاختيار على موضوع مناسب يشد الانتباه ومناسبة الموضع.

١ ـ أن يكون فى مستوى أفهام المستمعين.

٢ ـ ألا يكون مما يبعث على الخلاف.

٣ ـ أن يكون حيوياً متصلاً بحياة الناس.

### ١ـ تناسب الموضوع:

من الضرورى أن يكون المتكلم على دراية بمستوى السامعين ليمكن من اختيار الزاد المناسب؛ فالوسط العمالى غير الوسط المدرسى، والبيئة الريفية شىء يختلف عن البيئة المدنية، والحديث إلى الفاقهين غيره إلى

---

(١) فن الخطابة: محمد أحمد الحوفى. ط٤. القاهرة: دار نهضة مصر ١٣٩٢هـ. ص١٢٨.

المثقفين العاديين، والحديث يختلف حسب عقلية المتلقى، قال الإمام «النووى فى التقريب» وهو يتحدث عن آداب المحدث: ـ (وليتجنب ما لا تتحمله عقولهم وما لا يفهمونه) . وقال السيوطى شارحاً هذا الكلام فى كتابه «التدريب على التقريب»: (كأحاديث الصفات لما لا يؤمن عليه من الخطأ والوهم والوقوع فى التشبيه والتمثيل) . يعنى لإقفال الأحاديث مجتمعة بل مفرقة فى مناسبات. قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟) . وقال ابن مسعود رضى الله عنه: (ماأنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)[1] .

وأى فتنة أعظم من شك فى الدين يتحول إلى تكذيب لله ورسوله من جراء فرض موضوعات على أناس ينال الواعظ منهم بالرفق أضعاف ما ينال بالشدة وبالحديث السهل البليغ أكبر مما يحقق بالقول المعقد.

**٢ ـ تجنب ما يثير الخلاف:**

إن القضية الخلافية حين تعرض عرضاً جماهيراً فإن المعارضين من المستمعين لن يسلموا زمامهم للمتكلم انتصاراً لرأيهم وبالتالى لن يظل فى أذهانهم على الأقل محتفظاً بزعامته الدينية بينهم لاسيما إذا كان لا يسمح بالحوار والأخذ والرد،وكأنها صارت خطبة مثلاً لأن ذلك خارجاً عن الطبيعة.

**٣ ـ حيوية الموضوع واتصاله بالناس:**

لا يمكن للمتكلم أن يمتلك زمام الموقف إلا إذا عاش حياة جمهوره

---

(١) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى: السيوطى. علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح ابن عويضة. بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت) . ج٢ ص ٨٢.

فيتصور القضية المعروضة بكل زواياها ويسلط الأضواء على نفوس المستمعين تشخيصاً لعللها وأن يتأمل ظروف البيئة التى تلف الجميع فى حزمة واحدة.

## ثالثاً: الخاتمة

للختام أهمية كبرى لأنه تلخيص للموضوع فلابد أن تكون الخاتمة قوية التأثير وعميقة الدلالة لأنها آخر ما يبقى فى الآذان.

والمتحدث إما أن يلخص حديثه فى جمل قصيرة وإما أن يستثير السامعين ويلهب مشاعرهم وإما أن يجمع بين الطريقتين.

**شروط جودة الخاتمة:**

١ ـ أن يكتفى بذكر أهم ما جاء فى الحديث إن أراد تلخيصه وإلا لجأ إلى إثارة المشاعر، ويجب أن يكون عالماً بنفسية جمهوره ووسائل استمالته فيدخل عليهم من الباب الذى يثيرهم.

٢ ـ أن تكون الخاتمة قوية العبارة لتهز المشاعر.

٣ ـ أن يدعو المستمعين إلى عمل شيء ما حتى يكونوا إيجابيين لا سلبيين، متفاعلين لا انطوائيين، ويبين لهم الفوائد التى تعود عليهم من إنجاز هذه الأعمال والمضار التى تنجم عن إهمالهم لها.

٤ ـ أن يختم بدعاء مأثور له وللسامعين ولجميع المؤمنين.

٥ ـ أن يختار اللحظة المناسبة للنهاية وقد قيل: إن هذه اللحظة تجئ عندما يكون المستمعون راغبين فى المزيد من حديثك، وقيل إنها تكون بعد أن تبلغ هدفك مباشرة[١].

---

(١) مجلة الرسالة العدد الثانى ذو الحجة ١٤٢٢ ص ٤٦.

## رابعاً: الأسلوب

للحديث عناصر يتكامل بها وتتسق بها معانيه حتى يأخذ بعضها بُحجز بعض وتجعل الغرض منه واضحاً فيكون قريباً مألوفاً واضحاً مكشوفاً إذا أخذ بها المتكلم ضمن حسن الإصغاء وكمال الانتباه من المستمع، ونجملها فى النقاط التالية:

**• الألفاظ:**

يلزم للحديث الذى يراد له أن يشق طريقه إلى القلوب والعقول أن تكون ألفاظه:

١ ـ واضحة مكشوفة قريبة معروفة لا تبعد عن مألوف السامعين ولا تتناءى عن معروفه. وقد تكون الكلمة من العربية الصحيحة التى كانت شائعة عند العرب ولكنها غير شائعة عند الجمهور المتلقى ولهذا تستهجن مخاطبتهم بها لأن المقصود التأثير فيهم، ولا يكون ذلك إلا بما هو مفهوم لهم مأنوس الاستعمال لهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بلسان قوْمه ﴾ [إبراهيم: ٤].

٢ ـ ألا يكون الكلام مبتذلاً سوقياً، وإنما يكون سهلاً فى قوة وسامياً فى وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين ولكنهم يعجزون عن الإتيان بمثله. والخطيب البارع من خطب فى العامة فرفعهم إليه ولم يهبط هو إليهم[١].

٣ ـ أن يكون فى الخطبة ألفاظ مناسبة لخيال الجماعة موظفة

---

(١) فن الخطابة: ص ١٧٨.

لذكريات حية فى نفوسهم. فإن لكل جماعة طائفة من الألفاظ إذا ذكرت أثارت خيالات بالسرور والاطمئنان أو بالسخط والغضب.

٤ ـ ألا تكون الألفاظ قد أبلاها الاستعمال وذكرها يؤدى للابتذال.

٥ ـ أن يختار الألفاظ الجذلة فى مقامها والرقيقة فى مقامه، ففى نحو التهديد والفخر والحث على الجهاد يختار الألفاظ القوية، وفى نحو إظهار الأسى والألم يختار الدقيق من الألفاظ.

**• المعاني والأساليب:**

الحديث هنا ليس حديثاً عن الأسلوب من ناحية التقديم والتأخير والفصل والوصل وإنما نتكلم عن الأوصاف الخاصة بالأسلوب الخطابى وهى كثيرة منها: ـ

١ ـ التصرف فى فنون القول إذ تختلف التعابير بالنسبة للمعنى الواحد أو المعانى من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفى لكى يكسب كلامه حدة ولئلا يذهب نشاط السامعين أو يعتريهم السأم والملل ولغتنا العربية ثرية بالألفاظ متشعبة الأساليب.

٢ ـ حسن التآلف بين الكلمات وتآخى النغم بحيث تنحدر الكلمات على اللسان فى يسر وسهولة ويحسن وقعها فى الأسماع ويكون لها المشاكلة والمشابهة، مثل العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة مقترنة بأختها المشابهة لها.

٣ ـ تنوع الأسلوب بتنوع المقامات وبتنوع أحوال السامعين، فلكل مقام مقال ولكل قوم خطاب.

٤ ـ تجميل الكلام فى بعض الأحوال ببعض وبعض السجع القليل غير بادى التكلف قصير الفقرات.

- **أداء الحديث:**

**أولاً:** النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد، وإذا اعترى النطق ما يفسده ضاع الإلقاء، ولا شيء يذهب بالمعنى الجيد أكثر من النطق الردىء.

والنطق الجيد يحتاج إلى عناصر ثلاثة لابد من توفرها وهى:

**(أ) تجويد النطق:**

أى بإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة فلا ينطق بالثاء سيناً ولا بالذال زاياً ولا بالراء لاماً، ولا التشدق بها بل معناه أن ينطق بالحرف من مخرجه من غير تكلف ولا تشدق بل فى يسر ورفق.

**(ب) البعد عن اللحن وعدم الوقوع فيه:**

وذلك بملاحظة الكلام في مفرداته وعباراته فيضبط الكلمة ضبطاً تاماً ولا ينطلق بغير ما توجيه قواعد النحو فى آخر الكلمات. قال عبدالملك ابن مروان: اللحن هجنة على الشريف، والعجب آفة الرأى. وكان يقال: اللحن فى المنطق أقبح من آثار الجدرى فى الوجه[١].

**(ج) أن يكون مصوراً للمعاني تصويراً دقيقاً:**

بأن يعطى كل كلمة وكل عبارة حقها، فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يتبين منه التأكيد. والجملة الاستفهامية ينطقها بشكل يتبين منه الاستفهام. وفى هذا الصدد إذا أراد المتكلم نفى معنى ما أو توكيد معنى ما فإنه يستطيع أن يعطى النبرة الرئيسة لأية كلمة يريدها، وتدعى هذه النبرة التقابلية أو النبرة التوكيدية. وهذه أمثلة على استخدامها:

---

(١) البيان والتبيين. ص ٣٢١.

١ . **كسر** هانى نافذة الغرفة أمس. يمكن إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الأولى لتوكيد فعل الكسر أو لنفى فعل آخر غيره.

٢ . كسر **هانى** نافذة الغرفة أمس. إعطاء النبرة الرئيسة للفاعل يعنى توكيد أنه هو الذى كسر وليس سواه.

٣ . كسر هانى **نافذة** الغرفة أمس. إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الثالثة فى الجملة يعنى توكيد أن النافذة هى التى كسرت، وليس الباب مثلاً.

٤ . كسر هانى نافذة **الغرفة** أمس. إعطاء النبرة الرئيسة للمضاف إليه يعنى توكيد انتساب النافذة للغرفة، وليست نافذة السيارة هى التى كسرت.

٥ . كسر هانى نافذة الغرفة **أمس**. إعطاء النبرة الرئيسة للكلمة الأخيرة يعنى توكيد الزمان، وهذا هو الشكل الطبيعى للجملة عادة حيث تعطى النبرة الرئيسة للكلمة الأخيرة[1].

**ثانياً: التمهل في الإلقاء:**

وليس بصحيح ما يزعمه بعض الناس من أن المتكلم اللبق هو من يتدفق بيانه تدفقاً سريعاً وتأتيه عباراته على غير مهل بل ذلك عيب يجب الاحتراز عنه لأنه يترتب عليه:ـ

* النطق السريع المشوه لمخارج الحروف ويجعلها تداخل بعضها مع بعض لأن عضلات اللسان لا تأخذ الوقت الكافى للانتقال من حرف إلى حرف.

---

(١) الأصوات اللغوية: د. محمد على الخولى. طـ١ الرياض: مكتبة الخريجى ١٤٠٧هـ. ص١٦٧.

* النطق السريع يجعل المتكلم يهمل الوقوف عند المقاطع الحسنة.

* لا يعطى السامع الفرصة الكافية لتفهم ما يسمع الفهم الكامل والتمهل يجعل الصوت يصل إلى السامعين بأيسر مجهود بينما الإسراع يحتاج إلى مجهود صوتى أكبر.

* كما لا يصح أن يعتقد أحد أن التمهل فى الإلقاء أن يكون النطق هادئاً هدوءاً تاماً فيعدم الحديث الحياة والقوة(١).

## ثالثاً: الصوت الحسن:

من الوازم المتحدث أن يكون صوته شجياً حسناً، فالصوت الحسن تنجذب الناس إليه ويهز إحساسه ويؤثر فى نفوسهم.

أما الصوت الأجش القبيح فيصيب الناس بالسأم والملل من سماعه. والمتكلم البارع هو الذى يروض نفسه على تصوير المعانى وأن يجعل من نغمات صوته وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالات الألفاظ. وأن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان ولعدد السامعين فلا ينخفض حتى يصير همساً، ولا يعلو حتى يكون صياحاً بل لابد أن يكون صوته مناسباً.

وأن يبدأ الحديث بصوت منخفض ثم يعلو شيئاً فشيئاً. وعليه ألا يجعل صوته غليظاً على وتيرة واحدة فإن ذلك يولد النفور والإعراض.

## رابعاً: الإشارة الجيدة:

إن الإشارات هى المخاطبة الصامتة أو هى لغة التفاهم العامة وهى فى كثير من الأحيان صوت الشعور وعبارة الوجدان، فالمتحدث إذا أراد أن يتحدث عن موقف غضب يغضب فيقطب جبينه، ويجعل وجهه

---

(١) الخطابة: ص ١٤٧.

عبوساً ويقبض أصابعه بدافع شعورى فيدل على هذا الموقف ثلاث دلالات: إحداها: لفظية والثانية: صوتية والثالثة: تلك الإشارات البيانية(١).

والإشارات البيانية بعضها شعورى لا دخل للإرادة فيه بل بدافع الإحساس كتحريك الحاجبين للدهشة أو تقطب الجبين للغضب، وبعضها شعورى إرادى قصدى يعمد إليه المتكلم للتأثير كالإشارة للبعيد برفع اليد إلى أعلى بانحراف.

وسواء كانت الإشارة شعورية إرادية أم لا إرادية فهى ذات أثر فى تأكيد الكلام وتقويته فى نفس السامع.

وفى الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسرها الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة.

**أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة مذعور ولم تتكلم**

**فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم(٢)**

غير أنه لا تحسن الإشارة إلا إذا استجمعت هذه الشروط.

١ ـ أن تكون الإشارة ملائمة للمعنى موافقة له ليشعر السامعون بقوة دلالتها وإلا كانت حركة عابسة لا معنى لها.

٢ ـ يحسن أن تسبق الإشارة القول بحيث تكون ممهدة له فيتوقع السامعون اللفظ فيثبت فى النفس الاستعداد النفسى له.

---

(١) الخطابة: ص ١٥١.

(٢) البيان والتبيين. ص ٥٦.

٣ ـ عدم تكرار الإشارة لئلا يدعو ذلك للسأم والملل.

٤ ـ عدم الإكثار من الإشارات والحركات لأنه يذهب سمت الخطيب ومهابته وتأثيره فى السامعين(١).

**خامساً: الوقف والوقفة:**

الجملة التى يقف عندها الخطيب جملة تامة المعنى ذات أثر قوى يملأ النفس. قال الأحنف بن قيس: «ما رأيت أحد تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام وأعطى حق المقام وغاص فى استخراج المعنى بألفاظ مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ»(٢).

أما وقفة الخطيب فهو يقف على مرتفع ليشرف على السامعين وليتمكنوا من رؤيته فإن الرؤية تعين على حسن الاستماع وإذا كان جالساً جلس جلسة معتدلة فلا انحناء ولا تقوس وإن كان واقفاً فيحسن الوقوف فى مكان واحد ولا ينتقل من مكان إلى مكان كالممثل وإلا أثار سخرية السامعين وهزءهم.

---

(١) الخطابة: ص ١٥٢.

(٢) البيان والتبيين. ص ٣٦٢.

## المهارة الثالثة: القـــــراءة

أول خطاب من الله تعالى للرسول ﷺ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وفى تراثنا العربى الإسلامى كثير من الإشارات الدالة على أهمية القراءة ودورها فى حياة الإنسان، فالأمر الإلهى كان بمثابة إشارة عميقة إلى أن مفتاح الحياة ومفتاح الدين القراءة، منها تأتى جميع الخيرات.

القراءة أداة تتسم بدوام الاستمرار والاستخدام من حيث هى إدارة للمتعلم لاستمراره فى التعلم وأداته أيضاً فى الاتصال بالإنتاج الفكرى والأدبى والحضارى لأصحاب اللغة المتعلمة سواء فى الماضى أو الحاضر، كما أنها قد تكون أداة من أدواته فى قضاء الفراغ والاستمتاع به.

والقراءة مهارة من مهارات الاستقبال العقلى، ولذا يقوم القارىء باستقبال الرسالة وفك رموزها ولكى تتم عملية القراءة يحتاج المتعلم لثروة لفظية كافية ومعلومات عن بناء اللغة وتركيبها.. وهى عمنية إيجابية وليست سلبية، ويتضح ذلك فيما يجب أن تنميه فى القارىء فى أثناء عملية القراءة، ومنها:-

١ - القدرة على تعرف الأنماط الصوتية من خلال الرموز المكتوبة.

٢ - إدراك العلاقات التى تجمع هذه الأنماط والرموز، وتكون منها وحدات لغوية تامة.

٣ - معرفة دلالات الوحدات من حيث هى أسماء وحروف وأفعال وظروف زمان ومكان، وعلامات الترقيم...... إلخ.

٤ ـ متابعة المعنى واستخلاصه وتوقع المعانى التالية من خلال معايشة كاملة للسياق. وذلك يتفق مع نموذج جودن مان[١].

الذى يفسر عملية القراءة وكأنها عملية تسير من أسفل إلى أعلى (Bottom - up) أنها تسير من النص المكتوب إلى العقل، وكأنها سهم صاعد من الصفحة المكتوبة إلى الذهن، وفيها يحاول القارىء أن يأخذ المعنى أو الرسالة التى من أجلها كتب النص، وهى بعبارة أخرى تسير من المرسل إلى المستقبل، ومسوقة من النص إلى الذهن (الإدراك) (Text Driven) ونحن عندما نتعلم المواد التى لها طابع موضوعى علمى، مثل تعلم حقائق ومعلومات جديدة تسير وفقاً لهذا التفسير لعملية القراءة، أما التفسير الآخر لعملية القراءة فيقول أنها عملية تسير من الأعلى إلى الأسفل (Top-Down) وفيها يقوم القارىء بتفسير ما يقرأ وتحليله وإعطائه أبعاداً ربما لا تكون موجودة فى النص وربما لم يقصدها الكاتب، وهى تسير من المستقبل إلى المرسل ومسوقة من الذهن إلى النص، أى (concept Driven) وهذا النوع من القراءة يحدث غالباً فى قراءة المواد الأدبية التى لا يكتفى القارىء فيها بما يحدث من (أسفل إلى أعلى)، وبالتسليم بما هو مكتوب وكأنه حقيقة نهائية، بل ويحاول تأويل المعنى وتحليله، وتقييمه. وهذا التفسير للقراءة يتفق مع إدراك الباحث (Goodman) (١٩٧٠) لعملية القراءة وتفسيره لها على أنها لعبة افتراضات نفسية لغوية (Psycho - Linguistic).

وهذا يعنى أن على القارىء وضع فرضيات وتخمينات لما سيقرأ

---

(١) أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق: د. محمد حبيب الله. طـ٢. عمان: دار عمان ٢٠٠٠م.

والوصول إلى تحقيقها خلال القراءة حتى لو لم يفهم بعض الكلمات الواردة فى النص.

ويقترح جودمان (Goodman) خمس خطوات يسير حسبها القارىء الماهر لاستخلاص المعنى النهائى لنص (مادة مقروءة) ـ وهذه الخطوات هى:

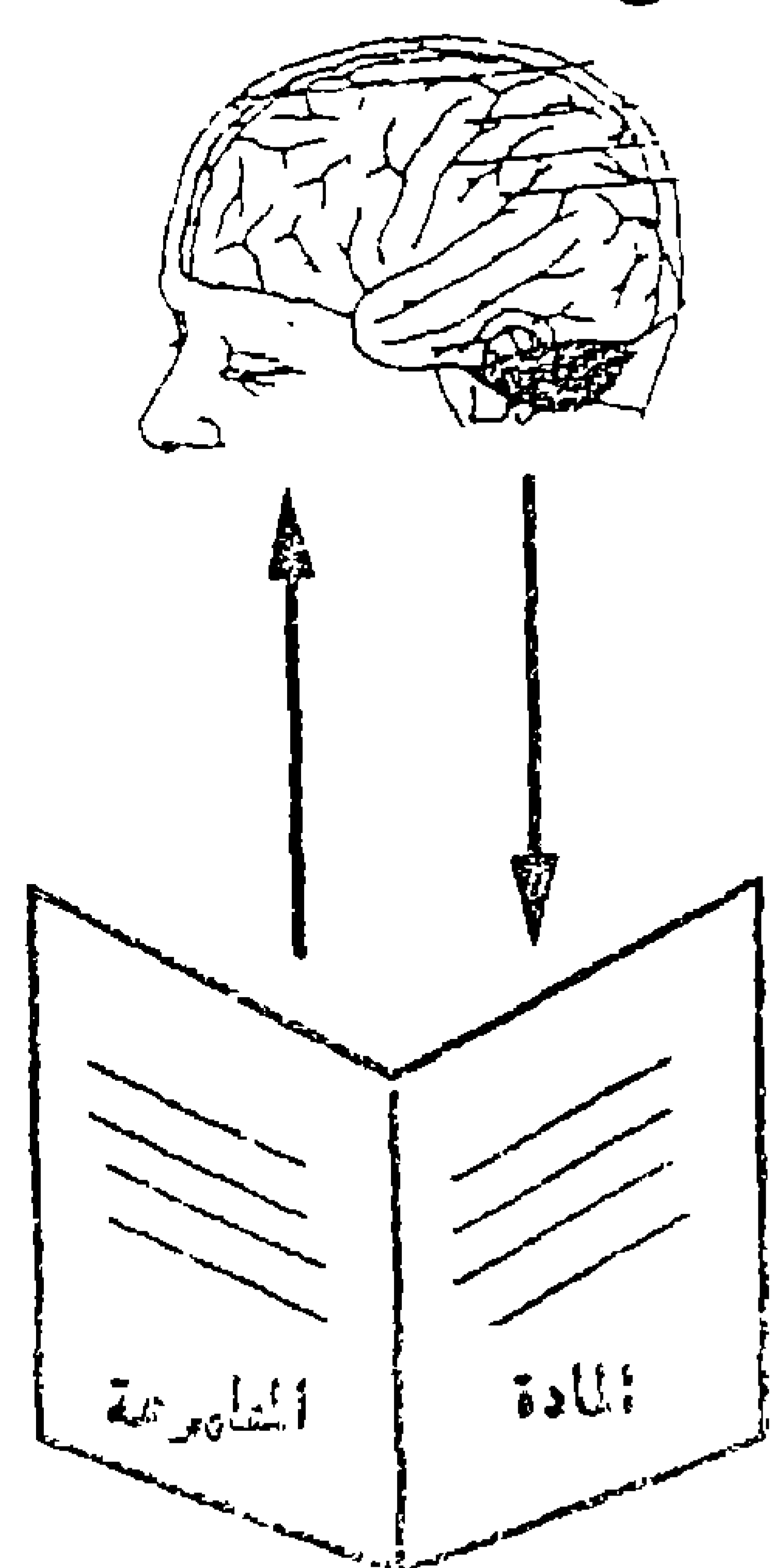
أ ـ ترجمة الرموز (لكلمات المكتوبة) إلى معان.

ب ـ التنبؤ ـ وضع فرضيات ـ ماذا يتوقع أن يقرأ بعد قراءة الكلمة والجملة والفقرة.

ج ـ فحص الفرضيات على أساس المادة التى يقرأها.

د ـ قبول أو رفض الفرضيات.

هـ ـ إصلاح وبناء نهائى للمعنى المقصود من النص.




نموذج السهم الصاعد والسهم النازل

ولشرح نموذج (جودمان) علينا أن نتصور قارئاً بدأ بقراءة الجملة «ثم شاهد ساعى البريد قادماً إليه من بعيد..».

هنا يتوقع القارىء أن ما سيقرأه بعد هذه الجملة هو: «ثم اقترب منه وحياه ...» واستمرار القراءة يؤكد قبول أو نفى ما توقعه، فإذا تأكد له ذلك وقرأ فعلاً ما توقعه فسيفكر أن الكاتب سيقول: «ثم ناوله رسالة إلا أنه يرى عن القراءة أن ما توقعه لم يحدث بل قال «الكاتب: «ثم سأله عن اسم صاحب البيت المجاود ...» وعندما يصحح القارىء المعنى فى ذهنه .. ليصل بالتالى إلى المعنى النهائى للجملة أو الفقرة أو النص».

**مفهوم القراءة:**

فالقراءة تعنى انتقال المعنى مباشرة من الصفحة المطبوعة إلى عقل القارىء، أى أن القراءة التى نعلمها هى فهم المعانى مباشرة وبطلاقة من الصفحة المكتوبة أو المطبوعة.

إذن لابد أن تبدأ القراءة بتعرف واضح للرموز المرئية والصوتية ثم فهم لما تحمله هذه الرموز من معان، ثم رؤية ناقدة تفحص هذه المعانى وتزنها، ثم قدرة على توظيف أثر القراءة فى الحياة باعتبار أن القراءة وسيلة من وسائل إثراء فكر الإنسان وتنمية معلوماته، إذن فالقراءة التى نريد أن نعلمها ليست عملية ميكانيكية بسيطة ولكنها نشاط فكرى يستلزم تدخل جماع شخصية الفرد ومن ثم ينبغى أن يقوم تعلمها على أساس من أربع عمليات:

* التعرف. * النطق.
* الفهم. * النقد.
* حل المشكلات»[1].

---

(١) أساسيات تعليم اللغة العربية: د. فتحى على يونس. ود. محمود كامل الناقة. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨١م. ص ١٦٢.

وليس المقصود من عملية القراءة إجادة العمليات الآلية العضلية والعقلية الضرورية للقراءة ولكن المقصود من عملية القراءة هو الميل إلى القراءة من أجل تحصيل المعلومات وحل المشكلات، فالقارىء يقرأ ويفهم ويتذوق وينقد ويحلل ويتجاوب مع المقروء بحيث ينعكس ذلك على نموه الفكرى والوظيفى.

وقد تطور مفهوم القراءة عدة مرات نتيجة للدراسات والبحوث التربوية.

فبعد أن كانت مجرد تعرف على الكلمات والحروف ونطقها من مخارجها الصحيحة بصوت مسموع، أصبحت تستلزم الفهم والربط والاستنتاج ثم نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية اتجه الدارسون إلى العناية بالنقد لتحليل النص ومناقشته ليتمكنوا من الحكم عليه والأخذ منه ما تقبله عقولهم وإبداء الرأى بدون خوف أو اضطراب «ومن هنا أضيف إلى مفهوم القراءة عنصر آخر هو تفاعل القارىء مع النص المقروء، تفاعلاً يمكنه من إحداث رد فعل ما بالرضا أو بالسخط أو بالإعجاب والتقدير، أو بالحزن أو السرور أو نحو ذلك، مما قد يكون نتيجة نقد المقروء، والتفاعل معه وبذلك أصبح مفهوم القراءة على النحو التالى: نطق الرموز وفهمها ونقدها وتحليلها والتفاعل معها وحدوث رد فعل بالنسبة لها، ثم تطور إلى أن يستفيد الإنسان من القراءة فى حل المشكلات التى تعترضه فى حياته من جميع جوانبها، وتنمى لديه اتجاهات إيجابية نحو نفسه ومجتمعه، وتغير من سلوكه إلى الأفضل. وإذا لم يتمكن من ذلك لا يعد قارئاً. ثم تطور فهم القراءة ليشمل الإمتاع والاستمتاع للإنسان

بما يقرأ،وذلك إضافة لضروب التسلية والمتعة الأخرى من تلفاز ومذياع التى تخفف عن الإنسان عناء العمل اليومى، والفراغ فى حياته، فالقراءة أفضل الوسائل التى تغذى العواطف والمشاعر فى هذه المجالات[١].

**مهارات القراءة:**

لابد أن يتقن القارىء عدة مهارات ليمكنه النجاح فى عملية القراءة والوصول إلى الأهداف المرجوة منها من هذه المهارات.

١ ـ التعرف على الرموز اللغوية (الحروف ـ الكلمات).

٢ ـ الفهم والاستيعاب وهو فهم المعنى الحقيقى للكلمة من خلال السياق.

«فقد أشارت بعض الأبحاث الميدانية التى أجريت على الطلبة الذين يعانون من صعوبات فى القراءة أن أحد الأسباب فى ضعف القراءة يعود إلى الفوضى العرفية عندهم، ويقصد بالفوضى المعرفية الاقتصار على فهم معانى المفردات بشكل منعزل عن موقعها فى العبارة أو الجملة، أى أنهم يعتبرون القراءة عبارة عن لفظ الكلمات لفظاً صحيحاً وفهم معانيها. فعندما يقرؤون قصة مثلاً فإنهم يفهمون كلماتها ولكنهم يعجزون عن فهم مغزى القصة والحكمة من تناسقها والمعنى المقصود من توالى الأحداث بالطريقة التى عرضت به، فهم لا يستخدمون التفكير فى أثناء القراءة ويكونون غير راغبين فى بذل المجهود اللازم لاستخلاص المعنى من النصوص»[٢].

---

(١) طرائق تعليم اللغة العربية: د. محمد بن إبراهيم الخطيب. مكتبة التوبة. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. ص ٥٨ ــ ٥٩.

(٢) تعليم التفكير: د. إبراهيم أحمد مسلم الحارثى. ط٢. ص ٢٠٨.

وقد قسم الباحثون القراءة إلى ثلاثة أقسام لحصول عملية الفهم هى[1] قراءة السطور وقراءة بين السطور وقراءة ما وراء السطور، وأطلق عليها آخرون اسم:

١ ـ المستوى الحرفى (لمعرفة ما هو مكتوب فى النص).

٢ ـ المستوى التفسيرى (للتفسير والشرح وتحليل النص).

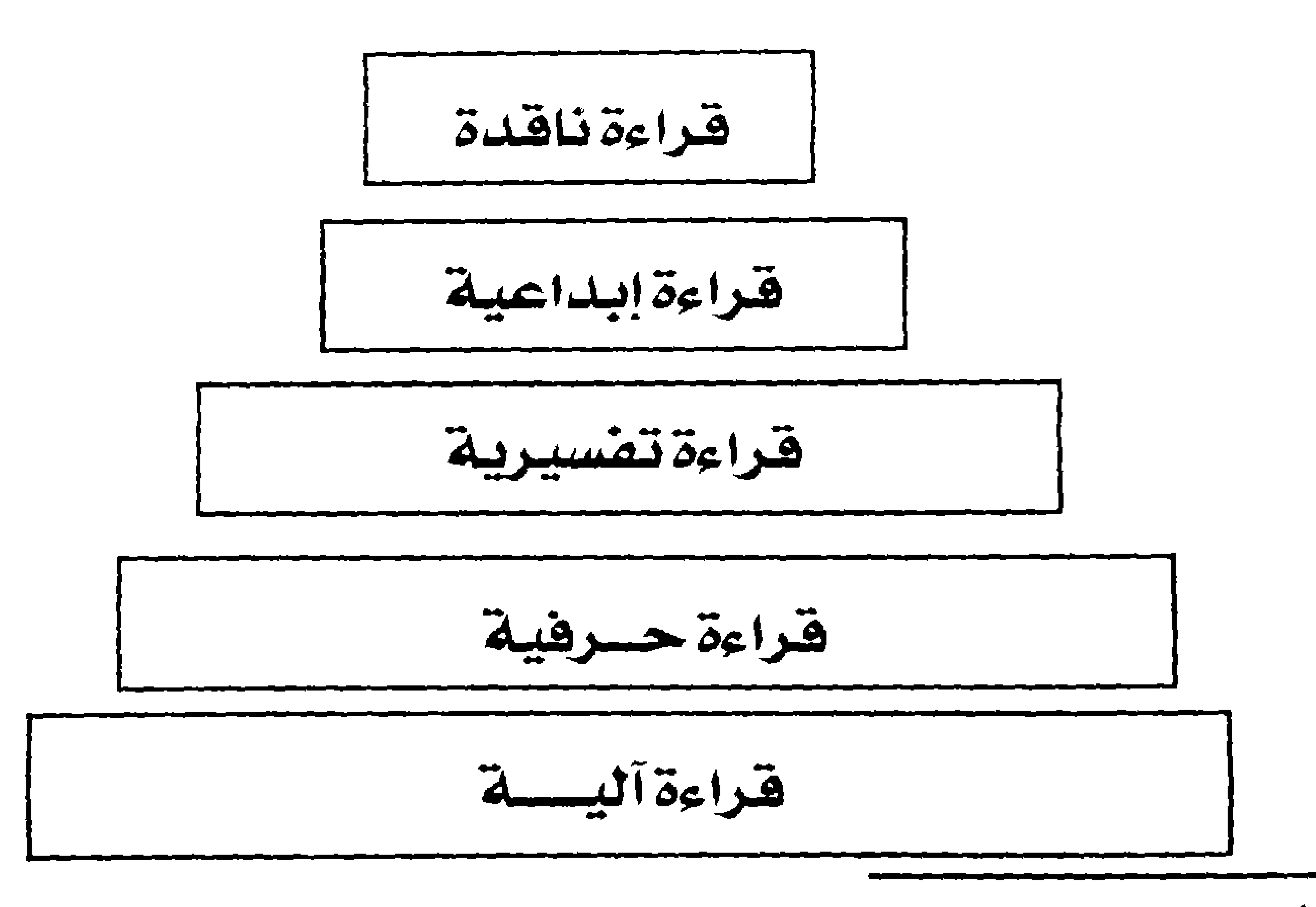
٣ ـ المستوى التطبيقى (لاستخلاص النتائج أو وصف المشاعر أو تحليل الشخصيات أو تفسير السلوك) فمن يقرأ ليحل مشكلة خارجية أو ليكتب قصة أو يعمل عملاً إبداعياً آخر فهو يقرأ ما وراء السطور وهذه هى القراءة الإبداعية.

فهناك عدة مستويات للقراءة وقد أطلق البعض عليها[2].

ـ القراءة الحرفية. ـ القراءة التفسيرية.

ـ القراءة الإبداعية. ـ القراءة الناقدة.

وعليه نستطيع أن نكون مبنىً هرمياً لفهم المقروء، يعتمد فيه كل مستوى على المستويات التى قبله.




(١) أسس القراءة وفهم المقروء: ص ٢٩.

(٢) المرجع السابق: ص ٣١.

ومما سبق يكون المستوى الحرفى (قراءة السطور) أو القراءة الحرفية.

يسأل فيه القارىء عن:

١ ـ ماذا قال الكاتب عن؟

٢ ـ ما هى النقاط المهمة؟

٣ ـ قارن بين....؟

٤ ـ ما هى الكلمات الصعبة وما معناها؟

٥ ـ ما هو الموضوع الرئيس؟

٦ ـ ماذا كانت الأسباب؟

ب ـ والمستوى التفسيرى (قراءة ما بين السطور) أو القراءة التفسيرية: يسأل فيه القارىء عن:

١ ـ ماذا قصد الكاتب؟

٢ ـ عن ماذا يتحدث الكاتب فى الحقيقة؟

٣ ـ ماذا نستنتج من النص؟

٤ ـ كيف تفسر عمل/ سلوك البطل؟

٥ ـ ما هو شعورك بعد قراءة النص؟

ج) والمستوى التطبيقى (قراءة ما وراء السطور) القراءة الإبداعية الناقدة وحل المشكلات.

١ ـ ماذا تقترح؟ ماذا تفعل لو كنت مكان؟

٢ ـ كيف تستفيد مما تأتى لحل المشكلة تواجهك؟

٣ ـ ما رأيك فيما يقول الكاتب؟

٤ ـ هل الكلام دقيق، هل هذا الكلام رأى أم حقيقة؟

٥ ـ هل تستطيع إبداع عمل يوازى هذا العمل أو ينطلق منه لفكرة أخرى إبداعية؟

وهو بعبارة أخرى القدرة على محاكاة النص.

**٣ ـ السرعة في القراءة:**

من المهارات الجديرة بالاهتمام السرعة فى القراءة فهى مقياس للنمو العقلى عند القارىء لأن السرعة فى الكتابة تتوقف على قوة عضلة اليد. أما السرعة فى القراءة فهى توقف نوع المادة المقروءة، وعلى الهدف من القراءة (استيعاب ـ تحصيل ـ تسلية) وقياس سرعة القراءة لابد أن يقترن بالفهم، فالتعرف الصحيح لسرعة القراءة هو سرعة فهم المادة المكتوبة فلكى نقيس سرعة القراءة يجب أن نقيس السرعة التى يفهم بها الشخص مادة ما، «فليس من الضرورة أن يكون القارىء المسرع قارئاً جيداً»(١).

**أنواع القراءة:**

تنقسم القراءة إلى أنواع حسب الغرض منها فهى من حيث نشاط القارىء وهدفه من القراءة نوعان:

---

(١) طرائق تعليم اللغة العربية. ص ٧٣.

١ ـ قراءة صامتة.

٢ ـ قراءة جهرية.

وكل نوع من هذين النوعين يصلح لعدة أهداف تتوقف كلها على المرحلة التعليمية أو المستوى الثقافى للقارىء ودرجة المهارة اللغوية التى وصل إليها النوعان يصلح للهدف العام من القراءة وهو إما أ ـ قراءة استماعية ب ـ وقراءة درس وتحليل.

وكذلك يصلح للهدف الخاص للقارىء:

أ ـ قراءة لقضاء وقت الفراغ.

ب ـ قراءة من أجل الحصول على معلومة معينة.

ج ـ قراءة من أجل الحصول على التفاصيل.

د ـ قراءة من أجل التأمل والتحليل والاستنتاج وكذلك يصلح النوعان لهدف تعلم اللغة.

سواء كانت القراءة مجرد تعريف رمزى صوتى وهى مرحلة السيطرة على ميكانيكيات القراءة أو القراءة من أجل الفهم وهى مرحلة القراءة والارتباط بالمعنى.

أو القراءة التحليلية الواسعة وهى مرحلة الاتصال بكل ما تعبر عنه اللغة من فكر وثقافة.

ولكل نوع من النوعين سماته وفوائده ويتوقف على:

١ ـ الغرض من القراءة.

٢ ـ طبيعة القارىء ومستوى ثقافته اللغوية.

## القراءة الصامتة:

وهى القراءة التى تعتمد على العين فقط دون تحريك للشفتين أو إصدار أى صوت مسموع، ولذلك هى تعتمد أساساً على الفهم والاستيعاب وعامل السرعة فيها ضرورى لتوفير الوقت والاطلاع على قدر كبير من المادة المقروءة، فالقراءة الصامتة قراءة سريعة بفهم واستيعاب، وهما ضروريان وبدونهما لا يقع القارىء على الظاهر من النص فضلاً عن باطنه وخفيه من الدلالات والمعانى، فسرعة التقاط عدد كبير من كلمات الصفحة المطبوعة يعضده ما استطاع الذهن استيعابه.

ولا شك أن القراءة الصامتة توفر الوقت أضعاف ما توفره القراءة الجهرية، وهى تعطى فرصة للذهن أن يفهم فى هدوء ويستوعب دون تشويش ويفكر ويتأمل لينقد ويحكم على النص فى أقصر وقت أو تحصيل المعلومة والتقاطها فى النص الذى لا يحتاج إلى كثير من التأمل. وهى تنمى القدرة على القراءة من أجل الاستمتاع والترفيه وقضاء الوقت.

وهى للغرض التعليمى تعين المعلم على قياس مستوى الطلاب، فهى درجة أعلى من مستوى القراءة الجهرية، والانتقال إليها لابد أن يتم من خلال سلسلة متدرجة فى الصعوبة من مواد القراءة، وتكون بالبطاقات الورقية المكتوب عليها النص المراد قراءته، ويعطى للطالب فرصة لقراءتها صامتاً، ثم يسأل الطالب فى المحتوى من الأفكار الرئيسية والعامة، ونطلب منه أن يضع عنواناً للفقرة ويستخرج الألفاظ الجديدة عليه. والقراءة الصامتة فى هذا المجال تعد مقياساً جيداً لحسن المهارة عند الدارسين، وذلك إن أجادوا الفهم مع سرعة القراءة لأن المعلم لابد أن يضع وقتاً وجيزاً لو كان مضغوطاً ليستحث الطلاب على السرعة فى التقاط المعلومات أو الحكم على النص.

وعلى المعلم أن يختار النص المناسب لقدرات القارئين ويحثهم على التركيز والانتباه للموضوع وأهدافه. ولو قرأ المتعلم النص قراءة ثانية فى زمن أقل ثم ناقشه أحد فيما قرأ من مفاهيمه وما استصعب عليه من معانيه لكانت النتائج أفضل من المرة الأولى. والقراءة الصامتة وسيلة جيدة لتحقيق الأهداف وليست هدفاً فى ذاتها(١).

**القراءة الجهرية:**

القراءة الجهرية: هى تعبير شفوى عن المدلولات والمعانى التى يقع عليها البصر ويدركها الذهن من النص المقروء، وهى تزيد على القراءة الصامتة بنطق الكلمات والجهر بها والتعبير بالنبرة والتنغيمية الصوتية عن المعنى الوارد فى النص، وكذلك تظهر من خلالها انفعالات القارىء بالمادة المقروءة.

وهى فرصة عظيمة للتدريب على مخارج الحروف وقياس قدرة القارىء على النطق السليم للرموز الكتابية، وحسن توظيف علامات الترقيم، أثناء التعبير الشفوى، وهى أكثر صعوبة من القراءة الصامتة لأنه مع التشويش الصوتى قد تضيع بعض المعانى أو يفقد القارىء التركيز فى مدلولاتها، أو يحتاج الرجوع إلى السطور السابقة مرة أخرى لإدراك المعنى متصلاً متكاملاً، فالتركيز والوعى أو ما يمكن أن نطلق عليه التربص لالتقاط المعانى أو تحدى النص لإثبات القدرة على الاستيعاب مع تحريك الشفتين حتى تتم المهارة بنجاح ويصل القارىء إلى أهداف

---

(١) تدريس فنون اللغة العربية. د. على أحمد مدكور. طـ١. الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٤م. ص ١١٥ ـ ١١٨.

النص بسهولة ولذلك ينبغى أن يراعى القارىء عدة أمور فى أثناء القراءة الجهرية منها:

١ ـ عدم التردد وتجنب القراءة كلمة كلمة.

٢ ـ تسلسل النطق والصوت تسلسلاً طبيعياً مع تركيب الجمل دون أخطاء صوتية.

٣ ـ التعبير عن المعانى التى يحتوى عليها النص بالنبر والتنغيم المناسبين.

٤ ـ الالتزام بعلامات الترقيم وتوظيفها فى أثناء القراءة.

٥ ـ التعرف على الحروف التى تنطق ولا تكتب والحروف التى تكتب ولا تنطق.

٦ ـ التعرف على حروف العلة للتفرقة بين الحركة فى حرف مفتوح مثلاً (ح) وبين حرف المد فى (حا) وحرف العلة فى (سعى) أو (دعا) أو الألف اللينة فى (ليلى) و(سلمى)[١].

## من أجل قراءة ناجحة

### نظام الخطوات الخمس: (SQ3R)[١]

وهو أسلوب منظم وضع لمساعدة الطلاب فى قراءة الكتب والنصوص العلمية بطريقة فعالة، وصاحب هذا النظام هو هارفى انسيس روبنسون (١٩٤١) من جامعة ولاية أوهايو. وقد اكتسب هذا النظام شهرة لا من أجل المبادىء العلمية التى يقوم عليها فقط، وإنما لأن الاسم أو

---

(١) تدريس فنون اللغة العربية. ص ١١٨ ـ ١٢١.

الرمز الذى اختير له يجعل عملية تذكر خطواته الخمس سهلة حيث يتكون هذا الاسم من مجموع الأحرف الخمسة الأولى لأسماء الخطوات الخمس:

استطلع (تصفح) (S) Survey

اسأل (Q) Question

اقرأ (R) Read

استذكر (R) Recite

راجع (R) Review

**والخطوة الأولي ـ استطلع** Survey:

وتعنى استطلاع أو مسح أو تصفح المادة المنوى قراءتها، وذلك بالنظر إلى جميع العناوين الواردة فى الفصل وقراءة الخلاصة الواردة فى نهايته (إذا وجدت) وقراءة الفقرة الأولى والنظر إلى الكلمات البارزة. وهذه العملية التى لا تستغرق وقتاً طويلاً، وتهيئ القارىء نفسياً وعقلياً للمادة وتحول قراءته إلى قراءة هادفة، وتجعله يتعرف مسبقاً على الأفكار والمضاعفات، ويكون فكرة عامة عن طبيعة المادة التى سيقرؤها وتجعل قراءته تسير من العام إلى الخاص تمشياً مع مبادىء التعلم النفسية.

**الخطوة الثانية ـ اسأل** Question:

يعد تكوين فكرة عامة عن المادة، ولكى تتحول القراءة إلى هادفة يضع القارىء أسئلة حول المادة التى سيقرؤها، فيضع سؤالاً حول العناوين الجانبية وأسئلة فرعية أخرى تتراءى له من تصفحه للمادة: هذه الأسئلة

---

(١) أسس القراءة فهم المقروء: ص ٤١ ـ ٤٢.

تولد لدى القارىء حافزاً للقراءة، وتساعد فيما بعد على تذكر للمادة وإبراز النقاط والأفكار المهمة فى النص.

**الخطوة الثالثة: اقرأ** Read (RI):

بعد عملية التصفح ووضع الأسئلة يبدأ القارىء بقراءة المادة ويشكل مكثف بهدف الإجابة عن جميع الأسئلة التى آثارها ويرغب فى الإجابة عنها، ويجب أن يتذكر القارىء الأسئلة حسب ترتيبها وأن يقرأ المادة بالتدرج، ويتأكد أن لديه الإجابة عن كل سؤال فى أثناء عملية القراءة، وينصح بعدم قراءة الوحدة أو الباب كاملاً دفعة واحدة.

**الخطوة الرابعة - استذكر** Recite (R2):

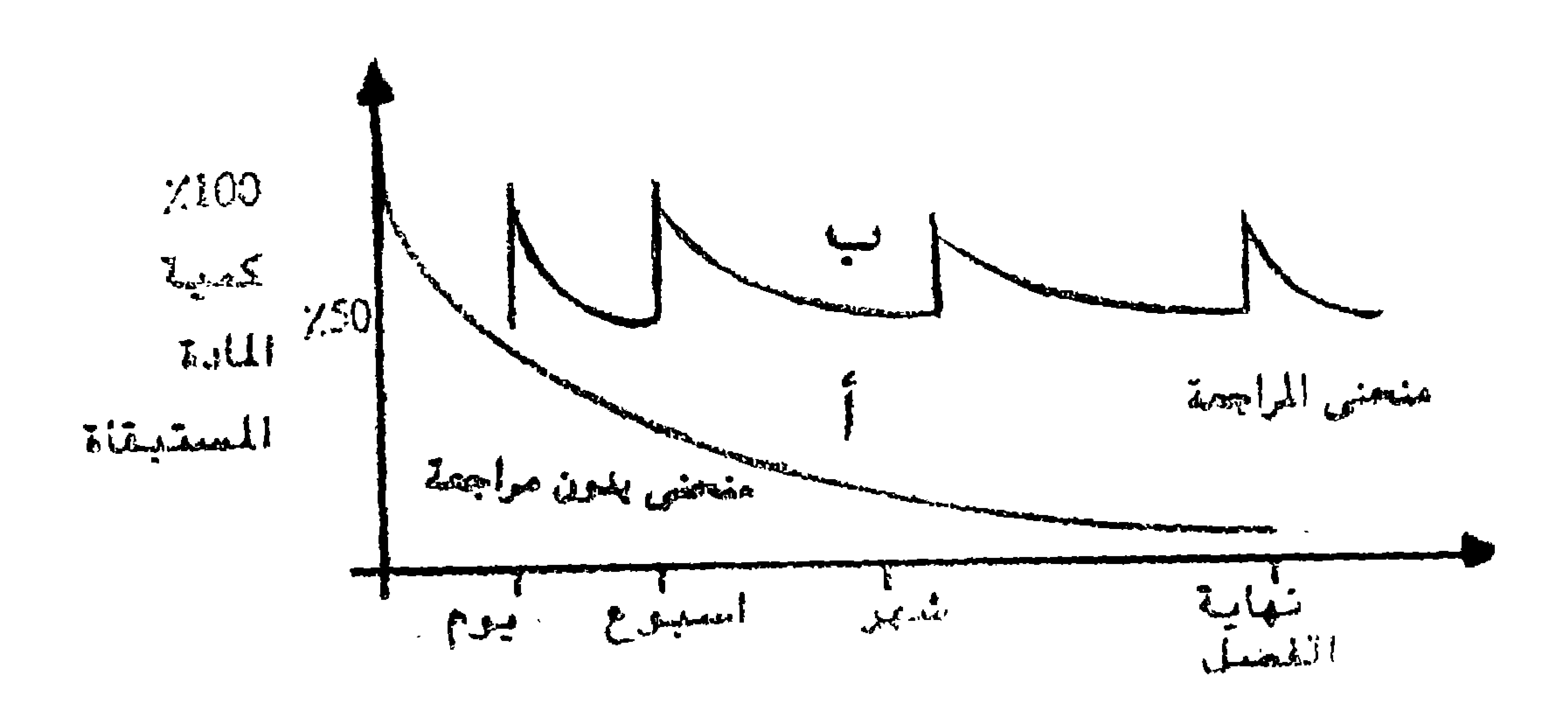
بعد الفراغ من قراءة المادة المقرر قراءتها يضع القارىء الكتاب جانباً ويحاول أن يستذكر ما قرأ وأن يجيب عن كل سؤال طرحه على نفسه فى الخطوة الثانية، ويمكن استعمال كلمات القارىء الخاصة للإجابة بدلاً من الرجوع إلى كلمات الكتاب. إن عملية الاستذكار هنا مهمة جداً وأهم من قراءة بل تكاد تكون شرطاً مسبقاً لقراءة المادة مرة ثانية، لأن ذلك نشاط عقلى يساعد على الذكر ولمدة زمنية أطول، ويشكل أساساً جيداً لفهم الفقرات اللاحقة ويزود الطالب بتغذية راجعة (حول كيفية أدائه).

**الخطوة الخامسة - راجع** Review (R3):

النسيان أمر طبيعى لدى القارىء ويمكن أن يحدث أحياناً بعد ثوان قليلة من القراءة لذا وجب:

أولاً: العودة إلى الإجابة فى الكتاب لكل سؤال لم ينجح القارىء فى استذكاره فى الخطوة الرابعة.

وثانياً: مراجعة المادة كلياً وعلى الفور وكذلك إجراء مراجعة دورية للمادة. (انظر الرسم البيانى للتذكر):




خط (أ) يمثل الطريقة التقليدية.

خط (ب) يمثل طريقة SQ3R

ـ رسم بيانى لنسبة التذكر بعد فترة زمنية معينة من التعلم.

## المهارة الرابعة: الكتـــــابة (الإنشاء)

### الإنشاء في اللغة:

الإنشاء مصدر أنشأ،وأنشأ مزيد نشأ بالتعدية جاء فى القاموس: نشأ نشوءاً.. حيى وربا وشب، وأنشأت السحابة ارتفعت، وأنشأ الله السحاب: رفعه، وأنشأ الحديث وضعه.

وجاء فى أساس البلاغة للزمخشرى: أنشأ الله الخلق فنشأوا ﴿وننشئهم النشأة الأخرى﴾ وأنشأ حديثاً وشعراً وعمارة واستنشأته قصيدة فى الزهد فأنشأها لى، وأنشأ القلم فى الحفازة والشراع واستنشأ رفعه[1].

فبالاستناد إلى هذه المعانى اللغوية يمكن القول بأن أنشأ لغةً تفيد معنى خلق كما تفيد معنى الارتفاع ـ والاتفاق فى المعنى اللغوى لا يعنى الاتفاق فى المعنى الاصطلاحى. فخلق: تفيد إيجاد الشىء من العدم وهذا الخلق لا يصح فى الكاتب المنشىء لأن المعانى لا تخلق من العدم فهذا النوع من الخلق (الخلق من العدم) خاص بالذات الإلهية، ويدل على الإيجاد المطلق[2].

وإذا كان من معنى الإنشاء: الإيجاد مع الارتفاع والسمو فإن ذلك يشير إلى ضرورة الإتقان فى الكلام والمنشأ.

### الإنشاء اصطلاحاً:

يذهب بعض الأقدمين إلى أن الإنشاء هو: استنباط المعانى والتعبير عنها بفكر ملائم.

---

(١) أساس البلاغة: جار الله القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، ج٢، ص ٤٤١.

(٢) انظر الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء: د. فاروق الطباع، بيروت: مكتبة المعارف. ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

وفى عرف بعض المحدثين الإنشاء هو الكتابة الجيدة.

ويعرفه د. عمر فاروق الطباع تعريفاً آخر فيقول فى كتابه «الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء»: الإنشاء: «تعبير فى قالب لفظى يوحى بأغراض المتكلم».

وفى تعريف آخر: التعبير: فيض يجرى بخاطر الكاتب فيصور مدى انعكاس ما يراه أو يسمعه بعبارات فيها ألفاظ تحدد وأفكار توضح ومعان تترجم ما يختلج الصدر من عواطف ومشاعر وأحاسيس(١).

وهو أيضاً إطار حواشيه خلاصة المقروء من فروع اللغة العربية وآدابها، ولن يستطيع إنسان أن يعبر دون أن تكن لديه ذخيرة لغوية وعاها من قراءاته(٢).

ولهذا فإن المنشىء كالأديب كلاهما غايته إيضاح ما يدور فى نفسه من خواطر ومشاعر، فالتعبير هو جوهر الإنشاء وحقيقته.

## مكانة الكتابة والإنشاء:

نعرف مكانة الإنشاء إذا عرفنا قيمة الكلمة، فالكلمة لها وقعها ولها صداها الذى ينجم عنها، فرب كلمة أنقذت صاحبها من التهلكة، ورب كلمة أوردته موارد الهلكة. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) طرق تدريس اللغة العربية: د. عبد المنعم سيد عبد العال. دار غريب. ص ١٢٣.

فالكلمة وسيلة الإعلام الأولى التى تسير أمور الممالك وتشجع الجنود وتقرب البعيد وتكون فى حال المعركة بمثابة جيش كامل العدد والعدة وفى حالة السلم مسير الدولة (ويؤيدنى فى ذلك ما قاله الناصر صلاح الدين الأيوبى رحمه الله فى وزيره وكاتبه القاضى الفاضل، عندما وجه كلامه لجنوده قائلاً «إن أسلحتكم لم تصنع النصر وحدها، بل الذى ساعد فى ذلك هو قلم القاضى الفاضل» . وكان هذا الرجل حقاً بارعاً فاضلاً فى صناعة الكتابة والترسل)(١) .

## كيف تكون كاتبا بارعا

للكتابة كأى فن من الفنون شروط وأركان عليها مدار الإجادة فى نواحى فنونها أهمها ما يلى:

### أولاً: الموهبة أو الاستعداد الفطري:

الموهبة أو الاستعداد الفطرى الذى يساعد الإنسان على تفهم حقائق الأشياء، وهذا الاستعداد لا يخلو من أهمية فى اكتساب المعارف على وجه العموم والقدرة على إصابة المعانى على وجه الخصوص. وقد اصطلح الأقدمون على تسمية الموهبة بالعقل الغريزى أى القوة الإدراكية التى فطر عليها الإنسان، وهذه تعتمد على قوى طبيعية أخرى أهمها المخيلة، الذاكرة، الشعور، الإدراك.

ونحاول أن نتعرف على أثر هذه القوى فى تكوين الذائقة الكتابية.

---

(١) قواعد الكتابة العربية والإنشاء: د. عبد الواحد حسن الشيخ. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ص ١٨٥ .

**المخيلـــة:**

قال الراغب الأصفهانى: «الخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتـصورة فـى المنام وفى المرآة وفى القلب بعـيـد غـيـبـوبة المرئـى، ثم تستعمل فى صورة كل أمر متصور، وفى كل شخص دقيق يجرى مجرى الخيال»[1]. والواقع أن المخيلة بتفاعلها مع سائر القوى الإدراكية تستطيع أن تخلق من الصورة المحفوظة مادة خيالية، تكون أساساً فى كل توليد معنوى جديد، فهى إذن ذات وظيفتين: الحفظ والتوليد، من هنا كانت ذات طابعين المخيلة الحافظة والمخيلة المبدعة، والسمو فى التعبير الأدبى يقتضى تنمية المخيلة لتصبح قادرة على الإبداع.

**الذاكـــرة:**

إذا كانت المخيلة قوة لحفظ صور المحسوسات والعمل على توليد صور جديدة منها، فالذاكرة قوة تحفظ صور المعانى المجردة عندما يدركها العقل، ولذلك سميت أيضاً الحافظة.

والشأن فى الحافظة كما هو فى المخيلة فعملها لا يقف عند الحفظ فحسب، فنمو الذاكرة بعوامل الإدراك والاطلاع المستمر كفيل بأن يخلق من المعانى المختزنة، معانى جديدة مولدة. وعمل المخيلة أو الذاكرة لا يأتى إلا بإشارتهما عن طريق الشعور والإدراك اللذين يشكلان المنافذ بين الذات والعالم الخارجى، فبواسطتهما تنقل إلى القوتين المتخيلة والحافظة صور المحسوسات والمعقولات.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهانى. تحقيق: صفوان عدنان داوودى. ط٢. دمشق: دار القلم ١٤١٨هـ، ص ٣٠٤.

**الشعـــور:**

ويُقـال له الحس أيضـاً وهو قوة تثـيـر الإنسـان وتحرك عـاطفتـه بما تحمل إليه من إحساسات مختلفة، تولد بدورها مشاعر مختلفة، يعبر عنها صاحبـها بضروب من الكلام. فالألم واللذة والحزن والغضب كل هذه تثير عواطفنا فتـجدنا فى حـاجة إلى تصوير وجداننا المنفعل بها، قال ابن عبد ربه: إن الكلام العذب إذا حل فى القلب أحدث فيه حركة وهزة».

**الإدراك:**

قوة تثير العقل قد يقال لها الذكاء وهو عبارة عن سرعة الفطنة، وعليه المعـوّل فى تفهم الحقائق المختلفة.

**عملية التعبير:**

للنفس إذاً نافـذتان همـا: الحس والإدراك. وبهـمـا تتـسـرب الصـور الخارجية، الحسية منها أو المعنوية إلى الوجدان والعقل فتثيرهما، وهذان يثيران بدورهما المخيلة والحافظة. وما ضروب الإنشاء إلا تعبير عن المشاعر والإدراكات المخلفة، التى تولدها عملية الانفعال بين الذات والمحيط الخارجى.

**لماذا تتفاوت المواهب؟**

تتـفـاوت قـوة الموهبـة فى الأشـخـاص بتـفـاوت عـمل هذه القـوى الغريزية فيـهـا... وهذا ناشيء بما يطرأ على ملكة الذوق من عـوامل الاكتساب التى تنفذ إلى العقل الغريزى عن طريق الاختبار والممارسة والاطلاع فتـصـقل قواه وتهـيئ لإعطاء ثمرات أينع مما لو بقى عـقـلاً غريزياً صرفاً.

فالموهبة إذاً ليست كل شيء في صناعة الإنشاء، فللاكتساب ثمرته، وللدربة والمران أثرهما في الانتقال بالمنشيء من سذاجة الفطرة إلى جمال الصنعة[1].

## ثانياً: المطالعة:

الركن الثاني من أركان الإنشاء هو المطالعة. والمطالعة لفظ مشتق من اطلع على الشيء، أي أدركه بالوقوف على حقيقته، ومنه المَطْلَع: أي موضع الاطلاع من مكان مشرف إلى انحدار.

## المطالعة غير القراءة:

استناداً إلى مدلول اللفظة اللغوي نشير بأن المطالعة غير القراءة من ناحيتين:

١ ـ كونها تفيد التعمق في فهم الكلام وتدبر وجوهه، وهذا لا تدل عليه القراءة العادية.

٢ ـ كونها تتناول التصانيف الكتابية.

## فوائد المطالعة:

المطالعة توقظ الاستعداد الفطري وتصقل الموهبة، فهي بمثابة مرقاة يعتمد عليها في إثارة الذهن وتحريك المشاعر وتوليد أجمل الكلم، بالإضافة إلى وقعها في النفس. قال الجاحظ: «القراءة تشحذ الفكر وتجلو العقل وتحيي القلب وتقوي القريحة وتعين الطبيعة وتبعث نتاج العقول

---

(١) الوسيط ١٤٧ وبعدها.

وتستثير رفائن القلوب، فضلاً عن أنها تؤنس الوحشة، وتصل لذتها إلى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك»(١).

والمطالعة تقوم على عوامل نفسية منها:

١ ـ الانفعال والتأثر.

٢ ـ حب الاحتذاء.

ويمكن إيجاز فوائد المطالعة فيما يلى:

١ ـ الاطلاع على نتاج العقول والقرائح فى القديم والحديث، الشىء الذى يوسع أفق التفكير، وينمى ثروة العقل، ويزيد من خبرة النفس.

٢ ـ تفهم أساليب الكتابة نتيجة للمطالعة الطويلة. وفى هذا صقل للذائقة الجمالية فى المثقف، وبه تنمو بذور النقد مستقبلاً. فأمهر النقاد هم أكثرهم قراءة واطلاعاً.

٣ ـ حصول ملكة البلاغة لأنها نتيجة حتمية للاطلاع الواسع والتمييز بين الأساليب المختلفة.

**شروط المطالعة:**

**١ ـ حسن الاختيار:**

الكتب كالرجال فيها الصالح والطالح والجيد والردىء، فليختر مريد الإنشاء جيدها وليترك غثها وليعرض عن كتابات هؤلاء الذى يتاجرون على حساب الفكر ولا ضحية لهم فى هذه التجارة المرذولة إلا القارىء وقيم الحق والخير والجمال. وليكن إيثارك لمؤلفات الذين يكتبون بدم

---

(١) البيان والتبيين. ص ١٢٣.

قلوبهم وبعصارة أفكارهم وذوب وجدانهم، أولئك الذين صنعوا من نور الحرف ناراً تبدد ظلمات الجهل، وإشعاعاً يمزق ديجور الاستبداد والذين جعلوا من أقلامهم حراباً فى صدور السفاحين، وسناناً فى أجساد المدلسين على الحقيقة والتاريخ. إن أمثال هذه الكتب التى دبجها رسل العلم بنبضات أفكارهم وخفقات قلوبهم هى التى عناها المتنبى بقوله:

**أعز مكان فى الدنا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب**

**٢ـ تدبر الكلام بإطالة النظر فيه:**

إن مثل من أعطى كتاباً جيداً ولم يحسن قراءته مثل الذى أصاب ثمرة مغلقة فلم يحسن معالجتها فطرحها لأنه لم يتدبرها لينال لبها.

فلابد أولاً من تأمل الكلام تأملاً يكشف عن ما وراء السطور، فبعض الأفكار كالدرر الغوالى لا يحصل عليها إلا الغائض فى اللجج العميقة وهذا لا يكون إلا إذا تهيأ كيان المرء كله للمطالعة فلم تكن العين إلا نافذة الكلمات إلى الوجدان والعقل.

ولابد ثانياً معاودة قراءة التصانيف نفسها، ففى هذا مدعاة للكشف عن معان جديدة، قد لا نوفق إليها فى القراءة الأولى فضلاً عما فى ذلك من إرساخ للكلمة فى الذهن وإيقاظ لملكة الذوق وتنمية لروح النقد الصحيح.

وكذلك من الأهمية بمكان أن نختار وقتاً مناسباً للقراءة والاطلاع، فليست مطالعة هذه التى تكون فى الحافلات أو محطات القطارات، وليست مطالعة هذه الذى يحمل عليها الفكر، فإذا لم يكن المزاج متهيئاً لها فلا فائدة ترجى منها.

**٣ ـ الحفـــظ:**

لا نعنى بالحفظ اختزان كل ما نقرأ فى الذاكرة فقط، فقد يكون هذا حشواً للدماغ لا مسوغ له، ولكن يرجى من الحفظ أمران هما:

**١ ـ حُسن الاستيعاب: بامتلاك جوهر ما نقرأ..** فإذا أحسنا استيعاب ما نقرأ أمكننا أن ننشيء من المحفوظ الذى وعاه القلب مبتكراً فى ضروب المعانى والتعابير.

وما أصدق الشافعى ـ رحمه الله ـ حين قال مصوراً حال المتعلم الذى وعى فى قلبه العلم، فى قوله:

**علمى معى حيث ما يممت يتبعنى　　قلبى وعـــاء له لا بطن صندوقى**

**إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى　　أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق**

وهذا ما عناه البعض بقولهم: لا خيرَ فى علم لا يعبر معك الوادى ولا يعبر بك النادى.

**٢ ـ الغاية من الحفظ:** لا يخلو حفظ الرائع من بليغ الكلام من فوائد كثيرة، فالاستشهاد بأقوال العلماء والحكماء فى معرض الحديث أو خلال الكتابة يزيد فى قيمة الرأى، ففيه الحجة والبرهان على صدق ما نقول.

لكن يجب الاحتراس من كثرة الشواهد، فإن فعلنا كان كلامنا أشبه بالرواية التى ينقل فيها المحدث أو الكاتب آراء الآخرين وأقوالهم لا فضل لنا فيه سوى قوة الحافظة. لهذا قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ «كونوا للعلم رعاة، ولا تكونوا له رواة» فالذى يرعى ما يحفظ بالوعى الصادق جدير بأن يستنبط المعانى الجديدة ويولد الآراء الشخصية القيمة.

## ثالثاً: ممارسة الكتابة:

إن عاملي الموهبة والمطالعة ليسا كل شيء في إتقان صناعة الكتابة والإنشاء، فلابد من الدربة على الإنتاج ومزاولة الكتابة فى أغراض شتى من وصف وتعبير عن أحوال النفس ومحاكاة للبلغاء فى أساليبهم، واحتذائهم في فنونهم، فللإنشاء ملكة يزيدها الارتياض طواعية على التعبير، وقوة فى التوليد.

قال خالد بن صفوان: «إنما اللسان عضو إن مرنته مرن فهو كاليد تخشنها بالممارسة، وكالبدن تقويه برفع الحجر، والرِّجل إذا عوَّدت المشى مشت».

ومن ينكر قيمة التريض في اكتساب المعارف والصنائع على اختلافها: فالكاتب الناشىء إذا أوتى الموهبة فى الكتابة، ومال إلى قراءة تصانيف البلغاء، وأفاد مما تعى حافظته وجد فى نفسه ميلاً إلى المحاكاة والإنسان مفطور على التقليد والاحتذاء، فإن لبى هذا التخيل، ودأب عليه، استقامت ملكته، وآتت ثمارها شأنها فى ذلك شأن التربة الصالحة، تتعهدها بالغرس والسقيا والعزق والتشذيب فإذا هى تُنبِت زكى النبت وصالحه[1].

## توصيات في الكتابة:

قبل أن يكتب الموضوع لابد من أمور هى:

١ ــ أن تطرق الفكرة ذهن الكاتب وتشغله ويطيل النظر فى ملابستها حتى يصل إلى عنوان مناسب يحتضن الفكرة

---

(١) الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء، ص ١٦٢.

ويحتوى تفاصيلها الدقيقة، بعد النظرة الثاقبة المتأنية. وبعض الكتاب كان يكتب ثم يضع عنواناً لما كتب بعد الكتابة.

٢ ـ أن يبدأ الكاتب فى التعامل مع مسودة المقال ولو بشكل غير منظم، يسجل الأفكار والتفاصيل التى تتداعى فى ذهنه حول موضوع المقال ثم يرتبها حسب أهميتها وعلاقتها بالموضوع.

ولا تعرض هذه الأفكار المرتبة بصورة مجردة كما تعرض الأخبار بل يضفى عليها الكاتب شيئاً من الإقناع والتشويق مستعيناً بخبرته وقراءته الشخصية فى استخدام مثل من الأمثال العربية يكون مناسباً للموضوع ومرتبطاً به أو عرض حكاية قصيرة تكون وثيقة الصلة بفكرته ويمكن أن يستعين على هذا بكتب الأمثال العربية أو كتب الحكايات الرمزية الهادفة مثل كتاب «كليلة ودمنة» أو كتب الأخبار.

ثم يبدأ الكتابة الفعلية مراعياً ما يلى:

١ ـ استهلال المقال أو الموضوع ببراعة تأخذ بيد القارىء إلى متابعة القراءة.

٢ ـ الابتعاد عن التكرار وحشد المعلومات ولا يقبل كل ما يورده فكره من المعانى بل يتخير خيرها وأحسنها وليعلم الكاتب أن كل كلمة يمكن حذفها فإبقاؤها خطأ.

٣ ـ الاهتمام بالعنصر الذاتى الذى يضيفه من شخصيته والإنشاء ابتكار وإتيان بالجديد أو طبع القديم على الأقل ـ بطابع جديد.

٤ ـ الحرص على احترام فكر القارىء حتى لا ينقطع بينهما خط

التواصل فلا يكثر من البدهيات ولا يجزم فى إصدار الأحكام حتى يملك أسباب الجزم(١).

## العناصر المكونة للموضوع الإنشائي أو المقال

يتكون الشكل الخارجى للمقال التعبيرى ـ فى الغالب ـ من عناصر أربعة يلاحظها القارىء الواعى، وهذه النعاصر هى:

**العنوان ـ المقدمة ـ العرض ـ الخاتمة**

**العنوان:**

عنوان المقال، شأنه شأن عنوان الخطاب، وكما أن الخطاب لا ينتقل خطوة واحدة إلا إذا كان عليه عنوانه فكذلك المقال الجيد يجب أن يكون له عنوان.

أما خصائص هذا العنوان فأهمها:

١ ـ الدقة والوضوح فى ترجمته للفكرة التى يحويها الموضوع المكتوب، ومن ثم فالغموض فى عناوين المقالات ليس أمراً مطلوباً أو جيداً لأنه تدليس على القارىء يبرأ منه الكاتب الجيد الذى يحترم قراءه.

٢ ـ يغلب عليه الإيجاز، وشأنه شأن الأمثال المصاغة فى كلمات قليلة تختزن فى داخلها حكاية أو قصة أو عبرة.

---

(١) مهارات فى فنون الأدب والمراسلات: د. محمود عباس عبد الواحد. القاهرة: دار الفكر العربى ص ١٣. وانظر: كيف تكتب موضوعاً إنشائياً: محمد راجى بن حسن كناس، ص٦.

### ٢ ـ المقدمـــــة:

المقدمـة أول كل شيء، فالمقـدمة من الجيش طائفة منه تسير أمـامه لتـعرفـه بالمكان المقـدم عليـه، وبـالعدو الذى سيلاقـيـه. بل تمـهـد للجـيش أحياناً. ومقدمة المقال بدايته المعرفة به، الممهدة لأفكاره، فهى:

١ ـ تحمل فى طياتها عناصر التعريف والتمهيد.

٢ ـ قصيرة مركزة كاشفة لموضوع المقال لا لبس فيها ولا إبهام.

٣ ـ صادقة فى التعبير عن أفكار الموضع.

٤ ـ صورة مصغرة للموضوع والغموض فيها عيب ويجنح إليه بعض الكتاب ليحمل القراء على قراءة ما كتب لكن الكاتب الجيد يسعى إليه قراؤه ولا يحاول أن يقسرهم على قراءة ما كتب.

### ٣ ـ العـــرض:

وهو متن كل مقال وجوهره وصلب موضوعه، وليست ثمة طريقة تلتزم فى العرض الجيد لأى مقالة وإنما تتاح الفرصة كل كاتب أن يكتب بالطريقة التى يراها. وهنا تتميز الأساليب وتظهر الثقافات، والقدرة على التحليل والبسط والإقناع.

وفى العـــرض يدعم الكاتب فكرته بكل مـــا يؤيدها من الحـــجج والبراهين، والأمثلة والاقتباسات.

ولا ينسى الكاتب الجيد فى غمرة انفعاله بفكرته أن يذكر سلبياتها ويحاول أن يجد الحلول قد استطاعته، فإن لم يجد القارىء فى مقارنة

سريعة بين إيجابياتها وسلبياتها، فالذرّة مثلاً، مرعبة مهلكة، لكنها يمكن ترويضها والتحكم فيها أملاً فى الإفادة من إيجابياتها.

ومهم أيضاً أن يكون لدى الكاتب من وضوح الرؤية بالفكرة والإيمان بها والصدق فى عرضها والوسيلة الجيدة وهى اللغة الصحيحة والثقافة الواسعة التى تعينه وتسعفه على التدليل والاستقراء والاستنتاج، ما يجعل قارئه يقتنع بها ويصدقه بل ويستمتع عقلياً بها.

**٤ ـ الخاتمة:**

وهى نهاية كل شىء، والمراد بخاتمة المقال الإنشائى ثمرته والنتيجة الطبيعية للمقدمة والعرض والمقال الجيد يقدم لنا فى نهايته كشف حساب بخلاصة الأفكار الرئيسية التى يريد توصيلها للقارىء.

وهى تجميع لخيوط المقالة المتنوعة فى أسلوب مركز ويستحسن أن تكون صياغتها بعبارات قوية لأنها آخر ما يبقى فى ذهن القارىء[1].

---

(١) المقال بين النظرية والتطبيق: د. عبد الحميد عليوه مسعد ط (١) ١٤١٢، ١٩٩٢.
وانظر كذلك: المقال دراسة ومنهج: د. فكرى محمد سليمان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢.

# المراجـــع


١ ـ أبو زهرة، محمد: الخطابة أصولها تاريخها. القاهرة: دار الفكر العربى ١٩٨٠م.

٢ ـ الجاحظ. أبو عثمان: البيان والتبيين. حققه فوزى عطوى. بيروت: دار صعب (د.ت).

٣ ـ الحارثى، إبراهيم أحمد مسلم: تعليم التفكير ط٢. الرياض: مكتبة الشقرى ١٤٢٢هـ.

٤ ـ حبيب الله، محمد: أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق. ط٢. عمان: دار عمان ٢٠٠٠م.

٥ ـ الحوفى، محمد أحمد: فن الخطابة. ط٤. القاهرة: دار نهضة مصر ١٣٩٢هـ.

٦ ـ الخطيب، محمد بن إبراهيم: طرائق تعلم اللغة العربية. مكتبة التوبة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧ ـ الخولى، محمد على: الأصوات اللغوية. ط١ الرياض: مكتبة الخريجى ١٤٠٧هـ. ص ١٦٧.

٨ ـ الرازى، عبد الرحمن بن أبى حاتم: تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل. ط١. حيدرأباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٧١هـ.

٩ ـ رفعت، خالد السيد ووفاء على عمار: الأسس العامة لبرامج قراءة الكلام للصم المصريين. مجلة علوم اللغة. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة: دار غريب.

١٠ ـ الزمخشري، جار الله القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

١١ ـ سليمان، فكرى محمد: المقال دراسة ومنهج. ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٢ ـ الشيخ، عبد الواحد حسن. قواعد الكتابة العربية والإنشاء. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة (د. ت).

١٣ ـ الطباع، فاروق: الوسيط فى قواعد الإملاء والإنشاء. بيروت: مكتبة المعارف.

١٤ ـ عبد العال، عبد المنعم سيد: طرق تدريس اللغة العربية. القاهرة: دار غريب (د. ت).

١٥ ـ عبد الواحد، محمود عباس: مهارات فى فنون الأدب والمراسلات. القاهرة: دار الفكر العربى.

١٦ ـ عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوى. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤.

١٧ ـ الكرمانى: صحيح البخارى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٥٦هـ/١٩١٧م.

١٨ ـ كناس، محمد راجى بن حسن.:كيف تكتب موضوعاً إنشائياً.

١٩ ـ المباركفورى، صفى الرحمن: الرحيق المختوم. طـ١ . جدة: دار حافظ ١٤٢٢هـ.

٢٠ ـ مجاور، محمد صلاح الدين: تدريس اللغة العربية المرحلة الابتدائية. طـ٣. الكويت: دار القلم ١٩٨٠م.

٢١ ـ مجلة الرسالة العدد الثاني ذو الحجة ١٤٢٢ .

٢٢ ـ محمد، روحية أحمد: النمو الفنولوجي في لغة الطفل. العدد الثالث ١٩٩٩ القاهرة: دار غريب.

٢٣ ـ مدكور، علي أحمد: تدريس فنون اللغة العربية. ط١ . الكويت: مكتبة الفلاح ١٩٨٤م.

٢٤ ـ مسعدة، عبد الحميد عليوه: من المقال بين النظرية والتطبيق ط (١) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٥ ـ مصلوح، سعد عبد العزيز: دراسة السمع والكلام. القاهرة: عالم الكتب ١٤٢٠ـ٢٠٠٠م.

٢٦ ـ معهد اللغة العربية: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. مكة المكرمة.

٢٧ ـ هارفي، روبنسرن: كيف تتحدث وتستمع بفعالية. (الجمعية الأمريكية للإدارة) مكتبة جرير.

٢٨ ـ يونس، فتحي علي ومحمود كامل الناقة: أساسيات تعليم اللغة العربية. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨١م.

# حكايات نشأة النحو

د. محمد سعيد صالح ربيع الغامدى
قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة

---

**تمهيد:**

للأخبار والحكايات فى تراثنا العربى أثر واضح ملموس فى تبلور مفاهيم التراث فى الأذهان على صورة ما، مثلما أن لصور مفاهيم التراث المستقرة فى الذهن أثر فى صنع حكايات ملائمة لهذه الصور ومثبتة لها.

فالعلاقة بين الحكاية والمفاهيم جدلية، لا يُعْلَمُ على وجه الدقة أحياناً أى الأمرين صنع الآخر، ولا أيهما المتقدم أو المتأخر. وسيتضح عند تأمل ما ورد عن «نشأة النحو» من حكايات أطراف من هذه الآثار، لعلنا نصل من خلالها إلى ضرورة إعادة اكتشاف مفاهيم تراثنا أو جزء كبير من جديد بلا ضغطٍ من الحكاية أو ضغطِ الصور المتبلورة فى الذهن سلفاً.

ويلحظ المتتبع لحكايات «نشأة علم النحو» ارتباطها الوثيق بحكايات أخر، هى حكايات ظهور بعض مظاهر الفساد واللحن فى العربية. والعلاقة بين النوعين ظاهرةٌ فى أن علم النحو إنما أنشىء لمقاومة اللحن والفساد اللغوى. وسنحاول فى هذه الورقة الوقوف على طبيعة تلك العلاقة. وذلك يقتضى تتبع حكايات اللحن، ثم التأمل فى حكايات النشأة وما يرتبط بها من الحكايات التى تتحدث عن أول مَن أقدم على وضع

العلم، وغرض وضعه، وكيفيات الوضع. وأرجو أن يسهم ذلك فى إيضاح الفكرة التى تقوم الورقة على إيضاحها.

**حكايات اللحن:**

ترد فى كتب اللغة والتراجم والتأريخ وبعض كتب النحاة وغيرها مرويات متعددة، تحاول رصد أول ظهورٍ للحن على ألسنة المتكلمين بالعربية. يعود بعض هذه المرويات باللحن إلى عصر الجاهلية، وبعضها إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها إلى عهد الخلفاء الراشدين. ويحكى بعضها مظاهرَ للَّحنِ فى زمن الفصاحة والاستشهاد المتفق عليه التالى لهذه العصور.

نُقل فى بعض الروايات ما يفيد أن مظاهرَ من اللحن والخطأ فى اللغة عُرفت عند العرب فى العصر الجاهلى. فقد «روى أن الشيخ المحترم فى العرب كان إذا لحن لم يصوِّبوا كلامه احتراماً له. بل كانوا كثيراً ما يقلدونه فى الخطأ»[1].

وفى عهد النبوة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يلحن فى كلامه فقال: «أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل»[2]. ومع أن الرافعى يستنتج من لفظ الضلال الوارد فى الحديث أن اللحن لم يكن معروفاً قبل

---

(١) سليم، عبد الفتاح: المعيار فى التخطئة والتصويب، ط١، القاهرة: دار المعارف، سنة ١٩٩١م (ص٤١). وذكر المؤلف أن هذا النص نقله من مجلة المجمع اللغوى - البحوث والمحاضرات، الدورة ٣٥، ولم يعثر على الرواية فى غير هذه البحوث.

(٢) الهندى، على المتقى بن حسام الدين: كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، تصحيح الشيخ صفوت السقا، ط١، حلب: مكتبة التراث الإسلامى، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م (١/ ١٥١). وفى بعض المصادر بلفظ: «فقد ضل». انظر السيوطى، عبدالرحمن بن أبى بكر، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد على منصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٨م (٢/٢٤٢).

هذا العهد، وأن هذه الحادثة أولى حوادث اللحن[٣]، تنصُّ بعضُ المصادر على وزود لفظ «اللحن» فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن الظاهرة عُرفت فى عهد النبوة وقبله، كحديث: «أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فإنّى لى اللحن»[٤]. وحديث: «رحم الله امـرأً أصلح من لسانه»[٥].

وقيل: قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لأن أقرأ وأسقط أحب إلى من أن أقرأ وألحن[٦]. ورووا أنَّ أحدَ ولاة عمر بن الخطاب كتب إليه كتاباً به بعضُ اللحن. فكتب إليه عمر: «أنْ قنِّع كاتبك سوطاً»[٧].

وعنه أنه قال: «تعلَّموا النحو كما تَعَلَّمون السنن والفرائض»[٨]. وأنه قال: «من قرأ القرآن فأعرب به فمات كان له عند الله يوم القيامة كأجر شهيد»[٩]. وروى أيضاً أن عمر رضى الله عنه مرَّ بقوم يرمون، فأساؤوا الرمى. فقال: بئس ما رميتم. قال بعضهم: إنا قوم متعلمين. فقال:

---

(٣) الرافعى، مصطفى صادق. تاريخ آداب العرب، طـ٤، سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م (١/٢٤٢).

(٤) المزهر ٢/٣٤١.

(٥) ينظر: الخثران، عبد الله حمد. مراحل تطور الدرس النحوى، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (ص ١٥).
ويلاحظ أن أحاديث اللحن لم تذكرها كتب الأحاديث المعتبرة. انظر قدور، أحمد محمد. مصنفات اللحن ،التثقيف اللغوى حتى القرن العاشر، منشورات وزارة الثقافة السورية، سنة ١٩٩٦م (ص ٥٣).

(٦) ابن أبى هاشم، عبد الواحد بن عمر. أخبار النحويين، تحقيق مجدى فتحى السيد، طـ١، طنطا: دار الصحابة للتراث، سنة ١٤١٠هـ (ص ٣٥).

(٧) ابن جنى، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق محمد على النجار، طـ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٤٠٨هـ (٢/٨).

(٨) الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، دار الفكر للجميع، سنة ١٩٦٨م (٢/١٧١).

(٩) أخبار النحويين لابن أبى هاشم ص ٣٦.

«إساءتكم فى لحنكم أشدُّ من إساءتكم فى رميكم»[١٠]. وعن على رضى الله عنه أنه كان يشيع جنازة، فقال له قائل: من المتوفى؟ بالياء[١١]. وكان رجل إلى جنب ابن عمر فلحن، فأرسل إليه: إما أن تتنحى عنا وإما أن نتنحى عنك[١٢]. وروى أيضاً أن ابن عمر وابن عباس كانا يضربان أولادهما على اللحن[١٣].

وروى أن رجلاً دخل على زياد بن أبيه فقال: «إن أبينا هلك، وإن أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا»، فقال: «ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من مالك»[١٤]. وروى عن الحجاج أنه سأل يحيى بن يعمر: هل يلحن فى نطقه؟ فأجابه بأنه يلحن فى حرف من القرآن؛ إذ كان يقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم﴾[١٥] إلى قوله ﴿أحبّ﴾[١٦] بضم أحب.

---

(١٠) الأنبارى، أبو بكر. إيضاح الوقف والابتداء، تحقيق محى الدين رمضان، مطبوعات المجمع العلمى بدمشق، سنة ١٣٩٠هـ /١٩٧١م (١/ ٢١ ـ ٢٢).

(١١) السبكى، أبو نصر عبد الوهاب. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى، طـ٢، دار هجر للطباعة والنشر، سنو ١٩٩٢م (١٠/ ٦٨).

(١٢) أخبار النحويين لابن أبى هاشم ص ٣٠.

(١٣) نفسه ص ٣٧.

(١٤) البيهقى، المحاسن والمساوىء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة، سنة ١٣٨٠هـ (٢/ ١٥٩).

(١٥) من الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(١٦) ينظر: الجمحى، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المدنى (١/ ١٣). ،الزبيدى، أبو بكر محمد بن الحسن. طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طـ٢، القاهرة: دار المعارف (ص ٢٢). ويستنتج الدكتور شوقى ضيف من مجرد سؤال الحجاج يحيى بن يعمر هذا السؤال أنه يدل على ما استقر فى نفسه من أن اللحن أصبح بلاء عاماً، وإذا كان الحجاج وهو فى الذروة من الخطابة والبيان والفصاحة والبلاغة يلحن فى حرف من القرآن فمن وراءه من العرب نازلة المدن الذين لا يرقون إلى منزلته البيانية كان لحنهم أكثر. انظر ضيف، شوقى: المدارس النحوية، ط٣، القاهرة: دار المعارف (ص ١١ ـ ١٢). وينظر فى روايات لحن الوليد بن عبد الملك: البيان والتبيين ٢/ ٢٠٤، وابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم: عيون الأخبار، مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٣م (٢/ ١٥٨، ١٦٧)، ولحن بعض من أمهاتهم أعجميات فى: البيان والتبيين ١/ ٧٢، ٢/ ٢١٠.

## من حكايات اللحن إلى حكايات الوضع:

لعل فكرة ظهور اللحن تستدعى فكرة ظهور مقاومته، وإن كنا نستطيع القول فى الوقت نفسه: إن فكرة إنشاء العلم تقتضى التفكير فى سبب الإنشاء وهو مقاومة مظاهر اللحن. من هنا لابد من تلازم النوعين بوجهٍ ما. وأحدُ وجوه التلازم بين الأمرين كما أظهرته الحكايةُ هو تزامن ظهورِ اللحن مع ظهور العلم في وقت واحد. ويتجلى هذا مثلاً من خلال حكايات أبى الأسود مع ابنته أو مع على رضى الله عنه التى سترد بعد قليل. ووجه آخر من التلازم تظهره الحكاية بتقدم ظهور أول مظهر من مظاهر اللحن قبل الإنشاء؛ ليمكن بعد ذلك تصور نشأة العلم بعد تزايد تلك المظاهر والخوف من ازدياد شيوع اللحن والفساد بصورة مدمرة. ووجه ثالث أيضاً يفترض استمرار مظاهر الفساد واللحن فى الزمن التالى، لتبقى أهمية العلم الذى يقاومه ويقى منه مستمرة.

تنسب أكثر الحكايات شيوعاً فى كتب التراث وفى كتابات الدارسين المحدثين، إنشاء علم النحو إلى أبى الأسود الدؤلى[١٧]، إلى الحد الذى أصبح به ذكر أبى الأسود لا يرتبط فى الأذهان إلا بنشأة النحو، مع أن حكايات أخر تنسب إليه إنجازات أخرى مهمة ومؤثرة فى تأريخ العربية، كما سيأتى.

(١٧) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت: دار الثقافة، سنة ١٩٦٤م (٢/٦١٥)، والسيرافى، أبو سعيد: أخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد إبراهيم البنا، طـ١، دار الاعتصام، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ص ٢٨)، والقفطى، أبو الحسن على بن يوسف: إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طـ٢، دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية، سنة ١٤٠٦هـ (١/٧) وآل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب، طـ١، بيروت: دار مكتبة الحياة، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (ص ٥٧ ـ ٦٤). والقوزى، عوض حمد: المصطلح النحوى، منشورات جامعة الرياض عام ١٤٠١هـ (ص ٢٨ ـ ٣٠).

بعض حكايات أبى الأسود تحصر حادثة اللحن التى استثارت فيه القلق والخوف من فساد العربية بينه وبين ابنته. وتأتى الروايات فى المصادر متقاربة المعنى وإن اختلفت الألفاظ، لكنها تتفق فى أن الحادثة تفضى إلى مباشرة وضع العلم حال وقوعها. يروى أنه دخل عليها مرة فقالت: يا أبت ما أشدُّ الحر. فقال: شهر ناجر (أى: صفر). فقالت: يا أبت، إنما أخبرتك ولم أسألك. فأتى على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين: ذهبت العرب لما خالطت العجم، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل. فقال له: وما ذلك؟ فأخبره خبر ابنته. فأمره فاشترى صحفاً بدرهم، وأملى عليه: الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا القول أول كتاب سيبويه. ثم رسم أصول النحو كلها، فنقلها النحويون وفرعوها[١٨]. وفى رواية أنها قالت له: يا أبت ما أحسنُ السماء. قال: أى بُنية، نجومها. قالت: إنى لم أرد أى شىء منها أحسنُ، إنما تعجبت من حسنها. قال: إذاً فقولى: ما أحسنَ السماء. فحينئذ وضع كتاباً[١٩]. وفى رواية أخرى أنها قالت له: ما أشدُّ الحر. قال: الحصباء بالرمضاء. قالت: إنما تعجبت من شدته. فقال: أو قد لحن الناس؟ فأخبر بذلك علياً، فأعطاه أصولاً بنى منها، وعمل من بعده عليها[٢٠]. أو أنها لما

---

(١٨) الأصفهانى، أبو الفرج: الأغانى، تحقيق سمير جابر، طـ٢، بيروت: دار الفكر (٣٤٧/١٢)، ويتظر: السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر: سبب وضع علم العربية، تحقيق مروان العطية، طـ١، دمشق: دار الهجرة، سنة ١٩٨٨م، (ص ٤٢ ـ ٤٣). والمثل السائر ٣١/١.

(١٩) سبب وضع علم العربية ص ٥٣، وينظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، سنة ١٩٦٨م (٥٣٧/٢).

(٢٠) الذهبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلم النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقس،سى، طـ٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، سن ١٤١٣هـ (٨٣/٤)، وابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن على: المنتظم فى تأريخ الملوك والأمم حتى سنة ٢٥٨هـ، تحقيق محمد ومصطفى عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (٩٧/٦).

قالت: ما أشدُّ الحر، قال: الرمضاء فى الهاجرة. فقالت: لم أرد ذلك، وإنما أخبرتك بما هو فيه الآن. قال: فقولى إذاً: ما أشدَّ الحر[٢١]. ويبدو أنه لما اشتهرت هذه الحكاية المشتملة على محادثة يُخْرِج فيها اللحن التعجب مُخْرَج الاستفهام جعلت بعض المصادر التى تروى القصة أول ما وضع أبو الأسود من أبواب النحو «باب التعجب». قال صاحب الإصابة فى سبب إنشاء أبى الأسود علم النحو: «وكان الذى حداه على ذلك أن ابنته قالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحر، وكان فى شدة القيظ. فقال: ما نحن فيه. فقالت: إنما أردت أنه شديد. فقال: قولى: ما أشدَّ. فعمل باب التعجب»[٢٢]. وفى اللسان: «قالت ابنة أبى الأسود الدؤلى لأبيها فى يوم شديد الحر: يا أبت ما أشدُّ الحر. قال: إذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك. فقالت: أردت أن الحر شديد. قال: فقولى: ما أشدَّ الحر. فحينئذ وضع باب التعجب»[٢٣].

ومثلما كان على بن أبى طالب رضى الله عنه طرفاً فى حكاية أبى الأسود مع ابنته على أكثر الروايات كان طرفاً أيضاً فى حكايات أخر تحصر القلق على مصير العربية بين الرجلين، ومن ثم العمل معاً على التصدى للحن. نقل عنه أنه قال: «دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، فرأيته مطرقاً مفكراً. فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنى سمعت ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً فى

---

(٢١) طبقات النحويين واللغويين ص ٨.

(٢٢) العسقلانى، أبو الفضل أحمد بن على: الإصابة فى تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوى، ط١، بيروت: دار الجيل، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م (٣/٥٦٢). وانظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف (٨/٣١٢).

(٢٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر (مادة صقع).

أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة. ثم آتيته بعد ثلاث، فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلمة اسم وفعل وحرف. فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك. واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. وإنما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل وكأن، ولم أذكر لكن. فقال لى: لِمَ تركتها؟ فقلت: لَمْ أحسبها منها. فقال: بل هى منها، فزدها فيها»[٢٤].

على أن بعض الحكايات تجعل من أبى الأسود إما مبادراً إلى وضع العلم من عند نفسه، وإما نزولاً عند رغبة آخرين غير الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه. يربط بعضها بينه وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فعلى هذا يكون واضع العلم أبا الأسود بطلب من عمر. وقد قيل: إن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبى موسى الأشعرى: «أما بعد: فتفقهوا فى الدين، وتعلموا السنة، وتفهموا العربية... وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب»[٢٥]. ويجعل بعضها الآخر عمل أبى الأسود تنفيذاً لرغبة عبد الله ابن عباس[٢٦]. كما قيل فى بعضها أيضاً إن أبا الأسود كان يعلم أولاد زياد بن أبيه وهو والى العراقين يومئذ، فجاءه يوماً وقال له: أصلح الله

---

(٢٤) السيوطى، عبد الرحمن بن أبى بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد، طـ١، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م (ص ١٨١).

(٢٥) إنباه الرواة ١/ ٥١. وينظر العقاد، عباس محمود؛ عبقرية عمر، طـ٥ (ص ٢٤٦).

(٢٦) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوى ص ٣٩.

الأمير، إنى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لى أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال: لا. قال: فجاء رجل إلى زياد وقال: أصلح الله الأمير توفى أبانا وترك بنون. فقال زياد: توفى أبانا وترك بنون؟ ادعوا لى أبا الأسود. فلما حضر قال: ضع للناس الذى نهيتك أن تضع لهم[٢٧]. وحكى أيضاً أن رجلاً فارسياً سئل حين رأوه يقود فرسه: ما لك لا تركب؟ فقال: إن فرسى ضالع. فضحك به بعض من حضره. فقال أبو الأسود: هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الإسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام. فوضع باب الفاعل والمفعول به ولم يزد عليه[٢٨].

ومن دارسى العربية من أنكر نسبة وضع العلم إلى أبى الأسود أصلاً، لكنهم مقارنة بمن أثبت النسبة إليه قلة قليلة. فنسب بعض هؤلاء وضع العلم إلى على بن أبى طالب وحده، وبعضهم إلى عبد الله بن أبى إسحاق أو بعض تلامذة أبى الأسود، ومنهم: نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر[٢٩].

### حكايات التسمية:

يعلل التراث لتسمية العلم بـ «النحو» من داخل حكايات الوضع

---

(٢٧) وفيات الأعيان ٢/٥٣٦ ـ ٥٣٧.

(٢٨) سبب وضع علم العربية ص ٥٣ ـ ٥٤.

(٢٩) ينظر فى تفصيل أقوال القدماء والمحدثين فى أول من وضع النحو: الطنطاوى، نشأة النحو وتأريخ أشهر النحاة، تعليق عبد العظيم الشناوى ومحمد كردى، طـ٢، سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م (ص ١٢ ـ ١٩)، والحلوانى، محمد خير: المفصل فى تأريخ النحو العربى قبل سيبويه، طـ١. بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (٥٠ ـ٦٥)، مراحل تطور الدرس النحوى ص ٣٥ ـ ٣٩ الدراسات اللغوية عند العرب ص٥٧ ـ ٦٤، المصطلح النحوى ٢٦ ـ ٣٠، المدارس النحوية ص ١٣ ـ ٢٠.

نفسها. فتجيب الحكاية الواحدة أحياناً عن كل الأسئلة، وتفترض اكتمال العلم والعلة الداعية لوجوده والتسمية وعلتها وتزامن ذلك كله معاً، إذ تنص بعض المصادر التى تذكر علة وجود العلم وتصدى على رضى الله عنه وأبى الأسود للمعضلة على علة التسمية أيضاً؛ ذلك أن علياً أمر أبا الأسود بوضع شيء فى النحو لما سمع اللحن، فأراده أبو الأسود ما وضع. فقال على: ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فمن ثم سمى نحواً(٣٠). وفى الفهرست: أن أبا الأسود الدؤلى استأذن علياً رضى الله عنه، وقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو أن يصنع نحو ما صنع، فسمى ذلك نحواً(٣١). وقيل أيضاً: إن أبا الأسود وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوا نحوه، فسمى نحواً(٣٢). وتشير حكاية أخرى تشرك ابن عباس فى فضل وضع النحو إلى أنه عرف العلم باسمه قبل أن يشرع أبو الأسود فى وضعه؛ إذ أتى أبو الأسود «عبد الله بن عباس رضى الله عنه فقال: إنى أرى ألسنة الناس قد فسدت فأردت أن أضع شيئاً لهم يقومون به ألسنتهم. قال: لعلك تريد النحو، أما إنه حق، واستعن بسورة يوسف»(٣٣).

على أن بعض الحكايات التى تجعل أبا الأسود يستجيب لحادثة اللحن فيضع العلم تتخذ مساراً آخر، إذ تجعله يستجيب لذلك بصورة أخرى غير وضع أبواب النحو، هى وضعه نقط الحركات. من ذلك أن أبا الأسود

---

(٣٠) سير أعلام النبلاء ٨٢/٤. وينظر الذهبى، أبو عبد الله بن أحمد؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار معروف وآخرين، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٤هـ (٦٠/١).

(٣١) النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، بيروت: دار المعرفة، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م (ص ٥٩).

(٣٢) لسان العرب (نحا).

(٣٣) إنباه الرواة ٥١/١.

«سمع قارئاً يقرأ ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[٣٤] فقال: ما ظننت أن أمر الناس قد صار إلى هذا. فقال لزياد الأمير: ابغنى كاتباً لقناً، فأتى به. فقال له أبو الأسود: إذا رأيتنى قد فتحت فمى فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعت شيئاً من ذلك غنةً فاجعل مكان النقطة نقطتين»[٣٥]. وقيل: إنه أخذ النحو عن على بن أبى طالب. وكان لا يخرج شيئاً أخذه عن على رضى الله عنه إلى أحد حتى بعث إليه زياد: «أن أعمل شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله»، فاستعفاه من ذلك حتى حصلت حادثة اللحن فى الآية فعمل النقط. وتروى بعض المصادر أن زياداً لما استعفاه أبو الأسود وجّه رجلاً، وقال له: اقعد فى طريق أبى الأسود، فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه. ففعل الرجل، ولما مر به أبو الأسود قرأ الآية السابقة ملحونة، فاستعظم ذلك أبو الأسود، واضطر لتحقيق رغبة زياد. ثم إنه طلب منه أن يرسل إليه ثلاثين رجلاً، واختار منهم واحداً لكى يضع معه نقط المحصف[٣٧].

ولكون استجابة أبى الأسود لحادثة اللحن بوضع الحركات، لا بالتبويب النحوى، أنسب فى الظاهر وأكثر ملاءمة لسياق بعض الحكايات التى توردها، ولكونها أيضاً قد تبدو لأول وهلةٍ أقرب إلى «طبيعة الأشياء» ـ بعبارة الدكتور شوقى ضيف ـ وأهون من تصور وضع علم من العلوم بالكامل، ذهب ضيف إلى أن أبا الأسود لم يضع النحو بل وضع النقط. والاشتباه الذى حصل لمن أشاروا إلى وضعه العلم إنما كان بسبب إشارة

---

(٣٤) من الآية ٣ من سورة التوبة.

(٣٥) سير أعلام النبلاء ٤/٨٣. وينظر الدانى، أبو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم فى نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، ط٢، دمشق: دار الفكر، سنة ١٤٠٧هـ (ص٦ ـ ٧).

(٣٦) الفهرست ص ٥٩.

(٣٧) انظر أخبار النحويين لابن أبى هاشم ص ٣٧ ـ ٣٩.

الرواة إلى أنه وضع «علم العـربيـة» وهم يعنون بذلك أنه وضع نقط حركات الإعراب. فيكون بهذا علم العربية غير النحو، ويكون أبو الأسود تبعاً لهذا الاستنتاج واضع علم العربية وليس واضع النحو[٣٨]. غير أن البعيد عن «طبيعة الأشياء»، بل هو أبعد شيء عنها، أن يذهب التفكير بأبى الأسود فى معضلة اللحن الشفوى إلى إيجاد حل كتابى؛ إذ لن يؤدى علمه هذا الذى اخترعه ـ على فرض صحة الاختراع ـ إلا إلى وقاية القراء من اللحن دون المتكلمين.

**بوادر رفض الحكايات:**

الملاحظ فى البحوث والدراسات التى تناولت التأريخ لعلم النحو فى عمومها أنها تركن إلى الحكايات ركوناً شبه كامل وتسلم بصحتها فى الأغلب. ومع هذا وجد من الدارسين من مال إلى عدم الأخذ بمضامين كثير من الحكايات والمرويات فى المسألة، غير أن عمومهم ممن ضعف شيئاً مما روى أو أنكره لم يكونوا ينطلقون فى التضعيف أو فى الإنكار من كون مصدره حكاية فقط. فمثلاً نقل الدكتور عوض القوزى عن محمد سحلول قوله فى رسالة علمية مقدمة إلى الأزهر: «والرواية التى تقول: إن عمر بن الخطاب هو الذى أمر أبا الأسود بوضع النحو، كما سجلها ابن الأنبارى ذات خطأ تاريخى تحتاج إلى تصحيح». ولم يتبين القوزى وجه هذا الخطأ[٣٩]. والأرجح أن محمد سحلول إنما كان فى إنكاره يوازن تأريخياً بين عهد خلافة عمر وما يمكن أن يشير إلى عجز أبى الأسود عن أداء المهمة، كصغر سنه مثلاً، وليس لسبب آخر فيما أرى.

---

(٣٨) المدارس النحوية ص ١٦.

(٣٩) المصطلح النحوى ص ٢٩.

على أن من الباحثين من أعلن الشك فى المرويات والحكايات التى تنسب وضع العلم إلى أبى الأسود، أو الشك فى بعض مضامين الروايات الواردة فى هذا الباب فقط، على اختلاف واضح بينهم فى قدر الشك، وفى منابع التردد فى الأخذ بها أو بعض ما اشتملت عليه. فالباحثون الذين يثبتون نسبة الوضع إلى أبى الأسود وينافحون عن هذه النسبة أنفسهم ربما عارض بعضهم بعض مضامين الحكايات التى تبعد عن المعقول فى ذكر أشياء لا يصح عقلاً وجودها فى زمن بدايات العلم، كالمصطلحات العلمية (الفاعل والمفعول والتعجب والحروف الناسخة وتعريفات الاسم والفعل والحرف) التى لم تتضح تمام الوضوح فى كتاب سيبويه المتوفى بعده بنحو قرن(٤٠). أما من يعلن منهم صراحة عدم القطع بشىء فى الواضع، أو ينكر نسبة الوضع إلى أبى الأسود، فيستند كل منهم إلى مسوغ ما لذلك. فأحمد أمين مثلاً يشك فى نسبة وضع العلم إلى أبى الأسود، وينطلق فى ذلك من تضارب الروايات وتناقضها؛ إذ من الروايات ما ينسب وضع النحو إلى أبى الأسود، ومنها ما ينسبه إلى نصر بن عاصم، أو إلى ابن هرمز، أو إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه. ويرى أن قانون «النشوء والارتقاء» الطبيعى يوجب أن يسبق وضع الحركات وضع النحو، فيرجح تبعاً لذلك نسبة وضع الحركات إلى أبى الأسود فيما عرف بالنقط(٤١). ويبدو أن شوقى ضيف تأثر بهذا الرأى كما اتضح مما تقدم، ويبدو أنه سمى «قانون النشوء» الوارد فى عبارة أمين بـــ

(٤٠) مراحل تطور الدرس النحوى ص ٤٠.

(٤١) أمين، أحمد. ضحى الإسلام، ط٨، مكتبة النهضة المصرية (٢/ ٢٨٥). ويتضح هنا أن أحمد أمين يثبت حكاية أبى الأسود من حيث ينفيها؛ لأن مسوغ النفى عنده هو تضارب الحكايات وعدم استقرارها على واحد بعينه. فإذاً لو اتفقت كلها فى نسبة العلم إلى أبى الأسود لأخذ بها.

«طبائع الأشياء» . وإلى سبب قريب إلى حد ما من هذا السبب يشك أيضاً إبراهيم مصطفى فى هذه النسبة؛ إذ يوافق أحمد أمين فى اقتضاء قانون النشوء نسبة نقط الحركات دون وضع النحو إلى أبى الأسود. ويضيف فى استبعاد فكرة إنشاء أبى الأسود علم النحو عدم إشارة سيبويه إليه فى الكتاب، مع أنه ينسب الآراء إلى الخليل ويونس وأبى العلاء بن عمرو والأخفش الأكبر وابن أبى إسحاق. فلما رأى سيبويه ينتهى إلى ابن أبى إسحاق ولا يرتفع إلى من سبقه، مع ما أثر فى التراث من أنه أول من علل النحو ومد القياس، رجح أن يكون هو الواضع[٤٢] . ويتدرج الأمر فى هذا السياق ببعض الباحثين إلى أن يقر بعضهم كالرافعى بأن «تأريخ وضع النحو لا سبيل إلى تحقيقه البتة»[٤٣] .

أما المستشرقون فهم الذين أعلنوا فى صراحة ووضوح رفض الحكاية وعدم الركون إليها فى القطع بشىء من مسائل تأريخ العلم، وإن عد بعض الباحثين العرب ذلك متهم، من قبيل التعصب ضد العرب والتنكر لجهود أبى الأسود وتلاميذه[٤٤]، أو من قبيل إثبات أمر آخر ينفى الفضل للعرب بالسبق إلى اختراع العلم، هو تأثرهم بالأمم الأخرى[٤٥]، أو أن «هذا الرأى التشكيكى يلغى أثر القراءة القرآنية الأساسى فى نشأة النحو»[٤٦] . ولعل أشهر من صرح من المستشرقين بأن حكايات أبى الأسود

---

(٤٢) مصطفى، إبراهيم، أول من وضع النحو. مقالة منشورة فى مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ١٠ (ص ٥ ـ ٦) .

(٤٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٢٥ .

(٤٤) السابق ص ٢٩ .

(٤٥) انظر مراحل تطور الدرس النحوى ص ٤٣ ـ ٤٤ .

(٤٦) السابق ص ٢٤ .

السالفة ما هى إلا من قبيل «الأساطير» بروكلمان[٤٧]. ومنهم أيضاً زكندورف، حيث «اعتبر القصص الوارد عنه ملفقاً وباطلاً، فقال: وليس حقاً ما يقال: إنه واضع أصول النحو العربى. أما القصص التى تروى عنه فليست مما يعلى قدره. ولكن يؤخذ من أشعاره أن بعض هذه القصص على الأقل قد أحكم تلفيقه»[٤٨]. وكذا يوهان فك فى كتابه «العربية»[٤٩]، ولشنستر واضع مادة «نحو» فى دائرة المعارف الإسلامية[٥٠]، وفون كريمر[٥١]، وكيس فرستيغ[٥٢]، وروفائيل تالمون[٥٣].

## النشأة بلا حكاية:

ارتبط ما يغمض على الإنسان ويثير فيه قلق السؤال بسعيه إلى تفسيره، ولا سيما ما هو من الأمور مهم عنده مؤثر فى حياته. وكثيراً ما تكون «الحكاية» هى الإجابة التى تريحه من عناء السؤال، وتكون بمثابة الملجأ الأخير له بعد حيرته وقلقه. وترتبط نشأة الظواهر وبدء وجودها

---

(٤٧) بروكلمان، كارل. تأريخ الأدب العربى، ترجمة عبد الحليم النجار، طـ٣، القاهرة: دار المعارف (٢/ ١٢٣).

(٤٨) المصطلح النحوى ص ٢٩.

(٤٩) فك، يوهان. العربية، ترجمة عبد الحليم النجار، دار الكتاب العربى، سنة ١٩٥١م (ص١٠).

(٥٠) مراحل تطور الدرس النحوى ص ٤٣.

(٥١) كريمر، فون. الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، تعريب مصطفى بدر، دار الفكر العربى (ص ٩٠). وينظر المصطلح النحوى ص ٢٩، مراحل تطورر الدرس النحوى ص ٤٣.

(٥٢) فرستيغ، كيس. اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوى، طـ١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٣م (ص ٨٠ ـ ٨١).

(53) Talmon, Rafael (1985), "Who was the first Arab grammarian? A new approach to an old problem" SHAGI, PP. 128 - 129.

بصفة خاصة بالحكاية التى تحكى ذلك البدء وتصفه، ربما لأن زمن البدايات ماضٍ بعيد عن الإنسان لا يستطيع الوقوف عليه، ولا طريق إلى حله وجلاء غوامضه إلا بها. وحكاية البدء هذه تحديداً هى ما يسمى فى علوم السرد الحديثة بـ «الأسطورة»، تمييزاً لها مفهومياً عن أنواع أخرى من السرد تختلف من حيث الشكل أو المضمون أو الخصائص الصنفية، فتختلف لذلك فى التسمية الاصطلاحية[٥٤]. والأسطورة من حيث هى حكاية تفسير، وحكاية بدء ونشأة «كانت تقوم بوظيفة مماثلة لتلك التى أصبح يقوم بها العلم بعد ذلك. وكانت هى الوسيلة الطبيعية لتفسير الظواهر فى العصر السابق على ظهور العلم»[٥٥]. وغالباً ما تكون الأسطورة المفسرة تتماشى فى بنيتها وتركيبها مع غايات الإنسان محققة لأمانيه، وتسير مع تصوره هو عن طبيعة الشىء أو الظاهرة التى تفسرها أسطورته التى صنعها.

أسئلة النشأة كلها لا يمكن أن تجيب عنها الحكاية وحدها إجابة علمية يتكأ عليها منهجياً؛ لأن القصة التى تحكى عن أية نشأة إنما تحكى بعد زمن النشأة لا فى الزمن نفسه، ولا تحكى إلا بشروط زمن إنتاج

(٥٤) ويفرق الدارسون اليوم مصطلحياً بين الآسطورة والخرافة وحكايات العجيب والغريب وغيرها بتمييز الأسطورة بخصائص منها: أنها حكاية تفسير، وأنها حكاية بدء ونشأة. ينظر إلياد، مرسيا. مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، طـ١، دار كنعان للدراسات والنشر، سنة ١٩٩١م (ص ١٠)، وبريست، جون فى: الأسطورة والحلم فى الكتاب المقدس العبرى، ترجمة نذير جزمانى، منشور ضمن كتاب (الأساطير والأحلام والدين) تحرير جوزيف كامبل، طـ١، دمشق: دار الكلمة ودار الشفيق، سنة ٢٠٠١م (ص٤٧ـ٥٠)، وينظر أيضاً: مبحث الأسطورة والخرافة من كتاب التفكير العلمى لفؤاد زكريا، طـ٣، الكويت: منشورات ذات السلاسل، سنة ١٩٨٩م (ص ٦٧).

(٥٥) التفكير العلمى ص ٦٧.

الحكاية لا بشروط زمن النشأة، ولذلك لابد أن تكون «أسطورة» بالضرورة. وعند النظر فى بنية حكايات نشأة النحو، كما هو الحال فى حكايات نشأة أى شىء آخر، لابد أن تتجلى أمارات الأسطورية فيها. وأظهر أمارات الأسطورية في حكايات نشأة النحو أنها لا تظهر إلا حال النحو بعد اكتماله علماً وبعد أن نضج واستوى، لا حال الزمن الذى نشأ فيه أو الذى سبقه.

من بين أهم ما استقر فى أذهان المشتغلين بالنحو والمتصلين به بصورة جلية واضحة وقت ظهور الحكاية - ولابد بالضرورة أن يكون أحد أهم الأمور التى تجلت فى بنيتها؛ لأنه مما أسهم فى إنتاجها على صورتها التى ظهرت بها - غرض النحو الأساسى الذى وجد لأجله وهو صيانة اللسان من الخطأ واللحن. وتجلت لذلك حكاية اللحن فى حكاية الوضع ولازمتها وامتزجت بها. هذا مع أن أغراض أى علم لا يمكن عقلاً أن تقوم فى ذهن أحد من الناس قبل أن يوجد ثم يسارع فى الحال إلى اختراعه وإنشائه ليحقق ذلك الغرض. ثم فضلاً عن ذلك كله ليس غرض النحو شيئاً من الصيانة المزعومة، ولم يقم العلم، بل لا يعقل أن يكون قد قام، لمقاومة اللحن أصلاً؛ لأن ذلك مما تنفيه طبيعة نشوء العلوم كافة، وليس النحو بدعاً من بينها. ذلك أن العلوم كلها إنما تنشأ من نظرات متفرقة متأملة فى الظاهرة وفى أسرار نظامها بدافع الاكتشاف والمعرفة، بقطع النظر عما يحققه العلم فى المستقبل من منافع بعد أن يكتمل على صورة ما غيبية مجهولة لا علم لأحد بها فى زمن البدايات وفى أوائل أزمان التأملات(٥٦). وتمضى أزمان متعاقبة من النظرات والتأملات لا

---

(٥٦) يستبعد بعض الباحثين أن يكون قد انحل نظام اللغة وفسدت الألسنة - مما يستدعى إنشاء علم يقاوم الفساد - بهذه السرعة وفى فترة لا تتجاوز ثلاثين سنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر: المزينى، حمزة بن قبلان. التحيز اللغوى وقضايا أخرى، ط١، سلسلة كتاب الرياض، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ص ٥٢).

يرى أحد صورة العلم وملامحه مكتملة ولا ناقصة، ولا قدرة لأحد على معرفة تلك الملامح التى سيكتب لها الظهور إن تتابعت الجهود وتراكمت وتنامت، وسيقضى عليها إن لم يكتب لها ذلك، دون أن يعلم أحد ماذا كان سيحدث لو تتابعت أو نمت.

ومن ملامح أسطورية الحكاية أنها أشاعت فى بنيتها التى نهضت عليها بين عدد من الناس معرفة مسبقة لغاية العلم قبل إنشائه ـ فضلاً عن تصور العلم وأبوابه ومصطلحاته ـ بما يشعر أنها تكاد تكون معرفة مشاعة، وأنه لا يستنكر أن يعرف عدد منهم فى مكان واحد وزمان واحد مدى الحاجة لعلم ما من العلوم ويعقدون العزم على إنشائه، أو يكلفون من أرادوا بالقيام به. ولو جعلته شيئاً خاصاً ينبئ عن عبقرية وقدرة فذة عند شخص واحد، لربما سايرناها فى ذلك ـ ولو جدلاً ـ فنضفى على أبى الأسود أو على على بن أبى طالب قدرات ليست لأحد. كما أشعرت بشيوع ما يشبه اليقين الجازم المسبق بجدوى ما يكتبه رجل واحد فى بيئة يعلم من أحوالها فى ذلك الوقت أنها أمية لا تقرأ، ومنعزلة لا سبيل إلى انتشار ما يكتبه ذلك الشخص. بل إن ما يكتبه سيكون بحسب منطق الحكاية مؤثراً بالغ التأثير فيقاوم اللحن الذى جاء نتيجة مخالطة العرب للعجم فأفسد ألسنتهم. أو أنها علمت أن التأثير سيكون بتبنى هذا المشروع وسيلتف حوله أعداد كبيرة من الناس وحلقات درس وغير ذلك مما حصل بعد.

لقد صار من الثابت اليوم بين المشتغلين بالفكر العلمى أن توهم إمكان تصور الغاية من الشيء قبل وجوده ومن الظاهرة قبل حدوثها سمة من سمات العقل غير العلمى. يقول فؤاد زكريا فى التفكير العلمى: «وأما الغاية فلا يأتى دورها إلا بعد أن يتم إيجاد الشيء أو الظاهرة بالفعل... وكان من المستحيل أن يقوم علم حقيقى فى ظل التصور الغائى للطبيعة؛

لأنه يصرف الأنظار عن كشف الأسباب الحقيقية، ويوجهها نحو طبع الصورة البشرية على أحداث الطبيعة... لذلك كان من الطبيعي أن تستبعد الأسباب الغائية، من مجال البحث العلمي»[٥٧]. بل لقد أثبت المشتغلون بالعلم أيضاً أن التفسير الغائي للظواهر حتى بعد وجودها يصرف النظر عن تصور طبيعتها على حقيقته، فالأجرام السماوية القائمة المشاهدة كالشمس والقمر والنجوم ونحوها قد يذهب العقل الأسطوري إلى طمس المعرفة بها إذا ربط حقائقها بغاياتها فقط؛ إذ يمكن أن يفسر شخص ما وجود الشمس بأنها لتدفئ جسمه، والقمر ليضيء طريقه وهو سائر بالليل، والنجوم ليهتدي بها فلا يضل، ونحو ذلك. في حين هو يتكلم في حقيقة الأمر عن طرق استثماره للظواهر الطبيعية الموجودة لحل مشكلاته والانتفاع بها في حياته. وهذه صورة تكاد تنطبق على كثير ممن يتكلمون عن علم النحو من خلال استثماره بعد وجوده في تجنب الخطأ واللحن ومعرفة الصواب والخطأ بتعلمه وحذقه، ويظنون أنهم يتكلمون عن النحو وطبيعته، وأنه إنما وجد لصيانة اللسان من اللحن ولمعرفة الصواب والخطأ في حين أنه ليس كذلك[٥٨]. وتبعاً لذلك أمكن تصور وجود العلم ونشأته

---

(٥٧) السابق ص ٤٥.

(٥٨) أدرك عدد من الدارسين العرب والمستعربين أن علم النحو العربي لم يقم أبداً في بداياته الأولى على أيدي علمائه الكبار كالخليل وسيبويه على مبدأ معياري لمعالجة الصواب والخطأ في اللغة. بل كان في صورته تلك بعد نهوضه واكتمال أركانه كما يظهر في أول كتاب فيه (كتاب سيبويه) تحليلاً دقيقاً للنظام الذهني اللغوي ومعرفة العربي للغته. ينظر: المزيني، حمزة. مراجعات لسانية (الجزء الثاني)، كتاب الرياض، العدد ٧٥ ـ فبراير ٢٠٠٠م (ص٣٠٣). وينظر ص ٣٠٦ فما بعدها. والمزيني، حمزة. مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٥٣ ـ ذو القعدة ١٤١٧هـ ربيع الآخر ١٤١٨هـ (ص٥٩ـ٤٢). وانظر المقارنة التي عقدها «أوين» بين فكرة العامل في النحو ومدرسة التعلق الحديثة ص ٤٣. وانظر بصفة خاصة منهج سيبويه كما يراه «أوين» مقارنة بالمدرسة البنيوية الأمريكية في الثلاثينيات والأربعينيات ص٤٩. وعياد، شكري. قراءة أسلوبية في كتاب سيبويه. منشور ضمن وقائع مؤتمر قراءة التراث النقدي في كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) عن نادي جدة الأدبي، سنة ١٤٠٩هـ (٢/ ٨٠٤).

رد فعل لحادثة لحن يستوجب حدوثها نشأته ووجوده. لذا يمكن القول: إن تصور منتجى الحكاية لطبيعة علم النحو من خلال غاياته القائمة فى أذهانهم كان عنصراً مهيمناً على البنية التركيبية للحكاية ومحدداً لصورتها الذى ظهرت به على النحو الموصوف آنفاً. وجاءت الحكاية (الأسطورة) متماشية مع غايات حاكيها محققة لأمانيه كما هو حال كل أسطورة.

غير أن فى قضية (الحكاية/ الأسطورة) هذه جانباً آخر هو أنها كما صبغتها تصورات واضعيها عن علم النحو من خلال غاياته كما وصفنا، صبغت هى تصورات متلقيها عن طبيعة علم النحو من خلال غاياته. أى أن المتلقين أصبحوا يعرفون النحو من خلال الحكاية بعد على أساس أنه علم صيانة اللسان من اللحن، لا أنه علم تحليل الظاهرة اللغوية ومعرفة النظام اللغوى القائم فى عقول الجماعة. فأصبحت بذلك الحكاية بالغة الأثر فى بلورة التصورات عن العلم نفسه. وعلى هذا تكون هنا كما أنها «مؤسَّسَة» بناء على تصور معين لمفهوم النحو هى أيضاً «مؤسِّسَة»(٥٩) للمفهوم فى الوقت نفسه.

---

(٥٩) فى التراث العربى حكايات نشأة غزيرة شبيهة بحكايات وضع علم النحو لا تكاد تقع تحت حصر. يمكن أن نسميها جميعاً بـ «الحكايات المؤسسة»، تسهم فى بلورة التصورات عن المفاهيم التى تصف هذه الحكايات نشأتها عند متلقى الحكاية، بحيث لا يذهب متلقى الحكاية إلى تعديل فهمه أو تصوراته عن هذه المفاهيم بسبب تثبيت الحكاية للمفهوم على صورة ما معينة. هذا مع أنه ما أملى الحكاية على حالها المحكية هى بها إلا فهم ما لصورة المفهوم قام فى ذهن الحاكى؛ فهى إذاً مؤسَّسة ومؤسِّسة فى آن معاً. وقد قارينا ظاهرة «الحكاية المؤسسة» فى التراث فى مقالة منشورة بجريدة الرياض. انظر: الغامدى، محمد ربيع. الحكاية المؤسسة، ملحق ثقافة اليوم، جريدة الرياض، العدد (١٣٢٧١) فى ٧ رمضان عام ١٤٢٥هـ، والعدد (١٣٢٧٨) فى ١٤ رمضان عام ١٤٢٥هـ.

وفى الحكاية ـ خلاف ما مر من «الغائية» المتحدث عنها فيما سبق ـ من المظاهر ما يوضح بجلاء الأسطورية فيها، ويقوى القول بأنها لا تظهر إلا ما استقر فى أذهان الدارسين عن علم النحو فى العصور المتأخرة بعد نشأته بسنوات طوال(٦٠). من ذلك أن الدلالة المشتركة فى عبارة واحدة للتعجب والاستفهام، بحيث لا يفرق بين الدلالتين إلا حركة الإعراب وحدها، مما شاع واشتهر فى كتب النحو المتأخرة عند الحديث عن أهمية الإعراب وإيضاح المعنى به. ويمثلون غالباً لذلك بمثال شبيه بما ورد فى الحكاية(٦١)؛ ذلك لأن النحو فى صورته المستقرة المتأخرة لم

---

(٦٠) يمكن النظر من هذه الزاوية إلى ما حكى فى الزمن المتأخر عن النحو وعن غيره بحيث يرى أطرافاً مما استقر فى الأذهان عن المحكى عنه. من ذلك مثلاً ما يعكس ما استقر عند الناس من استبداد علماء النحو بعلم صعب اللغة والمصطلح، وأنه صار صناعة لا يجيدها إلا فئة قليلة هم النحاة، فأنتج ذلك ما يحكى عن بعضهم، كالفراء وغيره، من تعمد إخفاء العلم وإحاطته بلغة صعبة للاسترزاق به.

(٦١) يمثل النحاة بعدد من الأمثلة المصنوعة لخروج معنى العبارة من حال إلى حال بتغير العلامة الإعرابية فيها. ويمثلون لذلك غالباً بقوله: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن» بفتح باء (تشرب) وضمها وكسرها؛ لاشتراك الواو بين العطف والمعية والاستئناف. ويمثلون أيضاً بـ «ما أحسن زيد، وما أحسن زيد، وما أحسن زيداً» بسبب اشتراك (ما) بين النفى والاستفهام والتعجب وغير ذلك. وترد هذه المسائل فى سياق قية الجواز النحوى واشتراك الألفاظ ومن ثم الحاجة إلى العلامة الإعرابية لتعيين المعنى؛ لأنها الأمثلة التى ينطبق عليها تماماً هذا الأمر. انظر: الطلحى، مراجع عبد القادر بالقاسم. الجواز النحوى ودلالة الإعراب على المعنى، منشورات جامعة قاريونس بليبيا (ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥). وكذا يوردون من الآيات ما يمكن أن يؤدى تغيير الحركات فيه إلى خطأ كبير يخشى من أن يؤدى إلى الكفر أو الشرك نحو ما ورد فى الحكاية وهو قوله تعالى «إن الله برىء من المشركين ورسوله» وقوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء». وهذه مواطن مغرية بإنتاج حكايات تظهر أهمية المعرفة بها. ويمكن هنا أن نستحضر مثلاً ما يحكى عن مناظرة الكسائى وأبى يوسف القاضى عند هارون الرشيد فى الفرق بين اعتراف المتهم بقوله (أنا قاتل غلامك) بالإضافة وقوله (أنا قاتل غلامك) بالتنوين، وما يترتب على ذلك من أحكام قضائية غفل عنها القاضى لجهله بالنحو وعرفها النحوى.

يدرج النغمة الشفوية الفارقة بين أسلوبي الاستفهام والتعجب (التنغيم)، واعتمد في تحليله العبارات والنماذج اللغوية المختلفة على الحركات الإعرابية فقط. هذا في حين أن حكاية أبي الأسود مع ابنته لو افترضنا صحة حدوثها ونقلها بعد لن تتجاهل النغمة الفارقة بكل تأكيد.

ومن ذلك أيضاً ما مر سلفاً من وقوف بعض الباحثين عند استقرار المصطلحات والحدود والتقسيمات والاسم الاصطلاحي للعلم في الحكاية في حين أنها لم تتضح وتستقر بعد عصر الحكاية بسنين طويلة. لكن الملاحظة الجديرة بالعناية هنا هي ملاحظة أبداها الدكتور صاحب أبو جناح في مصطلحي الفاعل والمفعول الواردين في الحكاية بقوله: «أليست كتب النحويين المتأخرين التي اعتادت أن تبدأ بالمرفوعات ثم المنصوبات هي التي أوحت لواضعي الخبر بأن أبا الأسود بدأ بباب الفاعل ثم المفعول حين شرع في التفكير في وضع النحو؟»(٦٢). وتتبع الباحث أيضاً تناقضات أخرى من نحو إيراد الحكايات أخطاء في المفردات، وهو ما يتعارض مع اقتضاء اختراع علم يدرس التراكيب، ومن غير ذلك(٦٣). ولا أرى داعياً لتتبع الغرائب والمتناقضات في الحكاية؛ لأن كل ما فيها غريب متناقض بالضرورة كما مر. منه ما يتعلق ببناء الحكاية الذي به لا تكون إلا مجرد حكاية للإمتاع والمؤانسة، لا أنها جزء من التأريخ المنهجي للعلم. كأن نسأل مثلاً عمن نقل إلى الناس هذه المحادثة الخاصة التي جرت بين ابنة وأبيها، ومتى أصبحت هذه المحادثة ذات جدوى وعبرة وصلة بالعلم بحيث تستحق أن تتذكر فلا تندثر بين محادثات الرجل وأهل بيته على طول الزمان؛ لأن ذلك لن يحصل بالضرورة إلا

---

(٦٢) أبو جناح، صاحب: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ط١، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر ولتوزيع، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م (ص ٩).

(٦٣) السابق ص ٩ ـ ١٩).

بعد اكتمال العلم وتبلور صورته ومفهومه فى الأذهان، ومن ثم تتضح جدوى الربط بين الحادثة والعلم. ومنه ما يحتمل فى دلالاته أن يكون قد أملته فقط عصبيات مذهبية تحاول نسبة إنجاز إنشاء العلم إلى أشخاص بأعيانهم أو طوائف معينة(٦٤).

من هنا لابد أن تزول الغرابة ويبطل العجب من وجود المتناقضات التى حار فى الخروج منها الدارسون. إذ إن أكثرهم قد استسلم للحكاية، وربما وقف فقط عند بعض الغرائب والمتناقضات فيها حائراً فى حلها. وكان يمكن للغرائب وعدم المعقولية فى حكايات نشأة النحو التى لابد منها بالضرورة أن تحل بمعرفة السر فى حدوثها جملة لا تفصيلاً. ومن المدهش حقاً للمتأمل فى موقف الباحثين من هذه العجائب والغرائب أن بعضهم يقف عندها وقوفاً يسيراً لا يكاد يجدى، يسائل الجزئيات دون الكليات. ومنهم من مر بها سريعاً دون وقوف. هذا إلى عدد كثير جداً من الدارسين الذين ربما استولت عليهم متعة القص واستغرقتهم لذته عن التأمل فيه(٦٥)، أو أنهم لا يرون إلى رد ما أثر فى التراث سبيلاً.

---

(٦٤) تناول بعض الدارسين الشك فى الحكايات التى تنسب الفضل فى وضع العلم إلى أبى الأسود أو على بن أبى طالب رضى الله عنه من هذه الزاوية. ينظر مثلاً قول شوقى ضيف: إن هذا الأمر ربما يكون الدافع إليه نسبة الفضل إلى شيعى متقدم، فى المدارس النحوية ص ١٦، ورد محمد آل ياسين عليه فى الدراسات اللغوية عند العرب ص ٦٤. وأمر آخر تجد الإشارة إليه فى هذا السياق هو أن الحكاية جديرة بتأمل جوانب فيها تعكس نفسيات حاكيها ومتناقليها كنظرتهم لغير العرب ممن يسمون فيها بالأعاجم أو الحمراء، ومفاهيم أخرى كطبيعة اللغة والفصاحة والموقف من السلطة ومن بعض الرموز ونحو ذلك.

(٦٥) من اللافت أن مبحث تأريخ النحو على وجه الخصوص تحول فى الدراسات العربية إلى ما يشبه التسلية وتزجية الوقت بالظرف والحكايات الطريفة، فمباحثه فى أكثر الكتب التى تعرضه تكاد تكون استراحة من عناء الجد فى قراءة المسائل والقضايا الجافة الأخرى. انظر مثلاً: مبحث الاحتجاج فى كتاب سعيد الأفغانى، فى أصول النحو، بيروت: المكتب الإسلامى، سنة ١٤٠٧هـ (ص ٦ ـ ١٥)، وانظر بصفة خاصة قوله فى ص ١٣ عن حكاية مسلية من التى تحكى فى نشأة النحو: «ولا بأس فى إيرادها ففيها طرافة وفيها ظرف».

وبعد فإن السؤال الجدير بأن يسأل الآن: هل يمكن بحث نشأة العلم بعيداً عن الحكاية وبلا ضغط منها؟ تقتضى الإجابة عن هذا السؤال الإقرار أولاً بأن بعض أحاديث النشأة في العموم لا كلها ينبغى أن يعد من فلسفة العلوم لا من العلم، ولاسيما في الظواهر التي وجدت ولا سبيل إلى وجود آخر لها أو لمثلها. وذلك مثل حديث نشأة ظاهرة «اللغة» على سبيل المثال؛ إذ أخرجها علماء اللغة اليوم من البحث اللغوى العلمي بعد أن كانت في الماضي جزءاً منه إلى فلسفة اللغة(٦٦). أما تأريخ العلوم عامة وتأريخ علم النحو خاصة فيشترك مع بحوث نشأة الظواهر في أشياء ويختلف عنها في أشياء أخرى. ويقتضى البحث العلمى المنهجى الوعى بالمشتركات والمختلفات.

يشترك تأريخ العلم مع تأريخ نشأة الظواهر، فيعد لذلك غائباً مجهولاً، في غياب الملاحظات والنظرات الأولى التي كونته حتى أصبح مكتوباً مسجلاً في مصادر العلم الأولى. فبالضرورة لابد أن يكون ما قبل أول وثيقة مسجلة في العلم مجهولاً، عدا دلالة ما تنص عليه الوثيقة الأولى من نقول ومقولات شفوية يمكن استنتاج ملامح مرحلة ما من العلم منها. ولهذا يمكن القول إن الوثيقة الأولى في علم النحو هي كتاب سيبويه. ويمكن بناء على ما في كتاب سيبويه من أقوال ونقول عن سابقيه

---

(٦٦) ينظر: أنيس، إبراهيم. دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، سنة ١٩٨٠م (ص ١٣). وعبد التواب، رمضان. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (س ١٠٩ - ١٢٤). ويلحظ أن بحث نشأة اللغة انحصر في فرضيات، إما تخمينية بحتة، وإما بدلالة مستنتجة من وثائق ونقوش، وإما بمقارنة ظواهر لغوية عرفت مظاهر بعض مراحلها، وإما مقيسة على وجوه شبه في ظواهر أخرى كلغة الأطفال مثلاً، وهكذا.

أن نقبل منهجياً من أى باحث أن يستنتج ما يرى بعقله وما يوصله إليه اجتهاده أن الأقوال والنقول تلك تدل عليه، وبناء على ذلك يرسم ملامح علم نحو ما قبل سيبويه. ولهذا نتفهم من حيث المبدأ رأى إبراهيم مصطفى الذى يستند فيه إلى أعلى من ذكر فى كتاب سيبويه، وهو ابن أبى إسحاق، دون أن نلزم أنفسنا بالأخذ به على إطلاقه.

أما ما يختلف به حديث نشأة العلوم عن أحاديث النشأة الأخرى فهو أن له نظائر من العلوم التى لا تتوقف عن النشأة والتفرع واندثار بعضها وحلول علوم أخرى بديلة منها وهكذا. وهنا لابد أن نقيس كيفيات النشأة الأولى لأحدها على نشوء غيره مما نشأ وترعرع تحت أعيننا أو فى الوقت القريب منا. وأن نقيس المقبول منها على ما يقبل فى غيره ونرد ما يرد فى غيره. ولذا نستطيع القول: إن تجربة نشأة العلوم التى نعرفها تنفى أن يعزم فرد أو جماعة على إنشاء علم من العدم لتحقيق غرض ما قائم فى الذهن وقتذاك. ولا ضرورة فى هذه الحال أن نلجأ فى عصر العلم إلى الحكايات والأساطير لإثبات شىء من ذلك أو نفيه.

# التقابـــل الدلالـــي

## «دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء»

**د. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة**
الأستاذ المساعد في كلية التربية
قسم اللغة العربية - الرياض

---

**المقدمة :**

اتفق جمهور اللغويين على تقسيم علم الدلالة إلى فرعين (**علم الدلالة المصغر**) ويدرس المفردة ، و(**علم الدلالة الموسع**) ويدرس العلاقات الدلالية ، والتي تعد من أهم النظريات الجديدة في علم الدلالة البنيوي ، حيث تقوم على دراسة أنواع العلاقات التي تنشأ بين الكلمات بعضها بعضًا داخل الوحدة اللغوية ، وهي (الترادف والتقابل الدلالي والتنافر والتكرار والتضمين) ، ومن خلال هذه العلاقات تكون نقطة الالتقاء بين علم الدلالة وعلم التركيب[1] .

وبهذا نجد أن التقابل الدلالي ظاهرة لغوية مميزة مثلها مثل (الترادف ، والمشترك ، والتضاد) إلا أن الدارسين اللغويين قد غفلوا عنها وتناسوها .

ويرى اللغويون المحدثون أن التقابل متمم للترادف ويقرون بأنه ظاهرة لغوية ، منظمة وطبيعية ، إلا أن الوصف الشامل المرضي لها لم يولد بعد ،

---

(١) الإسلوبية وعلم الدلالة ، ستيفن أولمان : ٤٥ ، تح : محي الدين محسب ، مصر ، المنيا ، دار الهدى للنشر والتوزيع ، ت ٢٠٠١ م .

فلا يزال هذا الباب مغلقًا ؛ لعدم وضوح الرؤية فيه بسبب انصراف اللغويين عنه[1] .

والمتأمل في سورة النساء لابد أن تستوقفه تلك الحركة اللغوية والأسلوبية التي يموج بها النص ، ولابد أن يسترعيه ذلك الجمال اللفظي الذي لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ؛ بل هو نسق وحده جمع بين جمال هذا وذاك ، وإذا انتهيت من ذلك يقابلك التكرار الذي امتلأت به السورة فلا يؤدي بك إلى زيادة حشو ؛ بل إلى تضاد وتغاير من جانب ، وإيجاز وإعجاز من جانب آخر .

ثم إذا تتبعت سير ذلك كله تجد أن التقابل الدلالي قد تلبس النص بكامله لفظًا ومعنى ، وحبكت السورة منه فأصبحت به نسجًا متحدًا .

ولا يقف جمال التقابل الدلالي على الصورة اللفظية ؛ بل له قيمته المعنوية في النص، حيث تجد تلك الحركة العقلية العنيفة في نظم من المفردات والجمل المتقابلة، تتقارب ثم تتباعد في عرض حركي سريع ومتميز بني على قوة إدراك العقل للشيء بضده، فأنتج بذلك قوالب لفظية جميلة .

وذلك كله يثبت أن التقابل الدلالي يشكل ظاهرة لغوية أسلوبية مميزة في سورة النساء ؛ بل ويعد أحد طرق العرض الرئيسة ، ووسيلة من وسائل الإقناع والاحتجاج التي استخدمها القرآن الكريم ، حيث سيدرك المتتبع للسورة أن التقابل الدلالي فيها قد جمع بين قوة الإقناع العقلي ، وجمال الإمتاع اللفظي؛ لذا كان جديرًا بالدراسة والنظر؛ حيث إن موضوع البحث هو «التقابل الدلالي دراسة نظرية تطبيقية في سورة النساء» ، أما مجال البحث فهو علم الدلالة التركيبي ، ونظرية العلاقات الدلالية ، أما المنهج المتبع في البحث فهو المنهج

---

(١) مدخل إلى علم الدلالة ، فرانك بالمر : ١٤٤ ، علم الدلالة ، جون لاينز : ٩٥ .

الوصفي التحليلي ، وبالرغم من ندرة البحث الدلالي التطبيقي العربي ، فإني قد حاولت البحث في دراسات سابقة لغوية جادة في هذا الموضوع ، فلم أعثر على ما هو جدير بالتسجيل ، هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول .

أما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية البحث ومنهجه ومصادره أما التمهيد فركز على تفسير «**التقابل الدلالي لغة واصطلاحًا**» ، ثم جاءت المباحث على النحو التالي:

**المبحث الأول** : التقابل الدلالي في التراث العربي .

**المبحث الثاني** : التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث .

**المبحث الثالث** : التقابل الدلالي «دراسة تطبيقية في سورة النساء» .

ثم الخاتمة ويليها خلاصة البحث ثم مسرد المصادر والمراجع .

# التمهيـــد

## التقابل الدلالي لغة واصطلاحاً:

### في اللغة:

عند الخليل ت ١٥٧ هـ: «تقول لقيتـه قبلاً : أي مُوَاجَهةً ، والمقَابَلَةُ : إذا ضممت شيئًا إلى شيء . تقول : قَابَلْتُه به»[١] .

عند ابن فارس ت ٣٩٥ هـ: «القاف ، والباء ، واللام» : أَصْلٌ صحيحٌ ؛ تدل الكلمة كُلُّها على مُوَاجَهةِ الشيء للشيءِ ، ويَتَفَرَّعُ بعد ذلك»[٢] .

عـند الجـوهري ت ٤٠٠ هـ : المُقَابَلَةُ : المُوَاجَهَةُ، وَالتَّقَابُلُ مـثله، ومُقَابَلَةُ الكتابِ : مُعَارَضَتُهُ[٣] .

عند ابن منظور ت ٧١١ هـ: «المقابلة : المواجهة ، والتقابل مثله»[٤] .

### في الاصطلاح:

يتوارد في التقابل الدلالي عدة مصطـلحات قديمة وحديثة ، فلعل أول من تحدث عنـه هو أرسطو وسماه (بـالأضداد) و(المتضادات) و(المقـابلة) فالتفـكير بلغة التضاد والمقابلة وسيلة من وسائل المنطق عنده[٥] .

---

(١) العين (ق. ب. ل) .

(٢) مقاييـس اللغة : (ق. ب. ل) ، تح : عبد السـلام هارون ، مصر ، مكتبة الخانى ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ.

(٣) الصحاح (ق. ب. ل) ، تح : أحمد عبد الغفور عـطار ، لـبنان ، بيروت ، دار العلـم للملايين ، ط ٣، ١٤٠٤ هـ .

(٤) اللسان (ق. ب. ل) ، بيروت ، دار صادر .

(٥) الخـطابة لأرسطو طـاليس : ١٥٢، ١٦٠، ١٥٣، ١٦٢، تح : عبد الرحـمن بدوي ، الكويـت وكالة المطبوعات ، بيروت دار القلم .

- ثم تلاه من العرب عبد الله بن المعتز ت ٢٩٩ هـ وسماه بالمطابقة واستخرج الباب كله من كلام العرب ؛ من القرآن والنثر والشعر[١] .

- وجاء بعده قدامه بن جعفر ت ٣٣٧ وسماه بالمقابلة ؛ لتأثره بالثقافة اليونانية ونقله عنها ، حتى إنه اعترض على مصطلح المطابقة ؛ لأن المطابقة في اللغة تعني المماثلة والمساواة ، فالأخلق عنده أن تسمى بـ (المقابلة) لأن الضدين يتقابلان ، ولا يتساويان ولا يتماثلان ؛ كالسواد والبياض ، والحركة والسكون[٢] .

- ثم جاء ابن رشيق القيرواني ت ٣٩٠ هـ واستخدم المصطلحين معًا (الطباق) و(المقابلة) وفرق بينهما على النحو التالي :

١ - الطباق يقع بين الضدين فقط ؛ أما المقابلة فتقع بين الضدين والمتخالفين.

٢ - الطباق يكون بين مفردتين متضادتين ؛ أما المقابلة فتقع فيما فوق ذلك[٣] .

- أما القزويني ت ٧٣٩ هـ فتواردت لديه أربعة مصطلحات للتقابل : (المطابقة، الطباق، التضاد، المقابلة) ، وتبع من سبقه في التفريق بين الطباق والمقابلة[٤] .

- ويَرِدُ عند العلوي ت ٧٤٩ هـ خمسة مصطلحات للتقابل «التطبيق،

---

(١) البديع لابن المعتز : ١٢٤ ، تح د. محمد خفاجي ، بيروت ، دار الجيل .

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر : ١٣٣ ، تح : كمال مصطفى ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

(٣) العمدة لابن رشيق : ٢/٥ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ؛ ط / ١٤٧٢ م.

(٤) الإيضاح للقزويني : ١٩٤ ، تح : عماد بسيوني زغلول ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ط / ١٩٧٢م .

والتضاد، والتكافؤ، والطباق، والمقابلة» وفرق بين الطباق والمقابلة بأن التضاد إذا كثُرَ سُمّي مقابلة[1] .

- ومن المصطلحات التي تتداخل مع المقابلة (التقسيم) ؛ لذا قال القيرواني «إن المقابلة بين التقسيم والطباق»[2] ، والتقسيم هو : (تقسيم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه فمن ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة الرعد : الآية ١٢][3] .

وفرّق بعضهم بين (الطباق) و(التكافؤ) حيث جعلوا التكافؤ للطباق المجازي نحو قوله تعالى : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٢] وقوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[4] [سورة البقرة : الآية ١٦]

فالمقابلة تتفق مع التقسيم في التعدد والتنويع ، وتتفق مع الطباق في اجتماع الأضداد .

- وإذا انتقلنا من القدماء إلى المحدثين فإن جمهور اللغويين الغربيين قد أجمعوا على مصطلح «التقابل أو التضاد»[5] سوى جورج بول الذي أضاف «المطابقة والطباق» واستخدم مصطلح التضاد أيضًا[6] .

---

(١) الطراز للعلوي : ٣٨٢ ، تح : محمد عبد السلام شاهين .

(٢) العمدة . ٢/ ٥ .

(٣) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري : ٣٤١ ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، المكتبة المصرية ت ١٤٠٦ هـ .

(٤) معجم البلاغة العربية : ٣٦٣ ، د. بدوي طبانة ، الرياض ، دار الرفاعي ، جده ، دار المناره ، ط ٣، ت ١٤٠٨هـ .

(٥) مدخل إلى علم الدلالة : فرانك بالمر : ١٤٤ ، علم الدلالة : جون لاينز : ٩٥ .

(٦) معرفة اللغة : جورج بول : ١٣١ .

أما اللغويون العرب المحدثون ، فقد نقلوا الباب برمته من اللغويين الغربيين ؛ لذا نجد أن المصطلح الذي شاع بينهم هو «التضاد والتقابل»[1] دون أدنى محاولة للنظر إلى التراث اللغوي البلاغي بما حواه من دراسة مستفيضة لهذا الباب .

## المبحث الأول : التقابل الدلالي في التراث العربي :

إن القارئ المتأمل في القرآن الكريم يجد أن التقابل الدلالي ليس قانونًا لغويًا صرفًا ؛ بل سنة لله في خلقه ، قال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات : الآية ٤٩] .

فتقرُّ الآية الكريمة بأن الكون بني على الضدية ، التي أصبحت قاعدة من قواعد الوجود ، فَلَمَّا بُنِيَ عليها الخلق ، بُنِيَ عليها الفكر ، ثم بُنِيَ على حوار المتضادات قضايا الخلق ، والعبادة ، والكون ، فأصبح التقابل في السياق القرآني عُرْفًا لغويًا سائدًا ؛ فلا يرد لفظ النار إلا وقوبل بالجنة ، ولا السماء إلا بالأرض ، ولا الليل إلا بالنهار ، ولا الشمس إلا بالقمر ؛ فلو تأملت في ذلك لذهلت بكثرة التقابل في السياق القرآني ؛ بل ويعد من أكثر علاقات المعنى شيوعًا وانتشارًا ، رغم عزوف اللغويين عنه ؛ حيث لم يحظ بعناية اللغويين العرب قديمًا .

وبالرغم من ذلك فقد نال عناية علماء البلاغة والأصوليين القدماء ، فالبلاغيون اهتموا بالتقابل كظاهرة بلاغية ومحسّن بديعي معنوي ، أما علماء الأصول فيرون أن التقابل وسيلة من وسائل الاحتجاج والإقناع . وهذا يقودنا إلى سؤال مُلِحٍّ : كيف اجتمع البديع اللفظي ، والمنطق العقلي في هذا الباب ، وللإجابة عن هذا التساؤل لابد من نبذة تاريخية مختصرة عن نشأة علم البديع

---

(١) علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر ١٠٢ ، الكلمة (دراسة لغوية معجمية) د. حلمي خليل : ١٢١ .

والمنطق عند العلماء العرب ؛ وذلك أنه عندما نشأت العلوم عند المسلمين بدأ التأمل في بلاغة القرآن ؛ فظهرت البلاغة العربية في أروع صورها ، مستقاة من أساليب القرآن وإعجازه ، ثم ظهرت العناية بعلم الكلام في أواخر القرن الأول الهجري ، وبرز منهج الأصوليين ، الذين اعتنوا بعلم الكلام واستقوا منه الأدلة لاستنباط الأحكام .

فأدلة الأصولي : شرعيةٌ ، ولغويةٌ ، لذا جاءت عنايتهم بمشكلة اللفظ والمعنى ؛ حيث إن القرآن لا يخاطب الوجدان وحده ؛ بل يخاطب العقل الذي هو أصل التكليف ومناط التفكير[1] ، وبهذا كان الأصوليون أكثر الناس عناية بدراسة المعنى متفوقين في ذلك على اللغويين والبلاغيين[2] .

من هنا توارد على دراسة المعنى البلاغيون والأصوليون ، واستفاد البلاغيون من دراسات علماء الأصول ؛ حيث لم تعتمد البلاغة على الخيال وحده ؛ بل اعتمدت أيضًا على البراهين العقلية ، فالوجوه البلاغية في اللغة وسائل لتدعيم الجملة ، وتقوية المعنى ، وتحريك المشاعر للعمل عن اقتناع[3] .

ثم ظهرت طائفة من العلماء يعتنون بمسائل البلاغة لاتصالها بالمناظرة والبراعة في علم الكلام ، فكانوا أصحاب ثقافة عربية أصيلة ، مضيفين إليها ألوانًا من الثقافة الأجنبية ؛ وخاصة الفلسفة وما يتصل بها من منطق ، فترجمت كتب اليونان وخاصة أرسطو وكثر التأثر بفكره ، والنقل عنه ، مما دعا ابن المعتز ت (٢٩٩ هـ) إلى تأليف كتابه البديع ؛ دفاعًا عن البلاغة العربية محاولة منه أن يثبت لمعاصريه ممن بهرتهم الثقافة اليونانية - لا سيما ثقافة

(١) النقد الأدبي الحديث : د. محمد غنيمي خلال : ١٥٤ .

(٢) دراسة المعنى عند الأصوليين : د. طاهر سليمان محمود : ١١ ، التطور اللغوي عند الأصوليين د. السيد أحمد عبد الغفار : ١٠ .

(٣) النقد الأدبي الحديث : ١٠٣ .

أرسطو - بأن القرآن سبق إلى بعض الأساليب البلاغية التي تحدث عنها أرسطو قبل أن ينقل العلماء عنه ، وأثبت وجود هذه الأساليب - لا سيما الطباق والمقابلة - في بلاغة العرب ؛ فحشد لها الشواهد من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر العربي ؛ لِيَرُدَّ عن بلاغة العرب عند من اتهمها بالقصور ؛ وبهذا نجد أن ابن المعتز قد رمى جماعة المتفلسفة بسهام مصيبة ؛ إذ رد كثيرًا مما يلوون به ألسنتهم ويقولون إنه من أثر البلاغة اليونانية إلى مصادره وأصوله العربية القديمة[1] .

ثمْ جاء قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) وألف كتابه (نقد الشعر) ؛ ردًا على ابن المعتز في كتابه (البديع) ؛ حيث اتَّهم سابقيه من مؤلفي علم البلاغة بالتخبُّط والتقسير؛ لأنهم قد فقدوا الدليل من كتابات أرسطو ، ويبدو تأثر قدامة بن جعفر بالفكر اليوناني جليًا في تقسيمه وتنظيمه لكتابه ؛ حيث قَسَّمَهُ إلى أبواب وفصول كما فعل أرسطو ، وكذلك أخذ عنه بعض الحدود والتعريفات لبعض الأساليب البلاغية ، وخصوصًا الطباق والمقابلة . وبالرغم من تأثره إلا أنه تأثر عامٌ لا يُخْفِي أصول صاحبه ، ولا أصالة فكرنا العربي[2] . ثم نقل البلاغيون العرب عن قدامة بن جعفر ، وهذا ما سنلاحظه في تتبع الباب عند البلاغيين .

وكل ذلك يفسر تكاثر المناطقة وعلماء الكلام والبلاغيين على هذا الباب ، فالتقابل اللغوي يعتمد في أصوله على منطق عقلي أنتج صورة جمالية لفظية ، وبما أن المنطق هو التفكير المنظم الذي يقودنا إلى معرفة الأشياء ؛ فإن اللغة هي القالب والمستودع الرئيس لهذا التفكير ، فالحدث الكلامي هو حدث عقلي صرف .

(١) البلاغة وتطور وتاريخ د. شوقي ضيف : ٧٨ ، القاهرة ، دار المعارف .

(٢) البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية ، د. سعد أبو الرضا : ١٠١ ، رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٤/٤٦٩١ ، ط ١٣٨٤ هـ.

وبالرغم من هذه العلاقة الوثيقة بين اللغة والمنطق إلا أن اللغويين - بناءً على استقراء الواقع اللغوي - يُقِرُّونَ بأن اللغة تتمرد على المنطق وتخرج عن قيوده متى شاءت ، حيث تلجأ إلى حيل معجمية وأسلوبية تعلن بها عن تمردها؛ فما الحمل ، والقياس الخاطئ ، والشذوذ الدلالي ، والتوسع ، والتضييق ، والانتقال الدلالي ، إلا صور شتى لهذا التمرد . ويقرُّ سابير ، وجون لاينز ، وبالمر[1] بأن هناك علاقة وثيقة بين التقابل الدلالي والمنطق إلا أن هناك صورًا عديدة من التقابل لا يمكن إخضاعها للمنطق ، فاللغة لا تعبر عن العقل وحده ؛ بل تعبر عن الواقع بانفعالاته وتصوراته ورموزه وغموضه ، وكل ما يحتويه الحدث الكلامي ؛ فإذا اعتمدنا على المنطق وحده في دراسة اللغة فإنه غير كاف وغير مضبوط ؛ بل ظهرت كثير من المشاكل الزائفة في المنطق والفلسفة حينما جعلاهما الوسيلة الوحيدة لتحليل اللغة .

## التقابل الدلالي عند المناطقة :

### عند أرسطو :

فَصَّلَ أرسطو في التقابل ، كوسيلة من وسائل التفكير الذي يقوم على البراهين الموضوعة ، ففي المنطق تدور الحجج على الاستقراء والقياس المضمر ، ومن أهم حجج القياس التضاد الذي هو شِقٌ من التقابل ؛ لذا يرى أرسطو أن التقابل وسيلة من وسائل الإقناع ؛ وأن التفكير بلغة التضاد من وسائل إثبات المعنى ، وهو أيضًا منهج لإقناع الناس وجعلهم يقبلون بشيء لم يقبلوا به مسبقًا ، ويعد التقابل وسيلة للاستيلاء على الفكر حتى يذعن ويسلم بأمور عديدة[2] .

---

(١) علم الدلالة : جون لاينز : ١٠٢ ، مدخل إلى علم الدلالة فرانك بالمر : ١٥٠ .

(٢) الخطابة : لأرسطو طاليس : ١٥٢ ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، لبنان ، دار القلم .

## التقابل الدلالي عند المتكلمين العرب :

ورد مصطلحان للتقابل عند المتكلمين هما :

١ - الضد : «وهو ما حُمل حمل التضاد ، والتضاد هو اقتسام الشيئين طرفي البعد تحت جنس واحد ، فإذا وقع أحد الضدين ارتفع الآخر»[(١)] .

«والضدان في اصطلاح المتكلم : عبارة عما لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ، وقد يكونان وجودين كما في السواد والبياض ، وقد يكون أحدهما سلبًا وعدمًا كما في الوجود والعدم»[(٢)] .

٢ - التقابل : «أما المتقابلان فهما ما لا يجتمعان في شيءٍ واحد من جهة واحدة . وهذا إما أن يكون في اللفظ أو في المعنى ؛ فإن كان في المعنى فإما أن يكون بين وجود وعدم ، أو بين وجودين ، وهو تقابل السلب والإيجاب ، وإن كان من القسم الثاني [ويقصد به تقابل المعنى] فمنه تقابل المتضايفين وذلك كما في الأبوة والبنوة ونحوهما . ومنه تقابل الضدين كما في السواد والبياض ، ومن خواص هذا التقابل جواز انتقال طرفيه بالحركة إلى واسطة تكون بينهما . . . وأما ما كان من القسم الثالث فيسمى تقابل العدم والمَلَكَة ؛ كما في العمى والطرش»[(٣)] .

- وقد يتصف الضدان بوسط كالفاتر المتوسط بين الحار والبارد ، بحيث لا يخلو المحل منهما معًا ، ويمكن تعاقب الضدين على المحل بحيث لا يخلو المحل من أحدهما.

---

(١) موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي : ١/ ٧٨١ ، د. سميح دغيم ، لبنان ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١٩٩٨ .

(٢) المصدر السابق : ١/ ٧٢١ .

(٣) المصدر السابق : ١/ ٣٤٣ - ٣٤٣ .

- ويشترط المتكلمون لوقوع التضاد أن يكون بين أنواع الجنس الواحد ، فلا تضاد بين أنواع متدرجة من أجناس مختلفة ، فالتضاد بين السواد والبياض واقعٌ تحت جنس اللون[1] .

- أما المطابقة عند المتكلمين فهي «الاتحاد في الأطراف كطاسين فإنه عند انكباب أحدهم على الآخر تطابق أطرافهما»[2] ، فالطباق والمطابقة عند المتكلمين تعني (المماثلة والمساواة) وهذا ضد معناها عند البلاغيين ومن تبعهم ، ومع هذا فإن البلاغيين والمتكلمين قد أجمعوا على مصطلح التضاد والتقابل ؛ لذا يقول التهانوي : «إن هذا الباب قد اتفق فيه علماء البديع والحكماء»[3] ويقصد بالحكماء المتكلمين .

## التقابل الدلالي عند الأصوليين :

التقابل عند الأصوليين وسيلة من وسائل الاحتجاج والإقناع ؛ يقول ابن تيمية في معرض حدبثه عن إثبات صفات الله : «فالتحقيق فيه متوقف على بيان حقيقة المتقابلين ، وبيان أقسامهما ؛ فنقول : (أما المتقابلان فلا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ، وهو إما لا يصح اجتماعهما في الصدق ولا في الكذب ، أو يصح ذلك في أحد الطرفين ؛ لأنهما متقابلان بالسلب والإيجاب ، وهو تقابل التناقض.

والتناقض : هو اختلاف النقيضين بالسلب والإيجاب على وجه لا يجتمعان في الصدق ولا في الكذب لذاتيهما ؛ كقولنا : «زيد حيوان ، زيد ليس بحيوان» «فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان» ولا يمكن حصرهما بالسلب

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي : ٢/ ٨٧٣ - ٨٧٦ ، الهند : ١٤٠٤ هـ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٩١٨ .

(٣) المصدر السابق : ٢/ ١٢٠٩ .

والإيجاب فقط ، بل قد يردان في أساليب أخرى ، وقسّم ابن تيمية التقابل إلى ثلاثة أقسام :

١ - العدم والملكية . ٢ - المتضايفان . ٣ - السلب والإيجاب .

وذكر بعض أنواعه :

١ - تقابل لا يخلو الموصوف من أحدهما ؛ فإذا انتفى تعين الآخر كما في : «الحياة / الموت» «الصم / البكم» .

٢ - تقابل إذا خلا الموصوف عنهما وصف بوصف ثالث : كالحمرة بين السواد والبياض[1] .

## التقابل الدلالي عند البلاغيين :

### ١ - عند ابن المعتز ت ٢٩٩ هـ

وهو أول من ألف في البديع وعقد بابًا عن المطابقة قال : وقال الخليل : طابقت بين الشيئين، إذا جمعتهما على حذو واحد، . . . فالقائل لصاحبه : «أتيناك لتسلك بنا سبل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب»[2] ثم أورد أمثلة كثيرة ومتنوعة للتقابل من القرآن، والحديث، والشعر، والمثل، واقتباسات متعددة، إلا أنه لم يبين له أنواعًا أو يحدد له أقسامًا؛ بل اكتفى بالتمثيل .

### ٢ - عند قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هـ:

«المقابلة : هي أن يضع الشاعر معانيًا يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة، فيأتي بالموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، أو

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد العاصمي: ٣/ ٩٣ - ١٣٠ ، الرياض .

(٢) البديع لابن المعتز : ١٢٤ - ١٣٩ .

يشترط شروطًا ، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدَّدَه ، وفيما يخالف بأضداد ذلك»[1] .

وذكر قدامه أربع صور للتقابل :

١ - الصورة الأولى : المضايفة : وهي أن تتقابل الأشياء عن طريق المضاف ، فلا يحكم على الشيء إلا وبوجود مقابلة المضاف إليه ؛ فالمولى مضاف إلى سيده ، والابن مضاف إلى أبيه ، والنِّصف إلى ضِعْفِه ، فلا يقاس أحدهما إلا بالآخر ؛ لذا كان أحدهما مضافًا ومقابلاً له .

٢ - الصورة الثانية : الضِّدِّيَّة : وهي تقوم على النقيض مثل : الخير والشر ، والحار والبارد ، والأبيض والأسود .

٣ - الصورة الثالثة : العدم والكسبة : وهي أن يكون أحد المتقابلين معدومًا من الصفة ، والآخر مكتسبًا لها ؛ كالأعمى مقابل البصير ، والأصم مقابل السميع ؛فالأصم معدوم الصفة ، والسميع كاسب لها.

٤ - الصورة الرابعة : السلب والإيجاب : حيث يحدث التقابل بين لفظين مثلين الأول مثبت ، والآخر منفي مثل : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة : الآية ٤٤][2] .

## ٣ - ابن رشيق القيرواني : ت ٣٩٠ هـ :

المطابقة : «جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر» .

(١) نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ١٣٣ .

(٢) نقد الشعر : قدامة بن جعفر : ١٣٣ ، ١٣٤ .

المقابلة : «فهي بين التقسيم والطباق ، وهي تعرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ؛ فيُعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخراً ، ويؤتى في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه»[1] .

وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة»[2] .

**وفرق القيرواني بين المقابلة والطباق بالآتي :**

١ - أن الطباق يقع بين الضدين فقط ، أما المقابلة فتقع في الضدين والمتخالفين .

٢ - الطباق أن يكون بين مفردتين متضادتين، أما المقابلة فتقع فيما فوق ذلك[3] .

### ٤ - عند ابي هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ :

«المطابقة : هي الجمع بين الشيء وضده ، في جزء من أجزاء الرسالة ، أو الخطبة ، أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل : الجمع بين السواد والبياض ، والليل والنهار ، والحر والبرد»[4] .

أما المقابلة : فهي إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ ، على جهة الموافقة أو المخالفة»[5] .

---

(١) العمدة : ٢/ ١٥ ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، ط ٤/ ١٩٧٢ م .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العمدة : ٢/ ١٥ .

(٤) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري : ٣٠٧ .

(٥) المصدر السابق .

### ٥ - عند الخطيب القزويني ت ٧٣٩ هـ :

قال : أما المطابقة : وتسمى الطباق ، والتضاد أيضًا ، فهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة»[1] .

وقال في المقابلة «ودخل في المطابقة ما يُخَصُّ باسم المقابلة ، وهو أن يُؤْتَى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب؛ والمراد بالتوافق خلاف التقابل ، وقد تتركب المقابلة من طباق ملحق به ، مثال : مقابلة اثنين باثنين مثل : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٢][2] ، فالمقابلة جزء من الطباق عند القزويني ، وقسّم الطباق إلى قسمين طباق إيجاب - كما تقدم - وطباق سلب ؛ وهو الجمع بين فعلي كلمتين الأولى مثبتة - وهو طباق الإيجاب - والأخرى منفية - وهو طباق السلب - كقوله تعالى : ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة : الآية ٤٤][3] .

وقسم القزويني الطباق إلى نوعين :

أ - النوع الأول : الطباق بين لفظين من نوع واحد :

١ - اسمين نحو قوله تعالى : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [سورة الكهف : الآية ١٨] .

٢ - أو فعلين نحو قوله تعالى : ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٢٦] .

٣ - أو حرفين نحو : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٦] .

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني : ١٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ١٩٢ .

ب - النوع الثاني : الطباق بين لفظين من نوعين مختلفين نحو قوله تعالى : ﴿أَوَ من كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٢٢][1] .

### ٦ - عند حمزة بن العلوي (صاحب الطراز) ت ٧٤٩ هـ:

وسماه التطبيق [من الطباق] ، ويقال له : التضاد ، والتكافؤ والطباق ، وهو أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام . وقال : «إذا كثرت الأضداد سميت مقابلة»[2] ، وقسم المقابلة إلى :

١ - أن يقابل الشيء بضده من جهة لفظه ومعناه مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [سورة النحل : الآية ٩٠] .

٢ - أن يقابل الشيء بضده من جهة معناه دون لفظه ؛ مثل قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧)﴾ [سورة الليل : الآيات ٥ - ٧] فقوله (كذب وصدق) طباق لفظي ، وقوله (اليُسْرَى/ العُسْرَى) طباق لفظي ، أما قوله (أعطى وبخل) فإنما هو طباق معنوي ؛ لأن معنى (أعطى) (كَرُم) فطابق «بَخِلَ» في معناه دون لفظه .

٣ - أن يقابل الشيء بما يخالفه من غير تضاد ؛ كقوله تعالى : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٩] فضد الشدة اللين وليست الرحمة، وإن كانت الرحمة من مُسببات اللين فجازت المقابلة ؛ بل وحسنت .

---

(١) الإيضاح : ١٩١ .

(٢) الطراز : ٣٨٣ .

٤ - أن يقابل الشيء بما يُماثِله ؛ مثل : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى : الآية ٤٠][1] .

## خلاصة المبحث :

١ - أن مصطلح التقابل مصطلح من مصطلحات منطق أرسطو ، فهو وسيلة من وسائل التفكير وطريقة من طرق الإقناع عنده .

٢ - يتفق المناطقة ، والأصوليون ، والبلاغيون على أن التقابل الدلالي يعتمد في أصوله على منطق عقلي أنتج صورة جمالية لفظية ؛ لذا نال عناية هؤلاء جميعًا وتكاثروا عليه، واتفقوا على كثير من حدوده ومصطلحاته .

٣ - أن للتقابل وجهين ؛ وجه معنوي منطقي نال عناية علماء المنطق والأصوليين ، ووجه لفظي جمالي نال عناية البلاغيين ، واحتاروا في موضعه ، فأضافه ابن المعتز في باب البديع وعدَّه محسنًا معنويًا وتبعه جمهور البلاغيين من بعده .

٤ - أن عبد الله بن المعتز ت (٢٩٩ هـ) أول لغوي عربي ، تتبع التقابل في كلام العرب من القرآن والنثر والشعر ؛ ولأن الباب بكرًا نجده عنده يفتقر إلى التنظيم والتنظير ؛ حيث لم ينل عناية العلماء بعده .

٥ - يعدُّ قدامة بن جعفر ت (٣٣٧ هـ) أول عربي لغوي أخذ عن الثقافة اليونانية متأثرًا ببلاغة أرسطو ؛ حيث مزج بين ثقافتين وتبعه جمهور البلاغيين بعده .

٦ - اتفق المناطقة وعلماء الكلام ، وتبعهم قدامة بن جعفر على رفض مصطلح (الطباق) وإطلاقه على التقابل ؛ حيث وقفوا على مصطلحي

---

(١) الطراز : ٨٣ - ٣٨٧ .

«التضاد ، والمطابقة» وحجّتهم في ذلك أن المطابقة تعنى المماثلة والمساواة وهو ضد مصطلح المقابلة والتضاد القائم على المخالفة والبعد .

٧- ميَّز علماء العربية بين التقابل الحاد ، والتقابل المتدرِّج ، فالتقابل الحاد هو ما سماه البلاغيون والمتكلمون بالتضاد الحقيقى ، ويكون فيه الضدين فى غاية الخلاف والبعد كما فى «السماء / الأرض» . أما التقابل المتدرج فهو - كما وصفوه - بأنه تضاد قائم على جواز انتقال طرفيه بالحركة إلى وسطه كالفاتر بين الحار والبارد .

٨- يشترط المتكلمون فى وقوع التضاد أن يكون المتضادَّان من جنس واحد - وهو ما يسميه المحدثون بالحقل - لذا صح وقوع التضاد بين الأسود والأبيض ؛ لأنهما من جنس واحد هو اللون .

٩- يرى علماء البلاغة أن التقابل الدلالى محسن عرضى معنوى للكلام وليس ذاتيًا، وترى الباحثة أن للتقابل دوراً أخطر وغرضًا أبعد فهو ليس حلية لفظسية معنوية فقط ، بل منهج فكرى ووسيلة عقلية للإقناع والعرض .

## نظرية التقابل الدلالى عند العرب القدماء :

- ينقسم التقابل الدلالى عند العرب القدماء إلى قسمين :

١- الطباق .                ٢- المقابلة .

- فرَّق العلماء بينهما بأن الطباق : يقع فى اللفظين يكونان فى غاية البعد والخلاف وهو ما يسمى عند البلاغيين والمتكلمين بالتضاد الحقيقى، أما المقابلة: فتكون بين المتخالفين ويتعدد فيها التضاد بحيث يأتى بأكثر من واحد .

● صور التقابل الدلالى :

١- التقابل بين الضدين «الخير / الشر» ، «الليل / النهار» .

٢- التقابل بين التضايقين : «الابن / الأب» ، «السيد / المولى» .

٣- التقــابل بين العــدم والمَلَكَة: «الأعمى / البـصير» ، «الســميع / الأصم» .

٤- التـقابـل بين الـسلـب والإيجـاب نحـو: ﴿فَلا تَخْشَوُا الـنَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة : الآية ٤٤] .

● أقسام التقابل الدلالى :

١- التقابل الحــاد : «الليل / النهار» .

٢- التقابل المعنوي : «أعطى / بخل» .

٣- التقابل المتدرج : «ساخن - فاتر - بارد» .

٤- التقابل المتماثــل لفظيًا: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: الآية ٤٠] .

● أنواعــــه :

١- التقابل بين اسمين .

٢- التقابل بين فعلين .

٣- التقابل بين حرفين .

٤- التقابل بين لفظين مختلفين نحو : «اسم / فعل» .

## المبحث الثاني : التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث :

تميزت الدراسات اللغوية الحديثة بأنها وطدت العلاقة بين فروع اللغة ، لاسيما علم البلاغة وعلم الدلالة ، فقد كانت البلاغة قديمًا لائحة وصفية جامدة تشبه قواعد النحو ، أما اليوم فقد اتسع الدرس الدلالي وخاصة علم الدلالة التركيبي الذي تجاوز المفردة إلى الجملة والسياق والنص فأصبحت العلاقة بين الدلالة والبلاغة علاقة تأثير وتأثر[1] وبهذا صار المعنى وانزلاقاته عاملاً مشتركًا بينهما[2] .

ثم تطلع علم الدلالة إلى النص بوصفه حدثاً اتصالياً وشبكة من العلاقات الناتجة عن تضافر الأنظمة اللغوية بمستوياتها المختلفة ، فأصبح النص هو الهدف لا جزيئياته من مفردات وصيغ وجمل[3] .

وبهذا توثقت العلاقة بين الدلالة والبلاغة يجمعهما التركيب والتوليد والنص ، فإن كان (الطباق والمقابلة) باباً من أبواب البديع ومحسناً معنوياً عند البلاغيين القدماء، فإنه عند الدلاليين أحد أنواع نظرية العلاقات ، وإبداع من إبداعات التوليد الدلالي .

### التقابل الدلالي عند الغربيين :

### أولاً : «عند بالمر»[4] :

درس بالمر «التقابل الدلالي» تحت مصطلح «التضاد» ، وهو مصطلح قديم

(١) العلاقات الدلالية في التراث العربي ، دراسة تطبيقية ، د. عبد الواحد حسن الشيخ : ١٧٣ ، الإسكندرية ، مكتبة الإشعاع ، ط ١١/١٤١٩هـ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) علم لغة النص د. سعيد حسن بحيري : ٧٥٤ ، لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط١ / ١٩٩٧م .

(٤) مدخل إلى علم الدلالة . فرانك بالمر : ١٤٤ - ١٥٥ ، ترجمة : خالد جمعة ، الكويت ، مكتبة دار العروبة، ط١ / ١٩٩٧م .

استخدمه البلاغيون العرب ؛ لـلتعبير عن «الطباق والمقابلة» وعرَّفه بقوله : «التضاد مفهوم يعني «تعاكس الدلالة» ، والكلمات ذات الدّلالات المتعاكسة «متضادات» .

ويرى بالمر أن التضاد ظاهرة لغوية منظّمة وجدُ طبيعية ، إلا أنها لم تنل العناية في كتب الدلالة ولم يهتم بها أصحاب المعاجم . وقسَّم بالمر التقابل إلى :

**١- *التضاد المدرّج* :**

وهو التغيير التدريجي في الصفات نحو : (واسع ، وضيّق) كما في : الحجم ، والعمر ، والمساحة ، ويتميز بالآتى :

أ - أنه يستخدم معه (أفعل) التفضيل للتعبير عن التدرج .

ب- يلاحظ في الجمل المتضادة أن علاقة التضمين المتبادلة واضحة فيما بينهما .

جـ- وجود عناصر وسيطة بين الطرفين المتضادين ؛ مثل : (حار) و (بارد) ؛ حيث يوجد (ساخن) التي تشكل بدورها تضاد آخر ، وثالث لهما .

د- أن أخد المتضادين يكون هو المُعَلّم أو المُمَيَّز في علاقة التضاد ؛ فـ «طويل، وواسع ، وصحيح» هي التي تحمل الصفات المُعَلَّمَة ، والمَمَيَّزة ؛ حيث أنها تتمتع بصفة عالية ، وخاصِّية متميزة أمام : «قصير ، ضيق ، مزيف» .

**٢- *التضاد غير المتدرج* :**

«وهو ما يسمى بالتضاد الحاد عند اللغويين» ويتميز بالآتى :

١- أن أزواج المتضادات ميه غير قابلة للتعاكس ؛ مثل : «مذكر / مؤنث» ، «حي / ميت» ، «متزوج / أعزب» .

٢- أن نفي أحد المتضادين يعني صلاحية الآخر .

٣- هذه المتضادات متكاملة دلالياً .

٤- تتضمن علاقة التنافر فيما بينها .

٥- ثنائية التضاد لاقتصارها على احتمالين فقط .

٦- واسعة الانتشار .

٧- أنها تشبه المتضادات المتدرجة نسبياً فى إمكانية قبولها للتدرج على نحو واضح لا على نحو ضمنى .

**٣- التضاد المتعاكس :**

وهو يرتبط بالقلب الدلالي على نحو «اشترى / باع» ، «زوج / زوجة» وله أنواع مختلفة :

١- الأفعال المتقابلة : نحو : «باع / اشترى» «أعار / استعار» «أجر / استأجر» «أعطى / أخذ» .

٢- الأسماء المتقابلة : «زوج / زوجة» «مدرس / طالب» .

٣- الظروف المكانية : «فوق / تحت» «أمام / خلف» «جنوب / شمال» .

٤- بعض المصطلحات النحوية المتقابلة «مبني للمعلوم / منبي للمجهول» .

وقد درس علماء المنطق هذا النوع من العلاقات ؛ ووجدوا أنها تتميز وفق مجموعة من الأسس هي :

أ - **التناظر** : حينما تكون العلاقة بين عنصرين متناظرين ، حيث يتلازم طرفا التناظر مثل «زوج / زوجة» «أب / ابن» .

ب- **التعدية** : حينما يتم إنتاج أكثر من عنصرين متقابلين ، وأكثر ما يقع في الظروف المكانية «شمال / جنوب / شرق / غرب» .

جـ- **المطاوعة : حينما يتولد عنصر من عنصر آخرٍ مرتبطاً به ، مساوياً أو معادلاً له .**

## ٤- التضاد النسبى : ويقع فى :

١- أسماء القرابة : فهي تحظى برعاية كاملة في دراسة حقل المتضادات النسبية لجملة من الأسباب :

أ - عدم اكتفاء كثير من هذه الأسماء بالإشارة إلى طبيعة القرابة ، بل لامتداد وظيفتها إلى توضيح جنس الشخص المعني ، فالوالد الذكر هو أحد الأبوين، والبنت هي المولود الأنثي فينحصر التعاكس على هذا النحو .

ب- ارتباط المسألة في اللغة المقابلة بإمكانية تناظر التعابير وعدم تناظرها . .

٢- ومن التضاد النسبي **أيضاً** : ذلك الموجود في الأزواج المتقابلة أو المتعاكسة ، مع أنها لاتتميز عن بعضها نسبياً ، حيث إن الرابط بينها ليس قوياً ، من ذلك :

أ - التضاد الاتجاهي : **في «جاء / ذهب» «جاء / أتى» «أقبل / أتى» .** حيث يكون الحركة باتجاه السامع والمتكلم هي الفيصل .

ب- وهناك أزواج من الألفاظ تبدو فيها التعابير مترابطة على نحو مماثل في التضاد الاتجاهي ؛ كانتظار المرء الإجابة بعد السؤال ، والقبول بعد العرض .

ويرى بـ[illegible] هناك صوتًا من التضاد الحقيقي المتدرج ، يمكن أن تدرس تحت التضاد [illegible]ي ؛ بوصفه تضادًا متقابلاً نسبياً ؛ كما في (أوسع ) فقد تعد «أوسع من» [illegible]ر إلى المعيار، وكذلك في أفعال التفضيل ؛ فهي تشكل أزواجًا مترابـ[illegible] متقابلة، متعدية .

**ثانيا: عند جون لاينز[1] :**

يرى جون لاينز أن التـضاد من أكثر العلاقات الدلاليـة أهميّة ؛ إلا أنه لم يحظ بعناية الدلاليين ؛ لاسيما أن اللغويين يرون أنه متمم للترادف وبالرغم من ذلك لم يأخذ حقه من الدراسة كالترادف .

- وقسم جون لاينز التضاد إلى ثلاثة أقسام :

١- التباين . ٢- التخالف . ٣- التعاكس .

**١) التباين :**

مثل (أعزب / متزوج) و «ذكـر / أنثى) فمن خصائص التضـاد المتباين ما يلي :

١- أن نفي أحد الأزواج المتضادة يتضمن تأكـيد الآخر ، وكذلك تأكيد أحدهما يتضمن نفي الآخر .

٢- يقوم عـلى ثنائـية التضاد؛ فـهو يقع بـين طرفين نقيـضين فقط، لا يـقابل بثالث.

٣- أن التضاد المتباين غير قابل للوصف أو التدرج .

**٢) التخالف :**

**أ - المتخالفات الحادة :**

**مثل (كبير / صغير) و(طويل / قصير) ، ومن خصائص التخالف :**

١- أن التضاد فيه قابل للتدرج .

---

(١) علم الدلالة : جون لاينز : ٩٥ - ١١٠ ترجمة مجيد الماشطة وآخرون ، كلمة الآداب جامعة البصرة، ت ١٩٨٠

٢- أن المقارنة في التخالف تنقسم إلى علنية وضمنيـة، والمقارنة العلنية تقع في نوعين:

أ - أن يقارن بـين شيئين فـي خاصيّة معـينة ؛ يكـون فيها أحـد الزوجين المتضادين أعلى من الآخر .

ب- أن يقارن بـين حالتين لـلشيء نفسه تكون إحـدى الحالتين أكـثر من الأخرى ، ويمكن الجمع بين النوعين في الجملة نفسها .

## ب- المتخالفان المتدرجة ضمنياً:

وترتكز على ما يلي :

١- أن المتقابـلات التي تقوم علـى (صغير / كبيـر) و(قليل / كثيـر) و(جيد / ردىء) قائمة على التدرج ؛ إلا أن التدرج الكامن فيها غير مثبت بنيوياً .

٢- أنها ألفاظ نـسبية تفقد كل أهـميتها عندما تجـرد من مدلولاتها التي يـعطيها السياق .

٣- أنها مجرد نقاط انطلاق تتغير كثيراً بحسب النص .

٤- أنها ليســت معياراً حقيقياً بل هـي نقطة تماس تلتقي فيـه الخواص المتدرجة باتجاهات متضادة ، فهي لا تشير إلى خـواص التضاد بذاتها ، لكنها مجرد وسائل معجمية للتدرج .

٥- أن التقابل الضمني بين عضوي زوج معـين لا يقع في المسائل غير المميزة ، حيث إن أحد الزوجين قد وضع باتجاه إحدى نهايتي المقياس دون الآخرى ، لذا يطلب تحديداً أكثر لمكان الشيء على المقياس الملائم .

٦- أن لأحد المتخالفـين قطب موجب ، والآخر سالب ؛ لأن المتخـالف المميز يستعمل معيار = (أكثر) ، وليس (أقل) .

**٣- التعاكس:**

مثـال : (يشتري / يـبيع) (قَتل / قُتِل) (زوج / زوجـة) فكل عضـو في زوج عكس الآخر :

١- التعاكس الواقع في الفعل نحو (باع / اشترى) .

٢- التعاكس الواقع في البنية النحوية بين الفاعل والمفعول به (ضرب محمد زيد / وضرب زيد محمد) .

٣- التعاكس الواقع في البناء للمعلوم مثل (قَتل . قُتِلَ) .

٤- التعاكس الواقع في حروف الجر (له / عليه) .

٥- التعاكس الواقع في ألفاظ القرابة .

٦- التعـاكس الواقع في الـفعل الذي يقـتضي إجـابتين مثـل : (قدَّم) ← (رفض ← ، سأل ، و(سأل) : ← أجاب ← رد) .

**العلاقات بين التخالف والتباين:**

يتشابه التخالف والتباين بأن الجملـة التي تحتوي على أحدهما تتضمن نفى جملة مـناظرة لها . ولكن هذا لا يـعني أننا نستـطيع الاستغناء عن حـل أمثلة التخالف والتبـاين في اللغة ؛ لأن الاستعمال أثبتها وإن كـان المنطق يدّعي عدم الحاجة إليها ، مما يثبت أن اللغة لا تخضع دائماً للمنطق ؛ بل تزخر اللغة بكم هائل من ألفاظ الـتخالف والتباين وهذا يؤكـد نزعة اللغة البشرية إلـى التفكير بلغة التـضاد ؛ لاستقطاب الخبرة والـرأي مثال : هل كان الكتاب جـيداً : فلو قال : لا ، فكأنه يثبت بأن الكتاب رديئاً ، ما لم يوضح بعد النفي بـ (لا) بأنه سيصدر حكماً بلغة التقابل الاسـتقطابي . لِكُلٍّ من جيد ورديء ؛ لذا يلجأ إلى التخالف المتدرج عندما يكون الاختيار المثالى بين (نعم) و(لا) غير كاف .

**ثالثا : عند آكروز [1] :**

يرى كروز أن الوصف الشامل والمرضي للتقابل لم يولد بعد ؛ والواضح أن هنالك سمتين مكونتين في جوهر كل علاقة تقابلية :

الأولى : الثنائية ؛ وهي ثنائية الجوهر .

الثانية : أن فكرة التقابل في حالتها الأساسية البسيطة هي فكرة مكانية صرفة .

وقسم التقابل إلى أنواع هي :

**١- المتممات :**

مثال «حي / ميت» ، «مفتوح / مغلق» ويرى أن الصورة التي يعرضها زوج من المتممات هي مساحة إدراكية واحدة مقسومة كاملاً إلى جزأين ، فما يقع في الجزء الأول لا يقع في الجزء الثاني ؛ منعاً لحدوث الغموض فـ «فلان حيّ» تنفي «ميت» وليس ميتاً تستلزم «حيّ» .

**٢- المتضادات :**

مثاله «كبير/ صغير»، و«قصير / طويل» والفرق بين المتممات والمتضادات:

١- أن إنكار أحد الزوجين لا يعنى تأكيد الآخر ؛ فعندما أقول «ليس قصيراً» فلا ينتج من ذلك أنه طويل .

٢- أن أعضاء هذا الزوج من المتقابلات يشير إلى درجات من صفة متغيرة ومتدرجة .

---

(١) اللغة والمعنى ومعنى الكلمة : علم الدلالة : د. آكروز : ١٥٨ الموسوعة اللغوية ، المجلد الأول ، تحرير الأستاذ الدكتور : ن ، ي . كولنج، ترجمة د. محيى الدين حميدي - د. عبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع / الرياض .

٣- أن هذا النوع من التقابل يقبل ألفاظ التعزيز .

٤- أنه يقع فى تراكيب المقارنة والتفضيل .

**٣- المنعكسات :**

مثاله : «يدخل / يخرج» «يحل / يربط» .

وتتميز المنعكسات بأنه لا يُشْتَرَطُ فيها أن يكون أحد الزوجين عكس الآخر تماماً ، المهم أن يعكس اتجاه التغيير في الحالات النهائية .

**٤- المتناقضات :**

مثال : «فوق / تحت» و«يبيع / يشتري» .

وتسمى بالمتضادات العلائقية فكلها ألفاظ تعبر عن علاقة بين شيئين أو أكثر كما في «تحت / فوق» «أمام / خلف» فالعلاقة هنا بين شيئين فقط ، أما في «باع / اشترى» فالعلاقة بين أربعة أشياء «البائع / المشتري / السلعة / المال» ومن المتناقضات العلائقية : الأفعال المبْنية للمعلوم والمبنية للمجهول .

**٥- الوسم ، والقطبية :**

أما الوسم : ويقصد به العلاقة . فموسوم تعنى مُعَلَّم ؛ فأحد طرفي التضاد يكون موسوماً (مُعَلَّماً) والآخر غير موسوم ، فالزوج الإيجابي من زوجي التضاد غير موسوم ، أما السلبي فهو الموسوم أو المُعَلَّم ، فـ (كبير/ كثير/ سريع/ طويل) هي أحد زوجي التضاد غير الموسوم ، إلى جانب أن المتضادات غير الموسومة يمكن وصفها بعبارات مثل (أطول بمرتين ، أسرع بكثير) ولكن من غير المقبول لغوياً أن تقول (أقصر بمرتين / أصغر بمرتين) .

ثانياً : القطبية : وهي أنه في معظم حالات التضاد المعجمي هناك مصطلح إيجابي وآخر سلبي ؛ عندما لا توجد سابقة نفي مثال [ طويل / نظيف / صحيح ] فهذه إيجابية يقابلها سلبياً [ قصير / وسخ / مزيف ] ، فمصطلح

(إيجابي) يرتبط - غالباً - بقيمة عالية مرتفعة من صفة أو خاصية مقيسة أو متدرجة مثل : (الطول والسرعة والوزن) ، أما مصطلح : (سلبي) فيتميز بالآتي :

١- أنه ضد الإيجابي .

٢- أنه يُظْهِرُ انعكاساً في القطبية عندما يطبق على نفسه وهذا لا يحدث في المصطلح الإيجابي .

٣- أن المصطلح السلبي لا يقبل سابقة النفي فمثلاً تقول : (غير جيد) ، (غير نظيف) ؛ هاتان عبارتان مستقيمتان لغوياً ؛ أما (غير سيئ) (غير قذر) ؛ فهاتان عبارتان غير مستقيمتين .

**رابعاً : *التقابل عند كلود جرمان وريمون لويلون* [1] :**

يرى المؤلفان بأن جون لا ينز قد طور «نظرية العلاقات الدلالية» ، من بينها دراسته للتضاد ؛ وقسما التضاد إلى ثلاثة أنواع :

١- التضاد التام أو الحاد مثل (أعزب / متزوج) (ذكر / أنثى) .

٢- التضاد المتدرج : (كبير / صغير) .

٣- التضاد المتبادل (اشترى / باع) .

**خامساً : *التقابل عند برند شبلنر* [2] :**

يركز المؤلف على التقابلات التي تحدث فى الأسلوب والبنية وأثرها في النص ؛ ويعرض المؤلف لعدد من المتقابلات التي تحدث لأسباب منها :

---

(١) علم الدلالة : ٦٦ ، ترجمة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بغازى .

(٢) علم اللغة والدراسات الأدبية ، برند شبلنر : ١١٣ - ١٢١ ، ترجمة : محمود جاد الرب ، دار الفنية للنشر والتوزيع ، ط ..ت ١٩٨٧م .

١- أن التقابل يحدث من خلال السلوك غير المتوقع للوحدات اللغوية التي تأتي مضادة للسياق .

٢- أنه يحدث بتغير الأجناس النحوية ؛ كالأبنية التركيبية وبتغير الوزن .

٣- أنه يحدث من خلال اختلافات كمية الوحدات اللغوية .

٤- أنه يحدث بتغير الشفرة اللغوية أو المستوي اللغوي كإقحام لغة داخل لغة ، أو مستوى لهجي داخل فصحى ، أو تداخل لهجتين أو مستويين .

وفى النص الأدبي قد تسود مقابلات أسلوبية مزدوجة حينما تأتي المقابلة بين عدد من المتضادات . وقد يُحْدِثُ الكاتب تلاعباً في النص فيما بين التضاد من خلال الترتيب كأن يأتي في نص بالتقابل بين شيئين من خلال المميزات والعيوب . فيأتي بثلاث مميزات ، ثم يقابلها بثلاثة عيوب ، وفي التضاد الأخير يعكس الترتيب فيأتي بميزة تجعل المقابلة الأخيرة مميزة بشكل واضح عما قبلها .

- أما التقابل في كمية الوحدات فقد يحدث بين وحدتين إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة ، حيث يأتي تركيب طويل ثم يظهر فجأة تركيب متوازٍ قصير غير متكامل ، إن هذه الظاهرة من التطابق تأتى متقابلة في السياق، ومن ثم يفرز كظاهرة أسلوبية واضحة .

- ويرى المؤلف أن ظاهرة التقابل في الأسلوب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجنسين رئيسين من الجمال ؛ هما الانسجام والاختلاف .

- كذلك عرض المؤلف للتقابل في الموقف وهذا النوع لم يتطرق إليه سابقيه أمثال بالمر وجون لاينز؛ حيث أضاف إلى الظواهر المتقابلة سياقياً، التقابلات الموقفية ، التي تحدث خاصة في الموقف ، ولا تخلو من أهمية أسلوبية في اتصال الأدبي.

- ويتطرق المؤلف إلى أثر المقابلة في النص حيث يرى أن التعارض الذي يحدثه أسلوب المقابلة له قيمته الإيجابية في النص بشرط ألآ يتجاوز الحد المعقول .

**سادساً : عند جورج بول [(١)] :**

واصطلح عليه اسم (المطابقة والطباق) ، وعرفه بقوله : (يطلق الطباق علي الكلمتين المتضادتين في المعنى) نحو : (سريع / بطيء) وقسم الأضداد إلى نوعين :

١- **متفاوت نحو** : كبير / صغير ، ويستعمل معه أفعل التفضيل ، ومن سماته أن نفي أحد الضدين لا يعني بالضرورة ثبوت الضد الآخر .

٢- **غير متفاوت** : ويطلق على الأزواج المتنامة ، فلا يستعمل معها أفضل التفضيل ، ونفي أحد أفراد التضاد يعني بالضرورة ثبوت الآخر . نحو «ميِّت / حي» .

**سابعاً : عند كارل دينز بونتنج [(٢)] :**

- أن التقابل الدلالي يقوم بحسب المعيار الاجتماعي أو إجمالي .
- البحث في التضاد مهم للبحوث النفسية ، وإيضاحات السلوك .
- أن التقابل بين النفي والإثبات لا يدخل ضمن التضاد ؛ كما في قولنا: «غبي / ليس غبي» ، و«ذكي / ليس ذكي» ، فهو بذلك يُخرِجُ طباق السلب والإيجاب» من التقابل .

---

(١) معرفة اللغة : جورج بول : ١٣١ . ترجمة محمود عبد الحافظ ، الإسكندرية ، دار الوفاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ، كارل دينز بونتنج ٢٧٥ - ٢٥٨ ، ترجمة د. سعيد بحيري ، القاهرة ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .

## ٢- التقابل الدلالي عند اللغويين العرب المحدثين :

### - التقابل الدلالي عند احمد مختار عمر[١] :

قسم التضاد إلى ثلاثة أنواع متأثراً وناقلاً عن (بالمر وجون لاينز) :

١- **التضاد الحاد «غير المتدرج»**: ويقوم على نفي أحد عضوي التقابل وإثبات الآخر .

٢- **التضاد المتدرج** : يقع بين نهايتي معيار متدرج ، أو بين أزواج من المتضادات الداخلية ، وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر ؛ مثال: (حار / دافئ / معتدل / مائل للبرودة/ بارد / قارس / متجمد» .

٣- **التضاد العكسيّ**: مثاله : «باع / اشترى» «زوج / زوجة» .

٤- **التضاد الاتجاهي** : مثاله : «أعلى / أسفل» «يصل / يغادر» «يأتي / يذهب» .

٥- **التضادات العمودية أو التقابلية أو الامتدادية** : مثاله : «شمال / شرق / غرب» أما التقابلية فمثل: «الشمال / الجنوب» و«الشرق بالنسبة للغرب».

وذكر رأي «لاينز» في أن أحد المتقابلين ذو معنى إيجابي والآخر سلبي ، لذا فإن المعاني السلبية هي التي تتجه نحو التحديد أو نقطة الصفر .

### - التقابل الدلالي عند حلمي خليل[٢] :

يرى المؤلف أن التقابل أحد أبواب العلاقات الدلالية التي تتصل بتعدد دلالة الكلمة ؛ حيث تنظر «نظرية العلاقات» إلى أن المعنى المعجمي للكلمة

(١) علم الدلالة : ١٠٢ – ١٠٥ القاهرة / عالم الكتب ، ط٥ / ١٩٩٨م .

(٢) الكلمة (دراسة لغوية معجمية) : ١٢١ ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية .

يمكن تحليله إلي عناصر أولية : فتنشأ العلاقات الدلالية بين الكلمة والأخرى ؛ بناءً على التشابــه أو التقارب في المعنى المعجمي لكل مــنها ، أو بعبارة أدق بين العناصر المكونة للمعنى المعجمي[1] .

وعرف **التقابل** : بأنه ثنائي من الكلمات لكل كلمة دلالة عكس الأخرى ؛ مثال ذلك : كبير / صغير) (طويل / قصير) ، وذكر أنواعاً من التقابل هي :

١- **التضاد الحاد** : في مثل الثـنائيات التالية (كـبير / صغير) ؛ فكل كـلمة من الثنائي تنفي الأخرى .

٢- **التضاد الإتجاهي** : نحـو : (حضر / ذهب) (ابـتعد / اقـترب) ؛ فالفـعل «حضر» يدل علـى التحرك بـاتجاه المتكـلم ، و(ذهب) يدل عـلى التحـرك في الاتجاه المقابل.

٣- وذكر المؤلف أن أحد المتضادين يـكون ذا علامة ، أي مُمَيَّزاً ويحتوي على عنصر إضافي كمـا في «كبير» «مرتفع» ، ولا يخفى علـى المطلع تأثر د. حلمى خليل ونقله عن الغربيين فى هذا الباب .

**د. عبد المجيد جحفة :**

أعتقد بأن طرح د. عبد المجيد جحفة عن الـدلالة التركيبية وعلاقات المعنى يعد طرحاً جديداً تقل نظائره في الدراســات الدلالية العربية ، وبالرغم من عدم إفراده للتـقابل بشرح مطـول كسابقيه ، إلا أنـه فتح آفاقاً جديـدة وسبر أغواراً بعيدة في بـنية التقابل من خلال الـنظرية التولدية فهو يرى بـأن حل مشكلات التقابل مـن خلال اعتبار الدلالة مكـوناً توليدياً - يجعلـنا نغير مفهومـنا المعتاد للمعجم[2] .

(١) الكلمة (دراسة لغوية معجمية) : ١٤٨ - ١٤٩ ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية .

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة : ٩٢ ، تونس ، دار توبقال للنشر ط١ ت ٢٠٠٠ .

ويؤكد الجحفة خطر الدلالة التركيبية في بناء المعجم ، فالألفاظ في المعجم مرت بعملية بناء قبل المعجم ثم فككت لأجل المعجم ، وأصبحت مداخل ؛ لذا يرى أن دراسة المفردات في ضوء الدلالة التركيبية يحل كثيراً من مشكلات المعجم ويغير صورته إلى الأفضل[1] ؛ حيث إنها تعين على استخراج السمات الدلالية التامة ؛ سواء في الاستعمال العادي أو في الاستعمال المجازي للفظ معين[2] .

والتقابل يعد مرحلة من تطور النظرية التركيبية الدلالية ؛ لذا أصبح الاهتمام يتجه إلى رصد طبيعته حيث أوجب ذلك النظر إلى المعجم بطريقة مغايرة ، ويعرض الجحفة لبعض صور التقابل :

١- التقابل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول .

٢- التقابل بين «باع / واشترى» .

٣- التقابل بين «أعطى وحصل» .

ويرى أن وجود التقابل بين التركيبين ، يعد حافزًا مهماً لمحاولة إقامة شكل تحتي مشترك بينهما . وهذا يعني أحد شيئين : الأول : إما أن أحد التركيبين أصلٌ للآخر ، الثاني : إما أن التركيبين يعدان تحقيقاً متناوباً لشكل ثالث مفترض يجمع بين التركيبين إذن نحن أمام فرضيتين : الأولى : فرضية أصلية أحد التركيبين ، الثانية : فرضية ، الأصل المشترك بين التركيبين[3] .

والفرضية الأولى هي التي يتبناها الدارسون اليوم بشكل مطلق ، أما الفرضية الثانية فلم تنل عناية الباحثين ؛ لأن تبنيها سيؤدي إلى قلقلة الفرضية

---

(١) المصدر السابق : ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ١٠١ .

(٣) مدخل إلى الدلالة الحديثة : ٨٧ ، تونس ، دار توبقال للنشر ط١ ت ٢٠٠٠ .

الأولى التي بنيت على وجود علاقة تحويلية بين التركيبين ، اللذين تربطهما علاقة التقابل ؛ مثال ذلك : (اشترى خالد الكتاب من محمد) (باع محمد الكتاب لخالد) .

فهاتان جملتان متقابلتان: فإذا اشترى خالد شيئاً من محمد ، فإن محمد يكون قد باع خالداً ذلك الشيء . فالفعلان متواردان «متقابلان» ، وفي إطار الافتراض الأول فينبغي الربط بينهما من خلال عملية تحويل يُعدُّ أحدهما أصلاً للثانى ، هذا في «باع / اشترى» ؛ أما في «أعطى / حصل» فإنهما بالفعل متقابلان إلا أن التقابل هنا يختلف عن صورته في «باع / اشترى» فالتوارد الذي يبين «باع / اشترى» يحتاج إلى انتقال بين متوازيين ، وهو انتقال مزدوج ، انتقال البضاعة من البائع إلى المشتري ، وانتقال المال من المشترى إلى البائع ، أما في «أعطى / تلقى» فهو انتقال واحد من المصدر إلى الهدف[1] .

إذن الأفعال «اشترى / تلقى / نال» أفعال تملك {سمة + قلب} ؛ ويقصد بالسمة: «التناوب الضِّديّ الموجود بين عدد مهم من أزواج الأفعال في جميع اللغات» مما يؤكد وجود فرضية ثالثة يشتق منها التركيبان كلاهما ، وهذا يفند الفرضية الأولى القائلة بأصلية أحد التركيبين[2] .

**التقابل الدلالي عنده د. محمد على الخولى[3] :**

عرض المؤلف لتسعة أنواع من التضاد :

١- التضاد الحاد مثل : «ذكر / أنثى» ، «حي / ميت» .

٢- التضاد العكسي مثل : «باع / اشترى» ، «علَّم / تعلم» .

(١) المصدر السابق ٨٩ .

(٢) مدخل إلى الدلالة الحديثة : ٩٠ ، تونس ، دار توبقال للنشر ط١ ت ٢٠٠٠ .

(٣) علم الدلالة : ١١٦ - ١٢٧ ، الأردن ، دار الفلاح للنشر والتوزيع ، ت (٢٠٠١م) .

٣- التضاد المتدرج مثل : «سهل / صعب» ، «حار / بارد» .

٤- التضاد العمودي مثل : «شمال / شرق» ، «جنوب / غرب» .

٥- التضاد الامتدادي مثل : «شمال / جنوب» ، «فوق / تحت» .

٦- التضاد الجزئي مثل : «غلاف / كتاب» ، «حائط / غرفة» .

٧- التضاد الدائري مثل : «الليل / النهار» ، «السبت / الجمعة» .

٨- التضاد الرتبي مثل : «نقيب / عميد» ، «أستاذ مساعد / أستاذ» .

٩- التضاد الانتسابي مثل : «تفاح / موز» ، «كتاب / موسوعة» .

ويقسم المؤلف التضاد إلى قسمين :

١- **التضاد الثنائي** : وهو الذي يقع بين ضدين فقط لا ثالث لهما .

٢- **التضاد المتعدد** : وهو الذي يقع بين أكثر من ضد .

**أما التضاد الثنائي فيدخل تحته الأنواع التالية :**

١- التضاد الحاد .

٢- التضاد المتدرج .

٣- التضاد العكسي .

٤- التضاد العمودي .

٥- التضاد الدائري .

٦- التضاد الجزئي .

**أما التضاد المتعدد فيدخل تحته الأنواع التالية :**

١- التضاد الرتبي .

٢- التضاد الدائري .

٣- التضاد الانتسابي .

**وأغلب العلماء يجعل التضاد المتعدد تحت باب التنافر .**

## التقابل الدلالي وأثره في صناعة المعجم عند المحدثين :

يعد التفسير بالمقابل (الضد) أحد أهم وسائل شرح المعنى في المعجم قديمًا وحديثًا[1] ، وعندما تطورت نظرية العلاقات الدلالية وأصبحت ركيزة أساسية فى صناعة المعجم كان (التقابل الدلالي) أو (التضاد) أحد أسس هذه النظرية[2]، حيث تغيرت النظرة القديمة للمعجم من مجرد رصف للكلمات وأصبح معنى الكلمة حديثًا «هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى فى نفس الحقل المعجمى»[3] ، وكان للنظرية دورها في رصد العلاقات في المعجم وفقاً لنظرية الحقول الدلالية[4] ، وبهذا أصبحت المعاجم الحديثة تُبْنَى بشكل يمثل العلاقات المختلفة التي تربط بين مدخل وآخر ، وترصد كل أنواع العلاقات الدلالية المطَّردة حتى ينتهى المعجم بشبكة من الحقول المتقاطعة المحَدَّدَة دلاليًا[5]، ثم صارت المعاجم تصنف مفرداتها إلى طبقات معجمية تنظِّمُها حقول دلالية لكل حقل علاقاته الدلالية التي حددها الاستعمال ، ومن هنا نستطيع أن نثمن دور نظرية العلاقات الدلالية ثم دور التقابل الدلالي في صناعة المعجم الحديث .

## نظرية التقابل الدلالي عند اللغويين المحدثين :

- تعريفه : هو تعاكس الدلالة والكلمات .

---

(١) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديثة د. محمد أحمد أبو الفرج : ١٠٢ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ت ١٩٦٦م .

(٢) المصدر السابق : ١١٠ ، المصاحبة في التعبير اللغوي ، د. محمد عبد المنعم : ١١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ت ١٤٠١هـ .

(٣) التوليد الدلالي د. حسام البهنساوي : ١٩ ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ط/٢٠٠٣م .

(٤) المصدر السابق : ١٥ .

(٥) التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم : ١٧١ ، المعرفة اللسانية (أبحاث ونماذج) ، المغرب البيضاء ، ط/١٩٨٧ ، دار توبقال للنشر .

- شروطه :

١- الثنائية : حيث يقع بين زوجين من الكلمات المتضادة في المعنى .

٢- المكانية : وهى اتحادهما في مكان واحد وسياق واحد .

٣- اتحادهما في حقل واحد .

- أنواع التقابل : طرح اللغويون المحدثون مسميات متعددة وأنواعاً كثيرة للتقابل ، سنقف على أشهرها .

١- التقابل الحاد . ٢- التقابل المتدرج . ٣- التقابل المتعاكس .

**صور التقابل الدلالي:**

١- التقابل بين مفردتين متضادتين أو متخالفتين .

٢- التقابل بين الأجناس النحوية .

٣- التقابل بين ألفاظ القرابة .

٤- التقابل بين كمية الجمل أو الوحدات .

٥- التقابل بين لهجتين أو مستويين لغويين .

٦- التقابل بين لغتين في سياق واحد .

٧- التقابل بين موقفين .

**اهميته واثره:**

١- أنه من أكثر العلاقات الدلالية أهمية .

٢- أن في اللغة نزعة للتفكير بلغة التضاد ؛ لاستقطاب الخبرة والرأي .

٣- أن ظاهرة التقابل ترتبط إرتباطاً وثيقاً بجنسين رئيسين من الجمال هما الانسجام والاختلاف .

٤- أن أسلوب التقابل له قيمته الإيجابية في النص .

٥- أنه ينتج صورة جمالية لفظية .

٦- أنه ظاهرة لغوية منظمة .

٧- أن دراسة التقابل الدلالي في ضوء النظرية الدلالية التركيبية لها أثرها وخطرها في المعجم العربي ؛ حيث سيغير صورته إلى الأفضل .

**خلاصة المبحث:**

١- يتفق جمهور اللغويين الغربيين على أن شقاً كبيراً من باب التقابل الدلالي قائم على المنطق الذي تحدث عنه أرسطو وأفلاطون ، وبالرغم من ذلك فهم يقرون بأن اللغة لا تخضع دائماً للمنطق ، بل وتتبع حيلاً لغوية عدة للخروج عنه .

٢- يُعَدُّ باب التقابل الدلالي من أكثر أبواب العلاقات الدلالية أهمية ، إلا أنه لم يحظ بعناية اللغويين .

٣- إن التقابل الدلالي يقوم على الثنائية اللفظية ويقع بين زوجين من المتضادات في مكان واحد وسياق واحد .

٤- يجمع اللغويون الغربيون على أن للتقابل أثرًا في جمال النص من حيث الانسجام والاختلاف وله قيمة إيجابية فيه، وأنه - أيضاً - وسيلة لاستقطاب الخبرة والرأي .

٥- طَوَّر برند شبلنر باب التقابل الدلالي القائم علي المفردات إلي التقابل الذي يحدث في الأسلوب والموقف وفي بنية النص الكامل ، حيث تجاوز التقابل بين المفردتين إلى تقابل الجمل والأساليب والموقف والسياق .

٦- ابتدع برند شبلنر أنواعاً جديدة من التقابل الدلالي ؛ كالتقابل بين لغتين في النص الواحد ، والتقابل بين لهجتين وبين مستويين في السياق .

٧- رفض اللغـويون الغربيون (طباق الـسلب والإيجاب) ، وكذلك لـم ينصوا على التقابل الـواقع بين المتماثلين لفظيًا نحـو قوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى : الآية ٤٠] حيث خرجت هاتـان الصورتان من باب التقابل الدلالي عند اللغويين الغربيين .

٨- لم يضف اللـغويون العرب المحدثون لبـاب التقابل الدلالي شيـئاً عما ذكره اللغويون الـغربيون حيث نقلـوا عنهم الباب برمتـه ، سوى ما طرحه د. عبد المجيد جحفة في هذا الباب فهو جدير بالدراسة والنظر .

## المبحث الثالث : التقابل الدلالي دراسة تطبيقية تحليلية في سورة النساء

أثبت استقصاء التقابل فى سورة النساء أنه قائم على أربعة أنواع من التقابل هي :

| | |
|---|---|
| ١ - التقابل الحاد | ٢ - التقابل المتدرج |
| ٣ - التقابل المتعاكس | ٤ - التقابل اللغوي |

ويتفرع من كل نوع ثلاث صور :

| | |
|---|---|
| ١ - تقابل المفردتين | ٢ - تقابل الجملتين |
| ٣ - تقابل الموقفين | |

أما التقابل الكـمي الواقع في الجمل والموقف ؛ فنظراً لشـيوعه في جميع أنواع التقابل فسوف يشير له البحث في مواضعه .

### أولاً : التقابل الحاد في سورة النساء :

وهو التقابل الـقائم على نفي أحد زوجي التقابـل مما يؤدي إثبات الآخر ، ويستحيل اجتماعهما معًا ، وهو ما سمـاه العرب القدماء بالتضاد الحقيقي حيث يكون الزوجـان في غاية الخلاف والبـعد ، وسوف يُضَمُّ إلى هذا النـوع تقابل

السلب والايجاب حيث تؤيد الباحثة العرب القدماء في عدٍّ (السلب والايجاب) من التقابل ؛ لأن أداة النفي تقلب الدلالة فيقع التقابل بين الزوجين ، وإن كان كارول بونتنج قد رفض إدخال (البلب والإيجاب) في باب التقابل . ومن هنا نجد أن التقابل الحاد يقوم على قاعدتين :

١ - الضدية التامة وعدم القابلية للتدرج .

٢ - استحالة اجتماع الضدين .

**١ - التضاد الواقع بين لفظين :**

**أ ) في الأسماء :**

**١- (الدنيا / الاخرة) :**

ورد التقابل بينهما في قوله : **﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾** [الآية ٧٤] .

**٢- (الخبيث / الطيب) :**

فى قوله تعالى : **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾** [الآية ٢] .

**٣- (غني / فقير) :**

فى قوله : **﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾** [الآية ١٣٥] .

**٤- (كافر / مؤمن) :**

فى قوله تعالى: **﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾** [الآية ١٤١] .

فى قوله تعالى : **﴿لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾** [الآية ١٤٤] .

٥- (الأمن / الخوف) :

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [الآية ٨٣] .

ب ) المشتقات :

٦- (مُحْصنين / مسافحين) :

في قوله : ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [الآية ٢٤] .

٧- (مُجَاهدين / قَاعدين ) :

في قوله : ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية ٩٥] .

٨ - في الأمثال :

١- (قَلَّ / كَثُرَ ) :

في قوله : ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [الآية ٧] .

٢- (حَرَّمَ / أحل ) :

في قوله : ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [الآية ١٦٠] .

٣- (تَهْدِي / أَضَلَ ) :

في قوله : ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية ٨٨] .

**ثانيا : التقابل الحاد الواقع بين جملتين : أ- مثبتتين :**

أ – مكررة تكرراً تامًا :

١ – ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ الكتاب / وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [الآية ١٥٠] .

٢ – أ – ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ ﴾ [الآية ٨٥] .

ب – ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [الآية ٨٥] .

ب- تكرار مقدمة التقابل الدلالى فقط:

٣- ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية ٦]

٤ – ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [الآية ٧٩] .

٥ – ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [الآية ٧٦] .

٦ – أ – ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ [الآية ١١] .

ب – ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [الآية ١١] .

٧- أ- ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [الآية ٤٦].

ب – ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ [الآية ٤٦] .

جـ- تقابل جملتين دون تكرار:

٨- ﴿أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ [الآية ٢٥] .

٩- ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية ١٧٠] .

١٠- أ- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية ٣٥].

ب - ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [الآية ٣٥] .

١١- أ- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية ١٣٦].

ب - ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [الآية ١٣٦] .

١٢- أ- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ...﴾ [الآيتان ١٥٠ - ١٥١].

ب - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية ١٥٢] .

**التقابل الدلالي الحاد في الموقف:**

١- أ- ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية ١٣].

ب - ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الآية ١٤] .

٢- أ- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الآية ٥٦].

ب - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية ٥٧] .

٣- أ- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية ٧٢].

ب - ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية ٧٣] .

٤- أ- ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية ٧٨].

ب - ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية ٧٨] .

جـ - ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [الآية ٧٩].

٥- أ- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [الآية ٧٨].

ب - ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [الآية ٧٨] .

٦- أ- ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [الآية ١٥].

ب - ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [الآية ١٦] .

٧- أ- ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ [الآية ٩٥] .

ب - ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية ٩٥] .

٨- أ- ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [الآية ١٢٣] .

ب - ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية ١٢٤] .

**التقابل الدلالي الحاد بين الإيجاب والسلب :**

أ - بين جملتين ذات إيقاع قصير :

١ - ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [الآية ١١٣] .

٢ - ﴿وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم﴾ [الآية ٢٢] .

٣- ﴿لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ [الآية ١٠٢] .

ب- بين جملتين متوسطتين :

٤ - ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [الآية ١٠٤] .

٥ - ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [الآية ١٢٠] .

٦ - ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية ٦٦] .

٧- ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الآية ٦٦] .

٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الآية ٤٨] .

٩- ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية ٢٣] .

١٠- ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [الآية ١٦٤].

جـ- بين جملتين ذات إيقاع طويل :

١١- ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم﴾ [الآية ١٥٧] .

١٢- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [الآية ١٧٢] .

١٣- ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ [الآية ١٧١] .

١٤- أ- ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [الآية ٩٠].

ب - ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [الآية ٩١] .

**نتائج التقابل الحاد:**

١- يقوم التقابل الدلالي الحاد بين المفردتين على توالي اللفظين المتقابلين كما في «الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ» [٧٤] ، (غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً) [١٣٥] .

٢- يتقدم - غالباً - المعنى الإيجابي من المتقابلين على المعنى السلبي كما في تقدم «غني، الأمن، تهدي» وإذا تقدم المعني السلبي؛ فلأن السياق مقيدٌ بالابتداء به .

٣- أثبتت الدراسة أن البنية التحتية للتقابل قائمة على اتحاد المتقابلين في الجنس (الحقل) فـ (كافر / مؤمن) ، (غنى / فقير) ، (نشز / أطاع) ، (مجاهد / قاعد) كلها حالات مرتبطة بجنس واحد .

٤- إن التقابل الدلالي بين الجملتين بني على ركيزتين : الأولى : التكرار اللفظي والثانية : الإيقاع المتساوي للجملتين المتقابلتين ، حيث تتساوى كمية الجملتين فيتساوي إيقاعهما مما يؤدي إلى تأكيد المعنى ويخلق جمالاً لفظياً لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ويتضح ذلك في التكرار التام الواقع بين جملتين متقابلتين قصيرتين .

٥- يعد التكرار أحد أنواع العلاقات الدلالية الأفقية كالتقابل ؛ لذا نجد في سورة النساء اقتران التقابل بالتكرار واجتماع نوعين من أنواع العلاقات الدلالية في سياق واحد للتمازج وتصور الحدث مما يلون المعنى المعرفي للسياق ويعمق أثره

٦- إن التقابل الدلالي في سورة النساء يعد سبباً رئيسيًا للتكرار اللفظي فيها .

٧- أن التقابل الدلالي عامة يُعَدُّ وسيلة من وسائل الاختصار واختزال اللغة ؛ فمقابلة الشيء بالضدِّ توجز الغرض وتدفع الوهم ؛ بخلاف النظير ، والمرادف والمجانس.

٨- إن التكرار اللفظي بين المتقابلات جاء في صورتين :

الأولى : التكرار التام : كما في قوله تعالى : ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ﴾ ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [الآية ٨٥] .

الثانية : تكرار مقدمة التقابل ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [الآية ٧٩] .

٩- في التقابل الموقفي يتداخل عدد من المتقابلات بأنواعها مثل قوله تعالى : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [الآية : ٧٨] ، ثم عقب بعد هذا التقابل بجملتين متقابلتين أيضًا ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [الآية : ٧٩] ، كذلك في قوله : ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الآية : ١٥]، و ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ [الآية : ١٦]، فقد تداخل مع تقابل الجملتين تقابل لفظين أيضًا في قوله : ﴿فَاسْتَشْهِدُوا / شَهِدُوا﴾ [الآية : ١٥] ، ﴿فَآذُوهُمَا / فَأَعْرِضُوا﴾ [الآية : ١٦] ، فهنا نجد أن تقابل الموقف قائم على عدد من المتقابلات بين المفردات والجمل اجتمعت لتبني بذلك تقابل الموقف .

١٠- أن التقابل المثبت والمنفي (السلب والإيجاب) يعد نوعًا من أنواع التقابل ، كما ذكر ذلك اللغويون العرب ، وإن ردَّهُ اللغويون الغربيون .

١١- يقوم تقابل السلب والإيجاب على جملتين مكررتين إحداهما مثبتة والأخرى منفية متساويتان في الكمية والإيقاع الصوتي .

١٢- استخدم القرآن الكريم في سورة النساء تقابل السلب والإيجاب ؛ كطريقة من طرق عرض المادة ، ووسيلة من وسائل تقويتها بتكرار اللفظ نفسه ؛

ليشتد التـقابل بالتكرار وبحركة سـريعة عنيفة يؤديها (الـنفي والإثبات) ، فيمتزجان في سياق واحد مما يضفي على النص قوة وجمالاً .

١٣- وقع التقابل الحاد في سورة النساء في ثمانية وأربعين موضعًا .

**ثانيا: *التقابل الدلالي المتدرج* :**

يقع بين زوجـين متخالفين لا ضديـن ؛ مما يعني أن نفـي أحد الزوجين لا يؤكد إثبات الآخـر ، وهو يشير إلى صفات مـتدرجة للشيء نفسـه ، وقد تنبه العرب القدماء إلى هذا النوع من التقابل وسموه بالتضاد الواقع في وسط المعيار كالفاتر بين الحار والبارد ، من هنا نجد أن التقابل المتدرج يقوم على قاعدتين :

١ - أن الزوجين المتـقابلين متخالفـين لا ضدين ، وهو بهذا يخـتلف عن التقابل الحاد القائم على الضدية التامة .

٢ - أنه يقع في وسط المعيار ، بخلاف التقابل الحاد الذي يقع على نهايتي المعيار.

١- الواقع بين مفردتين :

١- (آمن / كفـر / ازدادوا كفراً) في قـوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ [الآية ١٣٧] .

٢- (عدل / لوى / أعرض) في قوله : ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [الآية ١٣٥] .

٣- (يبدى / يـخفي / يعفو) فـي قوله : ﴿إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ [الآية ١٤٩] .

٤- (قيام / قعود / علـى جنوب) في قوله : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [الآية ١٠٣] .

٥- (محصنة / مسافحة / متخذة خدن) في قوله : ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [الآية ٢٥] .

٢- الواقع في الجملة :

٦- (آمن / صد) فى ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ [الآية ٥٥] .

٧- (آمن / استنكف + استكبر فى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيماً﴾ [الآية ١٧٣] .

٨- (طاع / تولي) فى ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية ٨٠] .

٩- (طاع / نازع) في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الآية ٥٩] .

١٠- (نشوز / أطاع) في ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [الآية ٣٤].

١١- (نشوز + إعراض / صلح) في ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا﴾ [الآية ١٢٨] .

١٢- (عدل / مال) في ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [الآية ١٢٩] .

١٣- (آذي / أعرض) في ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [الآية ١٦] .

١٤- (شجر / سلم) في ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الآية ٦٥] .

١٥- (كره / خيرًا) في ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية ١٩] .

٣- الواقع في الموقف :

١٦- أ- ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الآية ١٧] .

ب - ١- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ﴾ [الآية ١٨] .

٢- ﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية ١٨] .

١٧- أ- ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية ١١٠] .

ب - ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الآية ١١١] .

١٨- أ- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية ١١٢] .

ب - ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [الآية ١٤٩] .

١٩- أ- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الآية ٢٦] .

ب - ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ﴾ [الآية ٢٧] .

جـ- ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [الآية ٢٧] .

د - ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [الآية ٢٨] .

## نتائج التقابل المتدرج :

١- بما أن التقابل الحاد يقوم على زوجين متقابلين متضادين تضادًا حادًا حقيقيًا، فإن التقابل المتدرج يقوم على زوجين متخالفين لا ضدين أحدهما تدرج الآخر ، والعلاقة بينهما علاقة تفاوت .

٢- يقوم التقابل عامة على قطبين متضادين وفى التقابل المتدرج توجد حالات متوسطة بينهما يتجاذبها القطبان ، فمثلاً «يجهر ، يبدي ، يخفي ، يكتم) فـ (يجهر) ضد (يكتم) وكذلك (يبدي) ضد (يخفي) ، وهما حالتان متوسطتان لما قبلهما ؛ ففي قوله تعالى : ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ ، ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ [الآيتان: ١٤٨ - ١٤٩] ، نجد التقابل واقع بين (يجهر + يبدي / يخفي) .

٣- من صور التقابل المتدرج أن يزدوج أحد طرفي التقابل فيأتي بلفظين أو بجملتين متدرجتين أمام لفظ واحد أو جملة واحدة كما في ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [الآية ١٣٥] ، (عدل) يقابلها (لوى + أعرض) وكذلك في الجملة في [الآيتان : ١٧ - ١٨]

٤- اتخذ التقابل المتدرج صورتين في العرض :

أ - أن يبدأ بالمعنى الإيجابي وينتهي بالسلبي كما بدأ في (آمن / عدل / طاع) وانتهى بـ (كفر / مال / تولّى) .

ب- أن يجمع ويوالي بين القطبين المتضادين ثم يليهما المتدرج من أحدهما كما في ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [الآية ٢٥] فالمحصنة يقابلها (الزانية) (المسافِحَة) وهي المرأة التي لا تمتنع من أي رجل ، أما (متخذة الخدن) فهي التي لا تعاشر إلا رجلاً واحداً هو صاحبها ؛ فالخدن : (الصاحب) ، وهي أيضًا زانية في الإسلام وكانت العرب في جاهليتها تكره السفاح وتبيح (الخدن) فجاء الإسلام وحرمه في هذه الآية[1] .

٥- يستخدم القرآن التقابل المتدرج عندما يعزف عن التقابل الحاد ، تحاشياً للحدة اللفظية فيه . ونوعاً من التلطف في التعبير لاسيما إذا تقدم المعنى الإيجابي على السلبي فمثلاً نلاحظ في زوج التقابل (أ) من (آمن/ أطاع/ عدل) لم يرد التضاد الحاد فيها في الآيات التالية (٥٥ ، ١٧٣ ، ١٢٩) . فالتضاد الحاد لها (كفر / عصى / ظلم) وإنما جاء زوج التقابل (ب) (آمن) يقابلها : (صدَّ ، استنكف[2]، استكبر) و (أطاع) يقابلها (تولي ، نازع) و(ظلم) يقابلها (مال) فاستخدم التقابل المتدرج من باب عدم المبالغة في الذم ، وكذلك للتلطف في التعبير .

---

(١) روح المعاني للألوسي : ٣/ ٤ ، لبنان - بيروت ، دار الفكر ، اللسان (خ ، د ، ن) .

(٢) استنكف : امتنع وانتقض آنفاً وحمية (اللسان) (ن. ك. ف) ، وقال الزجاج : الاستنكاف : تكبُّر مع إنفه ، وليس الاستكبار كذلك ، والاستكبار دون الاستنكاف ، روح المعاني للألوسي : ٣/ ٤١ ، ٣٧ .

٦- أما المواضع التي تقدمت فيها المعاني السلبية فنجد أنه سلك مسالك عدة :

أ - (نشوز + إعراض) يقابلها : (صلح) ولم يستخدم (طاعة) وهي التضاد الحاد للنشوز ، مع أنه عندما تحدث عن نشوز المرأة استخدم التضاد الحاد معها وهي (طاعة) في قولت : ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ .... فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ [الآية ٣٤]، لأن المرأة ملزمة بطاعة زوجها وهذا يتوافق مع طبيعتها ، أما في نشوز الرجل فهو غير ملزم بطاعتها لأن هذا لا يتوافق مع طبيعته ، لذا استخدم (الصلح) ، ونجد أن القرآن عقب بعد النُّشُوز بالإعراض والنُّشُوز أشد . فابتدأ بالأشد لعظمه .

ب- (آذى / أعرض) فالإعراض يقابله (الإقبال) وليس الإيذاء ، وإنما استخدم القرآن ( الإعراض مع الإيذاء) للدلالة على شدة المطالبة بكف الأذي والمبالغة في تحقيقه فالإعراض أبلغ وأشد من الترك .

جـ- (شاجر / سلَّم) لأن الضد الحاد لشاجر «صالح» إلا أن القرآن استخدم ما هو أشد منه وهو «التسليم» ، لأنه يدل على الانقياد والخضوع وهذا يتناسب مع سياق الآية ، لاسيما وأن الصلح مع معانيه (السلم) .

د - (كره / خير) والضد الحاد للكره (الحب) إلا أن القرآن استخدم (الخير) لأنه أعم من الحب ؛ ولأن الحب لا يؤدي دائماً إلى الخير ، فعز[illegible] عن التقابل الحاد لأنه يؤدي إلى تقييد النص واستخدم (الخير) لأنه [illegible]عم وأشمل .

٧- تعتقد الد[illegible]ـة أن التقابل المتدرج يقوم في بنيته التحتية على تداخل دلالي بين تقاب[illegible] تم نحتهما ونتج منهما تقابل واحد ، وهذه المتقابلات الأربع

قطباها هو التضاد الحاد ووسطـها هو التقابل المتدرج (أطاع ← قبل ← تولى ← أعطى)، فتحاشى القرآن (عصى) وتحول في درجات المعنى إلى (تولى) تلطـفًا في التعبير . (أ - أطاع / ب - عـصى) (ج - قبل / د - تولى) .

٨- في التقابل المتدرج في الموقف نجد عدة تقابلات متداخلة ، مما يثبت ما قلناه سابقاً في التقابل الحاد بأن تقابل الموقـف يقوم على تقابلات متداخلة تبني تقابلاً متشعبًا متعدداً يسمى بـ (الموقف) وهذا نلاحظه في الآيات التالية :

أ - في قوله تـعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [الآية ١٧]، ثم قال : ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ ، ثم قـال : ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ . نجد أن التقابل تدرج فـي الإثم مع التوبة وذكر ثلاث حالات فيها :

١- يستحق التوبة الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون (جمية مثبتة)

٢- ولا تحق للذين يعملون السيئات ويموتـون عليها (جملة منقبة)

٣- ولا تحـق للكفار (جملة منفية)

وهنا نجـد التدرج من الأعـلى ثم الوسـط ثم الأدنى؛ فبـني بذلك تـقابلاً موقفياً .

ب- في قوله : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الآية ١١٠] .

ثم قال : ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الآية ١١١] .

ثم قال : ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ .

الدرجة الأولى: من يعمل سوءًا ثم يستغفر «وهي الأعلى سلوكاً والأعظم أجراً».

الدرجة الثانية: من يكسب إثماً ولم يتب عنه (الأدنى سلوكاً مما قبلها والأقل ذنباً مما بعدها» .

الدرجة الثالثة: من يكسب إثماً ثم يرم به بريئاً (الأسوء سلوكاً والأعظم ذنباً» .

فنجد الآية قد عددت مراتب الإثم في تدرجٍ وعرضٍ عقليٍ جميلٍ لم يكن ليبدو بهذا التناسق لولا أسلوب التقابل الدلالي .

جـ- في قوله : ﴿لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [الآية ١٤٨] .

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا / أَوْ تُخْفُوهُ / أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ [الآية ١٤٩] .

نجد أن القرآن قد ابتدأ بالنهي عن الجهر بالسوء للتشديد على كراهته ، ثم تدرَّج فجاء بـ (تُبْدُوا) وهو أقل درجة من الجهر ثم انتهى إلى الإخفاء وهو أحب وأعظم أجراً ، ثم انتهى إلى الأعلى والأحب عند الله وهو (العفو) ، والعفو يعنى (الصمت وتحمل السوء برضا) ويقابله (الجهر بالسوء) ، ونجد هنا التقابل ابتدأ بالجهر وانتهى بالعفو ، والعفو يتضمن السكوت ، بهذا نجد أربع ألفاظ متقابلة (الجهر ← الإبداء ← الإخفاء ← السكوت) فالطرفان حادَّان (الجهر / العفو) والوسط متدرج ( إبداء / إخفاء) .

د - في قوله : (أ) (١) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [الآية ٢٦] .

(٢) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

(ب) (٣) ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [الآية ٢٧]

(٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [الآية ٢٨] .

يلاحظ هنا أن جملة : (١) (٢) (٤) / تقابلها جملة (٣) ؛ فنجد هنا تقابلاً مفروقاً يختلف عن سابقيه ، حيث عهدنا تتابع جمل التقابل لأحد الزوجين دون فاصل ، فنجد (١-٢) يقابلها ، وأن (٤) يقابلها (٣) أيضًا فهنا نوع من الالتفاف للزوج (أ) على مقابلة (ب) ومحاولة للسيطرة عليه وإضعافه من خلاله التقابل كوسيلة لغوية فكرية فبالتقابل المفروق أيضاً والالتفاف المتناسق تتمازج الألفاظ مع الأساليب المتقابلة ؛ لتصور الحدث وتعمق المعنى .

٩- يتسع التقابل المتدرج - كما سبق - لتعدد حالات أحد زوجي التقابل بحيث تؤدي حروف العطف لاسيما (الواو) و (أو) بالجمع بين حالات التدرج ، مثال ذلك :

﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا / وَإِن تَلْوُوا / أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [الآية ١٣٥] .

﴿مُحْصَنَاتٍ / غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ / وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [الآية ٢٥] .

وفي الجملة قوله : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ [الآية ١١٠] ، و/ ﴿مَن يَكْسِبْ إِثْماً﴾ ، و/ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾ [الآية ١١٢] .

١٠- يشيع في التـقابل المتدرج استخدام أسلوب التعـزيز الدلالي لأحد زوجي التـقابـل كمـا في : ﴿يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ [الآيـة ١٢٨] ، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الآية ٦٥] ، ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية ١٩] ، ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الآية ١١٢] ، ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [الآية ٢٧] .

فـ (صلحاً ، وتسليمًا ، وكثيرًا ، وإثماً مبينًا ، وميلاً عظيماً) جميعها ألفاظ تعزيز وتقويـة للمفرد أو للجملة قـبلها ، ونلاحظ في بعضهـا استخدام المصدر المشتق من الفعل (صلحاً ، تسليماً ، ميلاً) .

١١- وقع التقابل المتدرج في سورة النساء في تسعة عشر موضعًا

## ثالثاً : التقابل الدلالي المتعاكس :

ويقوم على :

١ - زوجين متضادين .

٢ - إمكان اجتماع الضدين معًا ، بخلاف الـتضاد الحاد الذي يستحيل فيه اجتماعهما .

### أولاً : التقابل الدلالي المتعاكس بين مفردتين :

أ - في الضمائر :

١- بين هاء الغائب / وكاف الخاطب :

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [الآية ٢] .

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ [الآية ٩١] .

٢- في هاء الغائب للمذكر والمؤنث (التذكير / والتأنيث) :

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية ٣٥] .

ب- في الحروف :

٣ - (عن / من) :

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ [الآية ٤] .

٤ - (إلى / على) :

﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ [الآية ٦] .

٥ - (من / إلي) :

﴿فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ [الآية ٦] .

٦ - (به / عنه) :

﴿فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا﴾ [الآية ٥٥] .

٧ - (عليهم / لهم) :

﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ [الآية ١٦٠] .

جـ- في الأزمنة النحوية :

٨ - (حكم / تحكم) ماضي + مضارع :

﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ [الآية ٥٨] .

٩ - (جادل / يجادل) ماضي + مضارع :

﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ [الآية ١٠٩] .

١٠ - (حى / حيي) ماضي + أمر :

﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها﴾ [الآية ٨٦] .

١١ - (استشهد / شهد) أمر محذوف بحروف الطلب + ماضى مجرد :

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا﴾ [الآية ١٥] .

١٢ - (تألم + يألم) مضارع بالتاء + مضارع بالياء :

﴿الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [الآية ١٠٤] .

١٣ - (تكفرون / كفروا) مضارع + ماضى :

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾ [الآية ٨٩] .

١٤ - (يخادع / خادع) مضارع + اسم فاعل :

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [الآية ١٤٢] .

١٥ - (يطيع / أطاع) مضارع + ماضى

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [الآية ٨٠] .

١٦ - (يقتل / يغلب) (فعل مبنى للمجهول + فعل مبنى للمعلوم)

﴿يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [الآية ٧٤] .

د- أسماء الجنس والقرابة :

١٧- (ذكر / أنثى) :

وردت في ثلاثة مواضع أولها ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [آيات ١١، ١٧٦، ١٢٤] .

١٨- (رجل / امرأة) :

فى قوله ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ [الآية ١٢]

١٩- (رجال / نساء) :

فى قوله ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [الآية ١]

وفى قوله ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية ٧٥]

٢٠- (آباء / أبناء) :

فى قوله ﴿آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [الآية ١١] .

٢١- (أم / ابنة) :

فى قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وبَنَاتُكُمْ وأَخَوَاتُكُمْ﴾ [الآية ٢٣] .

٢٢- (بنات الأخ / بنات الأخت) :

فى قوله ﴿وبَنَاتُ الأَخِ وبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ [الآية ٢٣] .

٢٣- (عماتكم / خالاتكم) :

فى قوله ﴿وعَمَّاتُكُمْ وخَالاتُكُمْ﴾ [الآية ٢٣] .

هـ - (السماء / الأرض) :

٢٤- فى قوله : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الآية ١٢٦ وكذلك فى الآيات : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ١٧١] .

٢٥- (مبشرين / منذرين) :

فى قوله ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ﴾ [الآية ١٦٥] .

**ثانياً: التقابل الدلالي المتعاكس بين جملتين :**

٢٦- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [الآية ١٧٦]

أ - ﴿امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [الآية ١٧٦] .

ب- ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ [الآية ١٧٦] .

كلالة (رجل) ترثه أخته ولها النصف .

كلالة (امرأة) يرثها أخوها .

٢٧- أ - ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ [الآية ٣٢]

ب - ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [الآية ٣٢] .

**ثالثاً: التقابل المتعاكس في الموقف:**

٢٨- أ - ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ [الآية ١٢]

ب - ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ [الآية ١٢] .

٢٩- أ - ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ [الآية ١٢]

ب - ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ﴾ [الآية ١٢] .

٣٠- أ - ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ [الآية ٧]

ب- ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ [الآية ٧].

٣١- أ - ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ﴾ [الآية ١١]

ب - ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [الآية ١١] .

**نتائج التقابل الدلالي المتعاكس:**

١- يقوم التقابل المتعاكس علي زوجين متضادين أحدهما ينفي الآخر ، مع إمكان اجتماعهما معاً ، فمثلاً تعاكس الضمائر في (هاء الغائب / وكاف المخاطب) كما في (أموالهم إلى أموالكم) [الآية ٢] ، والتأنيث فى (أهله / أهله) [الآية ٣٥] ، وكما في (السماء والأرض) [الآية ١٢٦] ، (رجل / امرأة)

[الآية ١٢] ، كلها متضادات متعاكسة ينفي كل منها الآخر ويمكن اجتماعهما معًا[1] .

٢- حدث التقابل المتعاكس بين الحروف في خمسة مواضع من سورة النساء فجاء بين (عن / من) و(إلى / على) ، (من / إلى) و(به / عنه) و(عليهم / لهم) .

٣- حدث التقابل بين الأزمنة النحوية للفعل الماضى/ المضارع/ الأمر. وكذلك الصيغ .

٤- أما التقابل بين المفردات فمجاله خصب وثري لاسيما في ألفاظ القرابة والجنس ، حيث شاع استعمالها في سورة النساء في آيات المواريث وآية التحريم كما في (رجل / امرأة) و(آباء / أبناء) و(عماتكم / خالاتكم) (أم / ابنة) .

٥ - أما التقابل المتعاكس بين الجمل فحدث فى موضعين :

الأول : (الرجل الكلالة) و(المرأة الكلالة) وسُئِلَ النبى ﷺ عن الكلالة فقال: من مات وليس له ولدٌ ولا والدٌ[2] .

فالتعاكس هنا بين (رجل / امرأة) و(وراث) و(موروث) .

الثانى : التقابل بين جملتين كل منهما تحتوى على تقابلين (رجال / نساء)، (ضمير / المذكر / ضمير المؤنث) (اكتسبوا / اكتسبن) آ ٣٢ ، ويلاحظ أن التقابل قائم على تكرار الألفاظ (نصيبٌ مما اكتسبوا) (نصيبٌ مما اكتسبن) وأيضًا على تساوى الجملتين المتقابلتين فى الإيقاع والطول ، فأضاف على الآيتين إيقاعًا خاصًا وجمالاً صوتيًا .

---

(١) الدلالة والنحو ، د. صلاح الدين صالح حسنين : ٦٨ ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى : ٤٣٧ ، لبنان / بيروت ، دار المعرفة .

٦- يتفاعل التقابل مع التنافر كعلاقتين دلاليتين في سياق السورة حيث يجتمعان فى قوله ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [الآية ٧٥] ، فالرجال مع النساء تقابل ، ومع الوالدان تنافر ، وكذلك فى (أم / ابنة + أخت) آ ٢٣ ، فالأم مع الأبنة تقابل ، ومع الأخت تنافر .

٧- يشترك التكرار مع التقابل كنوعين من أنواع العلاقات الدلالية فى سبك النص ؛ حيث تتعاضد الظاهرتان معًا في صياغة السورة فى عرض حركي مميز أدى إلى تماسك السياق، وهذا ما أكده علماء النص بأن التكرار يهدف إلى تدعيم التماسك النصي من جانب وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص من جانب آخر[١] . ونلاحظ التكرار فى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ حتى أنها وردت فى آيتين متواليتين وفي موضعين من السورة الآية ١٣١ / ١٣٢ ، والآية ١٧٠ / ١٧١ . وكذلك نلحظه فى تكرار مقدمة التقابل في قوله : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [الآية ٣٢] وأيضًا فى الآية ٧ .

٨- نلاحظ وجود التقابل الكمي بين الجملتين فى آ ٧ ، حيث حدث التقابل بين (أ/ ب) بطول واحد ، ثم عَقَّبَ بعده بتقابل بين الجملتين المتساويتين طولاً ثم تلاه بالتقابل بين المفردتين وجاء قصيراً جداً ، وهو قوله : ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ وهذا التقابل القصير في الجملة أعطى الإيقاع جمالاً بعد جملتين متقابلتين .

٩- كما عهدنا سابقًا بأن التقابل في الموقف يبنى على تقابلات متنوعة يلتف بعضها على بعض : فنجد في قوله : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ...﴾ [الآية ١٢] أن الزوج (أ) من المتقابلين بني على الزوج (ب) بالبناء نفسه ، ثم قابل بين الجملتين حيث بني التقابل من جملة (جملة

مثبتـة + جملة منفيـة) «تقابل حاد (١)+ (جملة مـثبتة + جملة مـنفية)+ (تقابل حاد (٢)= تقابل متعاكس موقفي» .

١٠- وقع التقابل المتعاكس في سورة النساء في ثمانية وثلاثين موضعًا .

## التقابل الدلالي بين مستويين لغويين أو بين لغتين :

وهو نوع مـن أنواع التقابل الـذي أشار له برندشبـلنر ؛ حيث يأتـي بعده صور :

الصـورة الأولى : التقـابل بين مسـتويين لغـويين أو لهجـتين ، في اللـغة الواحدة .

الصورة الثانـية : التقابل بين لغتين مختلفتين .

١- الصورة الأولى : (راعنا / انظرنا) :

فـي قولـه : أ- ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [الآية ٤٦] .

ب- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَـانَ خَيْـراً لَّهُمْ﴾ [الآية ٤٦].

أ - (راعنـا : من جهة الـطلب والمراعـاة أي : التفـت إلينا ، وكـان هذا بلسان الـيهود سباً ، فهو عنـدهم من الرعونة حيـث كانوا يخاطبون بهـا النبي ﷺ ، استهزاءً فيما بينهم[1] .

ب- انظرنا : هي المقابل الدلالي الأرقى لـ (راعنا) / لذا استخدمها القرآن فهنا حدث تقابل دلالـي بين لهجتين (راعنا) بلهجة اليهـود ويقصد بها (الـسب)

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي : ٢/ ٥٧ ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ت ١٤٠٥هـ .

(وانظرنا) وهي اللهجة التي نزل بها القرآن ، مرادفة وبديلاً لـ (راعنا) تجنباً للألفاظ التي تحمل النقيص والتعريض ؛ فالآية قابلت بين مستويين لغويين لترفع بذلك الدلالة من الانحطاط إلى الرقي .

٢- الصورة الثانية : (حوبًا / إثمًا) :

في قوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيراً﴾ [الآية ٢٠] .

الحوب : الإثم بلغة أهل الحبشة[1] ونجد أن القرآن قد استخدم (الإثم) و(الحوب) في السورة علماً بأن الحوب لم يرد في القرآن الكريم إلا في سورة النساء في هذا الموضع فقط ، وقد استخدم (الإثم) في تحريم استرجاع مهر المرأة المطلقة حيث قال : ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الآية ٢٠] . وفي خمسة مواضع أخرى (آ ٤٨ ، آ ٥٠ ، آ ١١١ ، آ ١٢٢ ، آ ١٠٧) فالتقابل ههنا بين لغتين في معنى واحد ، فالحوب بالحبشية ، هو الإثم بالعربية ، فلعله استخدم الأعجمي هنا لما فيه من إبهام وغموض ، للدّلالة على تعظيم أكل مال اليتيم ظلماً .

مما سبق نجد أن التقابل الدلالي يرتقي ليصل إلى مستوى الظاهرة في القرآن الكريم ؛ لاسيما في سورة النساء حيث ورد في خمسة وتسعين موضعًا مما يجعله جديرًا بالدراسة والنظر .

ومما أثبتته الدراسة أن التقابل نتاج اختيارٍ واعٍ للغة ،ومنهج عقلي فكري يسعى إلى أغراض شتى تفوق بكثير ما حصره البلاغيون فيه فهو وسيلة للإيجاز واختزال اللغة ، وهو أيضًا متشعب ومتفرع لا يقف عند تقابل المفردتين كما يرى القدماء بل تجاوزهما إلى تقابل الجمل والسياقات والنصوص ليبلغ في ذلك

---

(١) المصدر السابق ، ١/٥ .

غايته فـي النص وهي الإقناع والعـرض ، ليلون بذلك المـعنى المعرفي للـكلمة والنص ويعـمق أثرها ، ثم يضـفي على النص جـمالاً لفظيًا وإيقـاعاً صوتيًا ، ولعل الناظر إلى هذه الدراسة يجد فيها ما يـستنبطه لبحوث أخرى في التقابل، كإعداد معجم إحصـائي لغوي لألفاظ التقابل بين المفـردتين في القرآن الكريـم، وكذلك البـحث في التقابـل في السياق والنص، كـالتقابل بين الجـنة والنار ، والإيمان والكفر في القرآن الكريم كذلك التقـابل بين السور مما يوقفنا على فهم أسرار القرآن الكريم وتراكيبه فلا نقف عـلى حدود وعينا به ، بل نتجاوز ذلك إلى قدرتنا على الإبداع اللغوي فكريًا وأدبيًا لاسـيما أننا في زمن أصبح للكلمة فيه قوة خطيرة لم يعهد لها مثيل من قبل .

وفي الخـتام إذا أردت أن تؤمن بـأن الحضارة الإنـسانيـة بنتاجـها الفـكري والعلمي ليست ملكًا لأحد ، بل موروث فكري لـلجميع فانظر في باب التقابل وتتـبع تاريخـه من مجـرد فكرة ومنـهج حتى أصـبح ظاهـرة ونظرية ، حـيث اجتمعت فيه ثلاث ثـقافات: ثقافة يونانية ابتدأها أرسطو ثـم ثقافة عربية أصَّلَها ابن المعتـز ، وقدامة بن جعفر ، وآخرهـا ثقافة غربيَّةَ نَظَّرها سابـير ، وبالمر ، وجون لاينز ؛ ومع العرب المحدثين يتغيب الإبداع ويضعف الاعتزاز بالهوية في عصر يتطـلب عقلاً أكثر قدرة ، ووعيًا أكـثر نضوجًا ، حتى نتخـطى الهزيمة ؛ لاسيـما وأننا نمـلك ثقافـة وفكرًا رفيـعًا لهما الـقدرة على الاحـتواء والتفـاعل الحضارى ، واللغة هي وعاء ذلك كلمة ورَحِمُهُ .

**والله الموفق ،**

# خلاصة البحث

يتناول البحث ظاهرة لغوية دلالية هي ظاهرة «**التقابل الدلالي**» ، أحد أنواع العلاقات الدلالية ، وفي مجال خصب من مجالات الدلالة ، وهو علم الدلالة التركيبي وإبداع من إبداعاته هو التوليد الدلالي ، مع العلم بأن الوصف الشامل والمرضى لهذه الظاهرة لم يولد بعد - كما يُقِرُّ بذلك اللغويون - بسبب عزوف اللغويين عنها ؛ بالرغم من أنها لا تقل عن أي ظاهرة من ظواهر الثروة اللفظية كالترادف ، والمشترك ، والتضاد ، فذلك العزوف أدى إلى قلة الدراسات السابقة وشحها .

وينقسم البحث في الظاهرة إلى مقدمة وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وخلاصة البحث ، ومسرد للمصادر والمراجع .

وقد تناولت المقدمة نبذة عن علم الدلالة ، ونبذة عن الحركة اللغوية والأسلوبية التي يموج بها النص في سورة النساء ، والتي ارتكزت علي التقابل الدلالي .

وفي التمهيد تعرض البحث لمصطلح التقابل : لغةً واصطلاحًا عند اللغويين، والبلاغيين ، والمتكلمين .

أما المبحث الأول فتناول : «التقابل الدلالى فى التراث العربى»

تناولت المقدمة : العلاقة بين البلاغة والمنطق عند القدماء ، ثم التقابل عند المناطقة ، والأصوليين ، والمتكلمين ، ثم «باب الطباق والمقابلة» عند البلاغيين من القرن الثالث (عبد الله بن المعتز تـ ٢٩٩هـ) وحتى القرن الثامن (حمزة بن العلوي تـ ٧٤٩هـ) وانتهي المبحث بخلاصة تضم أبرز نتائجه ، يليه تصور لنظرية التقابل الدلالي عند العرب القدماء .

أما المبحث الثانى فتناول «التقابل الدلالي في الدرس اللغوي الحديث» تناولت المقدمة التغيرات التي شهدها علم الدلالة الحديث من الانتقال من المفردة إلى الجملة ثم السياق ثم النص ، فأصبحت العلاقة بين البلاغة والدلالة علاقة تأثير وتأثر ؛ لذا كانت ظاهرة التقابل الدلالي بابًا يتجاذبه الدلاليون ، والبلاغيون ، حتى أصبح مبحثاً حيويًا عند علماء الدلالة كـ (بالمر) و(جون لاينز) وغيرهم ، ثم أصبح مبحثًا أسلوبيًا نصيًا عند (برند شبلنر) .

أما علماء الدلالة العرب المحدثون فقد تلقفوا ما كتبه الغربيون ، وحاولوا ترجمته وتعريب تطبيقاته دون أدنى إضافة أو تجديد ، فقد كتب فيه د. أحمد مختار عمر ، ود. حلمى خليل وغيرهما ، وكتب فيه د. عبد المجيد جحفة (من المغرب) وتناوله تناولاً إبداعياً جديدًا حيث ربطه بالمعجم ، ثم خُتِم المبحث بخلاصة تضم أهم نتائجه، وتصورٍ لنظرية التقابل الدلالى عند المحدثين .

أما المبحث الثالث فهو (التقابل الدلالي دراسة تطبيقية في سورة النساء» حيث تم حصر آيات التقابل في سورة النساء في خمسة وتسعين موضعًا ثم تم تصنيفها على النحو التالى : «التقابل الدلالي الحاد / المتدرج / المتعاكس/ » ثم قسم كل نوع إلى ثلاثة أقسام «التقابل في المفردة / التقابل في الجملة / التقابل في الموقف» ثم ختم بالتقابل الدلالي بين مستويين لغويين وبين لغتين ، مع الإشارة إلى التقابل الكمي في الجمل والسياق في كل نوع من أنواع التقابل . وانتهى البحث بخاتمة وتوصيات وخلاصة ومسرد للمراجع والمصادر . والله الموفق .

# مسرد المصادر والمراجع


١- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي د. محمد العبد، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ / ١٩٨٨ م .

٢- الأسلوبية وعلم الدلالة ، ستيفن أولمان ، تح محيي الدين محسب ، مصر/ المنيا / دار الهدى للنشر والتوزيع تـ ٢٠٠١م .

٣- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تح عماد بسيوني زغلول، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ط٤ ، ١٤١٥هـ .

٤- البديع ، عبد الله بن المعتز ، تح محمد خفاجي ، بيروت ، دار الجيل .

٥- البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف .

٦- البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية ، د. سعد أبو الرضا ، جدة / دار عكاظ ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٧- التصور اللغوي عند الأصوليين ، د. السيد أحمد عبد الغفار ، جدة / دار عكاظ ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

٨- التوليد الدلالي د. حسام البهنساوي ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ط١ / ٢٠٠٣م .

٩- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم (المعرفة اللسانية) : أبحاث ونماذج ، المغرب، الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر ، ط١ / ١٩٨٧ .

١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥هـ .

١١- الخطابة ، لأرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات / لبنان ، دار القلم .

١٢- الدلالة والنحو د. صلاح الدين صالح حسنين القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م، رقم الإيداع ٧٠٣٥ .

١٣- دراسة المعنى عند الأصوليين ، د. طاهر سليمان حمودة ، الإسكندرية ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ .

١٤- روح المعانى للألوسي ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر .

١٥- الصحاح ، الجوهري ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٣ / ١٤٠٤هـ .

١٦- الطراز العلوي ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ت ١٤١٥هـ .

١٧- العلاقات الدلالية في التراث العربي ، دراسة تطبيقية ، د. عبد الواحد حسن الشيخ ، الاسكندرية ، مكتبة الإشعاع ، ط ، ١٤١٩هـ .

١٨- علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة ، مجيد الماشطة ، حليم فالح ، كاظم باقر، العراق ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٠م .

١٩- علم الدلالة ، كلود جرمان ، ريمون لوبلون ، ترجمة د. نور الهدي لوشن ، منشورات جامعة قاريونس بنغازى .

٢٠- علم الدلالة ، د. محمد الخولى ، الأردن ، دار الفلاح للنشر والتوزيع تـ ٢٠٠١م .

٢١- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢٢- علم اللغة والدراسات الأدبية ، برند شبلنر ، ترجمة محمود جاد الرب ، دار الفنية للنشر ، ١٩٨٧م .

٢٣- علم لغة النص ، د. سعيد بحيرى ، لبنان مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٢٤- العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الجيل ، ط٤ ، ١٩٧٢م .

٢٥- العين ، الخليل بن أحمد ، تح : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائى، بغداد ، وزارة الثقافة والإرشاد ، تـ ١٩٨٠م .

٢٦- كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ،. الهند ، ١٤٠٤هـ .

٢٧- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تح : محمد على البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة المكتبة العصرية ، ١٤٠٦هـ .

٢٨- الكلمة (دراسة لغوية معجمية) د. حلمي خليل ، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية .

٢٩- لسان العرب ، لابن منظور ، بيروت ، دار صادر .

٣٠- اللغة والمعنى ومعنى الكلمة (علم الدلالة) د. آكروز ، الموسوعة اللغوية، المجلد الأول ، تحرير الاستاذ الدكتور ن. ي ، كولنج ، ترجمة محيي الدين حميدي ، د. عبد الله الحميدان ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع .

٣١- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن محمد العاصي ، الرياض .

٣٢- مدخل إلى علم الدلالة الحديثة ، د. عبد المجيد جحفة ، تونس ، تويقال للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

٣٣- مدخل إلى علم اللغة ، كارل دينز بونتنج ، ترجمة د. سعيد بحيري ، القاهرة، مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع .

٣٤- المصاحبة في التعبير اللغوي ، د. محمد حسن عبد العزيز ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤١٠هـ .

٣٥- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦م .

٣٦- معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، الرياض ، دار الرفاعي ، جدة، دار النار ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ .

٣٧- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ، لبنان ، بيروت ، دار المعرفة .

٣٨ - مقاييس اللغة لابن فارس ، تح . عبد السلام هارون ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ .

٣٩- موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي تح : سميح دغيم ، لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، ١٩٩٨م ..

٤٠- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر .

٤١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .

# إعراب الاسم المرفوع
# بعد «إن» و«لو»
# دراسة فى ضوء المنهج المقارن

د. نهلة حسين إمام
قسم اللغة العربية
كلية الألسن ـ جامعة عين شمس

---

## مقدمة

هذا الموضوع من الموضوعات التي شغلت أذهان دارسي اللغة العربية قديما وحديثا، وقد تعددت، بل واختلفت آراؤهم فيه كما أن هذا النمط من انماط الشرط ورد في القرآن الكريم والنثر والشعر القديم، ومازال مستخدما فى الشعر المعاصر(١)، والنثر الحديث والنثر المعاصر.

وهذا الموضوع يرتبط بعدة قضايا في اللغة العربية، منها قضية العامل عند النحاة القدماء، وما سنُّوه من قواعد تحدد الأدوات التي تختص بالعمل في الفعل فقط، والأدوات التي تختص بالعمل في الاسم فقط، وكذلك قضية الاشتغال. ولما كان مفهوم الشرط هو «ترتيب وقوع أمر علي أمر آخر بواسطة اداة ملفوظة»(٢)، فقد ارتبط هذا الموضوع بدلالة الزمن في الجملة العربية أيضا. فهل دلالة الزمن تنحصر في الفعل فقط، وعلي هذا الأساس ربط النحاة القدماء بين مفهوم الشرط والجمل الفعلية؟،(٣) وكذلك يرتبط هذا الموضوع بتركيب الجملة وأثره في معناها. والسؤال المطروح هو: هل هناك فرق في المعني بين الجملة الاسمية المتحولةعن الجملة الفعلية والجملة الفعلية أو أنهما متساويتان في المعني كما ذكر ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) في أماليه؟(٤) وهناك سؤال آخر يطرح نفسه، وهو: هل لهذه الأدوات نظير في اللغات السامية الأخري، ومن ثم هل جاء معها هذا النمط من أنماط الشرط؟

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة. وقد خص البحث

الأداتين (إن) و(لو) بالدراسة؛ لأن لهما نظير في بعض اللغات السامية، وسيتناول (إذا) بالدراسة أيضا، علي الرغم من أن هذه الأداة موجودة في اللغة العربية فقط[٥]؛ لاشتراكها في هذا النمط مع (إن) و(لو). كما سيتناول (لولا) بالدراسة كذلك؛ لأن المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ذكر أن لولا إنما هي (لو) و(لا)، جعلتا شيئا واحدا و أوقعتا علي هذا المعني[٦]، وهو ما حدث في اللغة العبرية أيضا[٧]. ولن يتناول البحث الأداة (لوما)؛ لأن النحاة اختلفوا فيها فمنهم من عدها أداة شرط[٨]. ومنهم من عدها أداة تحضيض[٩]، وهي لم ترد في القرآن إلا في آية واحدة بقصد التحضيض[١٠].

ويبدأ البحث بعرض استخدام الأدوات (إن، ولو، ولولا، وإذا) في اللغة العربية، وما يقابلها في اللغات السامية، ثم يتناول موضوع مفهوم الشرط وارتباطه بالزمن، وكذلك ارتباط أدوات الشرط بنظرية العامل ثم يتناول قضية إعراب الاسم المرفوع بعد هذه الأدوات، فيعرض آراء النحاة القدماء في هذا النمط من أنماط الشرط، ثم رأي المحدثين، ورأي البلاغيين في قضية تقديم الفاعل وتحويل الجملة الفعلية إلي جملة اسمية، والفرق الدلالي بين الجملتين مع عرض بعض النماذج لهذا النمط الشرطي في الشعر القديم والنثر القديم والقرآن الكريم، والنثر الحديث، والنثر المعاصر. وأخيراً يتناول البحث هذا النمط من أنماط الشرط في اللغات السامية.

ورموز الأصوات في اللغات السامية المستخدمة في هذا البحث علي النحو التالي: للهمزة ( ʾ ) وللباء (b) وللپاء (P) والتاء (t) وللثاء (ṯ) وللجيم (g) وللحاء (ḥ) وللخاء (ḫ) وللدال (d) وللذال (ḏ) وللراء (r) وللزاى (z) وللسين (s) وللسامخ العبرية (ś) وللشين (š) وللصاد (ṣ) وللضاد (ḍ) وللطاء (ṭ) وللظاء (ḏ̣) وللعين ( ʿ ) وللغين (ġ) وللفاء (f) وللڤاء (v) وللقاف (q) وللكاف (k) وللام (l) وللميم (m) وللنون (n) وللهاء (h) وللواو (w) ولللياء (y). وللفتحة القصيرة (a) والطويلة (ā) وللكسرة القصيزة الخالصة (i) والطويلة ( ī ) وللكسرة القصيرة الممالة (e) والطويلة (ē) وللضمة القصيرة الخالصة (u)

والطويلة (ū) وللضمة القصيـرة الممالة (o) والطويلة (ō) وللفتحة المخطوفة (ă) وللكسرة المخطوفة ( ĕ ) وللضمة المخطوفة ( ŏ ) وللمد غير الأصلى (a).

أولاً: «إن» و«لو» فى اللغة العربية واللغات السامية الأخرى:

(إن) أداة شرط جـازمـة تجزم فـعلين إذا كـانا مـضـارعين فى اللغة العربية وذكر النحاة أن «(إن) أبداً مبهمة»[١١] وأن «مخرجـها الظن والتوقع فيما يخبر به المخبر»[١٢] ورفض الإسـتراباذى (ت ٦٨٦هـ) الرأى القـائل بأنها لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكاً فى وجوده[١٣] فقال «ليست للشك بل لعدم القطع فى الأشياء الجائز وقوعـها وعدم وقوعها»[١٤]، وقد تدخل على المستـحيل أبهم زمانه كـقوله تعالـى ﴿أفإن متَّ فـهم الخـالدون﴾[١٥]، وقد تدخل على المستحيل[١٦] كـقوله تعالى ﴿قل إنَ كـان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾[١٧] ويذكر الإستراباذى ثلاثة استعمالات أخرى لـ (إن) فيقول: «وقد تستعمل إن الشرطية فى الماضى على أحد ثلاثة أوجه إما على أن يجوز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوع فيه كقوله تعالى ﴿إن كان قميصه قد مِنْ قبل فصدقت﴾[١٨] وإما على القطع بعدمه فيه، وذلك المعنى الموضوع لَه (لو) كـقوله تعـالى ﴿إن كنت قلته فـقد علمتـه﴾[١٩] وإمـا على القطع بوجوده نحو: زيد وإن كان غنياً لكنه بخيل، وأنت وإن أُعطيت جاهاً لئيم، واستعمالها فى الماضى على خلاف وضعها، ولا تستعمل فَيه فى الأغلب إلا وشرطها كان لما يأتى فى الجوازم»[٢٠].

و(إن) فى العربية يقابلها فى العبرية אִם (ʾim)، والعبرية المتأخرة (hen)، وفـى الآرامـــيـــة הן ( in)، وفى الآرامـيـة الفلسطينيـة (hen)، والسريانية (ʾen)، والمندعية ( hin)، والعـربيـة الجنوبيـة הם (hm)، والحبشية እማ (ʾemma) أو (ʾem)[٢١].

أمـا (لو) فـأداة شـرط غـيـر جـازمـة فى العـربيـة، ويذكـر سـيـبـويه (ت١٨٠هـ) أنهـا لما كـان سـيـقـع لوقـوع غـيـره[٢٢]، ويربطهـا المرادى (ت٧٣٩هـ) بالفعل، فيقول «(لو) حرف يدل على تعليق فعل بفعل، فيما

مضى، فيلزم من تقدير حصول شرطها حصول جوابها، ويلزم كون شرطها محكوماً بامتناعه[٢٣]... وأما جوابها فلا يلزم كون ممتنعاً» وقد تأتى بمعنى (إن) فتدل على المستقبل كما فى قوله تعالى ﴿وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾[٢٤]، وقد تدل على التمنى بمنزلة «ليت» فى المعنى لا فى اللفظ والعمل[٢٥]. كما فى قوله تعالى ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم﴾[٢٦] وقد تكون للاستمرار أيضاً كما فى قوله (صلى الله عليه وسلم) (لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً)[٢٧].

وقد ربط النحاة بين (لو) و(لولا)، فذكر سيبويه أن «لو بمنزلة لولا»[٢٨]، وأما (لا) فتكون كما فى التوكيد واللغو... وقد تغير الشىء عن حاله كما تفعل (ما) وذلك قولك (لولا) صارت (لو) فى معنى آخر»[٢٩].

و(لو) فى العربية يقابلها فى العبرية לוּ والآرامية القديمة לו (lū)، والآرامية אִלּוּ ('illū)، وقد استعارتها العبرية الحديثة من الآرامية. وتأتى هذه الأداة فى العبرية مع النفى فتصير לוּלֵא، أو לוּלֵי (lūlē)، وهى تقابل (لولا) فى العربية. والدلالة المشتركة بين العربية واللغات السامية الأخرى فى هذه الأداة هى التمنى[٣٠].

أما (إذا) فهى أداة خاصة باللغة العربية[٣١]، وهى غير جازمة. ذكر النحاة أنها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية[٣٢]، وهى تجىء وقتاً معلوماً[٣٣]، ولذلك فهى غير جازمة لأن حروف الجزاء مبهمة[٣٤]. وقد أشار العالم الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة إلى مجيئها فى بعض آيات القرآن الكريم مستعملة استعمال (إذ) للزمان الماضى[٣٥]. كما فى قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ بين السَّدين﴾[٣٦]، وكذلك قد تفيد الاستمرار كما فى قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا﴾[٣٧] ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم﴾[٣٨].

## ثانيا : مفهوم الشرط و ارتباطه بالزمن :

عرف ابن مالك ( ت٦٧٢ هـ ) الشرط بقوله :

**فعلين يقتضين : شرط قُدِّما .. يتلو الجزاء ، وجواباً وسما**

و يعلق الأشمونى ( ت ٩٢٩ هـ ) على هذا الرأي فيذكر أنه إنما قال فعلين و لم يقل جملتين للتنبيه على أن حق الشرط و الجزاء أن يكونا فعلين ، و إن كان ذلك لا يلزم فى الجزاء ، و يبرر الصبان ( ت ١٢٠٦ هـ) استخدام ابن مالك للفظ ( فعلين) ، فيرى أن التعبير بجملتين يوهم كون الشرط جملة اسمية مع أنه ليس كذلك .[٣٩] و إنما ارتبط هذا الرأي بمفهوم النحاة عن الشرط لأن " معنى تعليق الشيء على الشرط إنما هو وقوف دخوله فى الوجود على دخول غيره فى الوجود "[٤٠] و لذلك يرى النحاة أن " الشرط و الجزاء لا يصحان إلا بالأفعال ، أما الشرط ؛ فلأنه علة و سبب لوجود الثانى ، و الأسباب لا تكون بالجوامد إنما تكون بالأعراض و الأفعال ، و أما الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضا؛لأنه شيء موقوف دخوله فى الوجود على دخول شرطه ، و الأفعال هى التى تحدث و تنقضى و يتوقف وجود بعضها على وجود بعض لاسيما و الفعل مجزوم ؛لأن المجزوم لا يكون إلا مرتبطا بما قبله ، و لا يصح الابتداء به من غير تقدم حرف الجزم عليه "[٤١] و هكذا ارتبط مفهوم الشرط عند النحاة بالتعليق و السببية و الحدوث و الانقضاء و التجدد ، و لكن هل ترتبط هذه الدلالات بالأفعال و الجمل الفعلية فقط ؟ إن الإستراباذى عند حديثه عن إضافة ظرف الزمان- الجائز الإضافة- إلى الجمل يذكر أن إضافة ظرف الزمان إلى الجملة الفعلية أكثر منها إلى الاسمية ، و الاسمية المضاف إليها إما أن يستفاد الزمان منها بكون ثانى جزئيها فعلا كقوله تعالى ( يوم هم على النار يفتنون )[٤٢] أو يكون مضمونها مشهور الوقوع فى أحد الأزمنة الثلاثة . و إن كان جزآها اسمين ، أما فى الماضى فنحو : أتيتك حين الحجاج أمير ، و فى المستقبل نحو : لأخذنك حين لا شيء لك ، و قوله تعالى ( يوم هم بارزون )[٤٣] كما يعترض الإستراباذى على قول المبرد إن الزمان الجائز الإضافة لا يضاف إلى الاسمية إلا بشرط كونها ماضية المعنى حملا على (إذ) الواجبة الإضافة إلى الجمل ، و يحتج الإستراباذى بالآيات القرآنية السابق ذكرها .[٤٤] فالمبرد و الإستراباذى يقران بأن الجملة الاسمية يمكن أن

تكون ماضية أو مضارعية المعنى ، بل إن الإستراباذى يشير إلى أن الجملة الاسمية المكونة من اسمين يمكن أن يستفاد منها الزمن إذا كان مضمونها مشهور الوقوع فى أحد الأزمنة الثلاثة . و ما أشار إليه الإستراباذى هو ما يسميه تمام حسان الزمن النحوى ، و زمن الاقتران ، فالزمن الذى يقترن بالفعل هو ما يطلق عليه تمام حسان الزمن الصرفى ، و لتمام حسان رأى فى الزمن فى اللغة العربية جدير بالذكر يمكن تلخيصه فيما يلى :

يرى تمام حسان أن الزمن الصرفى هو وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق ، فكان من السهل على النحاة أن يحددوه من أول وهلة ،و لكن هذا لا ينفى أن هناك زمنا يمكن أن يفهم من السياق ، و هو وظيفة يمكن أن يؤديها الفعل و غيره من أقسام الكلم التى تنقل معناه ، مثل الصفة و المصدر . و هناك زمن الاقتران ، و هو الذى يكون بين حدثين ، و هذا الزمن يستفاد من الظروف الزمانية فى أقسام الكلم ، مثل : إذ ، و إذا ،و إن ، و لما .. الخ . و هذا المعنى وظيفى كالزمن النحوى و لكن الفرق بينهما هو إفادة الاقتران و عدمها . و لما نظر النحاة إلى الجمل الإنشائية وجدوا صيغة (فَعَلَ) تفيد الاستقبال فى التحضيض و الدعاء و الشرط مثلا ، فنسبوا اختلاف الزمن إلى الأدوات فقالوا : إن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، و هكذا لم يدرك النحاة طبيعة الفرق بين مقررات نظام الزمن التى وضعوا قواعدها و مطالب السياق . و كان عليهم أن ينسبوا الزمن الصرفى إلى النظام الصرفى ، و ينسبوا الزمن النحوى إلى مطالب السياق ، و هى الظواهر الموقعية ، و مادام الزمن النحوى وظيفة فى السياق يؤديها الفعل و الصفة.. الخ . فلابد أن تلعب القرائن الحالية و المقالية دورها كاملا فى تحديد هذا الزمن ، كما أن يستخدم اسم الفاعل فى الجملة فى علاقات سياقية كعلاقة الإسناد و التعدية كما فى نحو ( أضارب أخوك زميله ) فكلمة ضارب فى هذا التركيب محتملة للحال و الاستقبال دون تعيين لأحدهما بواسطة قرينة لفظية مثل ظرف الزمان الدال على الحال مثل ( الآن ) أو الاستقبال مثل ( غدا ) ، فلابد أن تتعين لأحدهما هنا بقرينة حالية ، كأن تقال الجملة أثناء وقوع الضرب ، فتكون القرينة هى المقام و إلا كان فى الكلام لبس . أما إذا أضيف الوصف إلى ما بعده ، ففى معناه من جهة الزمن احتمالان .

١ - الدلالة على الماضى بقرينة حالية أو مقالية كقولك ( أبو بكر قاهر المرتدين ) أو ( هذا ضارب زيد أمس ) على الترتيب .

٢ - الدلالة على مطلق الوصف كقولك فى الله تعالى : ( واهب النعم ). و هكذا تضيف القرائن الحالية و المقالية إلى الصفات و المصادر معانى جديدة لم تكن لها فى الصرف ، و هذا مظهر من مظاهر تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد . (٤٥)

و بعد أن تناولنا باختصار رأى تمام حسان فى الزمن فى الجملة و الذى يتفق مع واقع اللغة العربية ، ينبغى أن يعاد النظر فى رأى النحاة فى ارتباط الشرط بالجملة الفعلية ، خاصة أن بعض النحاة مثل المبرد و الإستراباذى قد تنبهوا إلى أن الزمن يمكن أن يستفاد من الجملة الاسمية أيضا .

## ثالثا : ارتباط أدوات الشرط بنظرية العامل عند النحاة :

إن ربط النحاة الشرط بالأفعال و بنظرية العامل جعلهم يرفضون فكرة مجيء الاسم بعد حروف الجزاء؛ لأن المجازاة لا تكون إلا بفعل (٤٦) ، بل منهم من رأى أن الأصل فى الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة ؛ لأنه يعربها ، و لا يعرب إلا المضارع . (٤٧) بصرف النظر عن نسبة شيوع كل نمط من أنماط الشرط ، و إن رتب ابن مالك أنماط الشرط حسب نسبة شيوعها (٤٨) ، و لذلك رفض النحاة فكرة أن يلى الاسم أدوات الشرط التى تختص بالفعل فقط . فسيبويه يذكر أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها قبل الأفعال ، و ذلك لأنهم شبهوها بالأدوات التى تجزم فعلا واحدا (٤٩) ، و لكنه عندما وجد هذا النمط موجودا فى الشعر القديم قال " إلا أن حروف الجزاء قد جاز ذلك فيها فى الشعر ؛ لأن حروف الجزاء يدخلها فَعَلَ و يَفعلُ " (٥٠) اي يدخلها الفعل الماضى و المضارع . و يرى النحاة أنه لا يكون ذلك فى غيرهن من العوامل ، كما يرون أن هذا النمط لا يأتي إلا إذا اضطر الشاعر فيجوز له أن يفصل بين أداة الشرط و الفعل، سواء جزمت أو لم تجزم. (٥١)

و نظرية العامل جعلت النحاة يرفضون نمطا من أنماط الشرط هو مجيء الاسم مرفوعا بعد أداة شرط يليها فعل ، إذا جاء بعدها فعل ينصب ضميرا يعود

على هذا الاسم ، و هو ما يعرف عند النحاة بالاشتغال كما فى نحو " إن زيداً تره تضرب " لأن ( إن ) عندهم أبعد من الرفع ؛ لأنه لا يبنى فيها الاسم على مبتدأ [٥٢] و هذا الرأي ينطبق على ( إذا ) أيضا كما فى نحو " إذا عبدَ الله تلقاه فأكرمه [٥٣] على إضمار فعل يفسره الفعل بعده . و إذا وجدوا فى هذا النمط اسماً مرفوعاً أولوه بما يتناسب مع المعنى . [٥٤] .

## رابعا : رأى النحاة القدماء فى الاسم المرفوع بعد ( إن ، و إذا ، و لو ، ولولا ) :

اختلف رأى النحاة فى كيفية إعراب الاسم إذا جاء مرفوعا بعد هذه الأدوات ، بل إن النحوى الواحد قد يختلف رأيه فى كيفية إعراب الاسم المرفوع بعد أداة شرط عنه بعد أداة شرط أخرى ، و لذلك سيتناول البحث أراء النحاة فى كيفية إعراب هذا الاسم بعد كل أداة على حده ، و سيبدأ بـ ( إن ) لأنها من وجهة نظرهم أم حروف الجزاء كما ذكر الخليل ( ت ١٧٥ هـ ) . [٥٥]

## رأى النحاة فى الاسم المرفوع بعد ( إن ) :

يرى سيبويه أنه يجوز الفرق بين ( إن ) و الفعل باسم ، إذا لم تجزم فى اللفظ ، كأن يكون الفعل الذى بعد الاسم التالى لها فعلا ماضيا، فإن جزمت ففى الشعر. [٥٦] و قد اختلفت الآراء فى إعراب هذا الاسم فهناك ثلاثة آراء :

الرأي الأول : و يمثله سيبويه و البصريون فيرى أن هذا الاسم مرفوع بإضمار فعل بين ( إن ) و الاسم ، يفسره الفعل الظاهر التالى للاسم [٥٧] ، و ذلك لارتباط حروف الجزاء – و منها ( إن ) بالطبع – عندهم بالفعل. فـ ( إن ) لا ينتصب شىء بعدها و لا يرتفع إلا بفعل ، كما يرى سيبويه [٥٨] ، فهذا الاسم ، عند سيبويه و البصريين ، فاعل لفعل مضمر يفسره الفعل التالى للاسم .

الرأي الثانى : و يمثله الكوفيون ، و هم يرون أن الاسم المرفوع بعد ( إن ) الشرطية يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير الفعل . [٥٩] و يذكر ابن يعيش ( ت ٦٤٣ هـ ) أن الفراء ( ت ٢٠٧ هـ ) ذهب إلى أن الاسم فى نحو قوله تعالى

( إن امرؤ هلك ) [٦٠] ، و ( إن أحد من المشركين استجارك ) [٦١] مرتفع بالضمير الذى يعود إليه من هلك و استجارك . [٦٢]

الرأي الثالث : هو رأى الأخفش ( ت ٢١٥ هـ ) و بعض الكوفيين ، و يرون أن هذا الاسم مرفوع على الابتداء ، لكنه مبتدأ يجب كون خبره فعلا لطلب كلمة الشرط الفعل سواء وليها أو لا . و لكن الأخفش يرى أن العامل فى هذا المبتدأ هو الابتداء ، أما من ذهب مذهبه من الكوفيين فيرون أن العامل فيه هو الخبر أو الضمير فى الخبر . [٦٣]

و يحدد الإسترابادى زمن الفعل الذى يكون بعد الاسم الذى يلى ( إن ) و ما تضمن معناها من الأسماء فيرى أن حق هذا الفعل أن يكون ماضيا سواء كان ذلك الاسم مرفوعا أو منصوبا نحو " إن زيد ذهب " و " إن زيداً لقيت أو لقيته " و قد يكون مضارعا على الشذوذ . ذلك لضعف مجيء المضارع " لحصول الفصل بين الحازم مع ضعفه و بين معموله ."[٦٤]

## رأى النحاة فى الاسم المرفوع بعد ( إذا ) :

يذكر المرادى أن المذهب المشهور عن سيبويه هو أن ( إذا ) لا يليها إلا فعل ظاهر ، أو مقدر ، فالظاهر نحو ( إذا جاء نصر الله و الفتح ) [٦٥] و المقدر نحو ( إذا السماء انشقت ) [٦٦] و لا يجيز غير ذلك ، و لكن السهيلى (ت ٥٨٣ هـ ) نقل أن سيبويه يجيز الابتداء بعد ( إذا ) الشرطية ، و أدوات الشرط ، إذا كان الخبرْ فعلا . [٦٧] و الحق أن عبارة سيبويه تحتمل المعنيين ، فسيبويه يقول " و مما يقبح بعده ابتداء الأسماء و يكون الاسم بعده إذا أوقعت الفعل على شيء من سببه نصبا فى القياس : إذا وحيث ، تقول : إذا عبد الله تلقاه فأكرمه ، و حيث زيدا تجده فأكرمه؛ لأنهما يكونان فى معنى حروف المجازاة ، و يقبح إن ابتدأت الاسْم بعدهما إذا كان بعده الفعل . لو قلت : اجلس حيث زيد جلس ، و إذا زيد يجلس. كان أقبح من قولك : إذا جلس زيد و إذا يجلس ، و حيث يجلس ، و حيث جلس ، و الرفع بعدهما جائز ؛ لأنك قد تبتدئ الأسماء بعدهما فتقول : اجلس حيث عبد الله جالس ،

و اجلس إذا عبد الله جلس ." [٦٨] فسيبويه يتحدث فى هذه العبارة عن استخدامين لإذا ، إذا الشرطية و إذا الظرفية ، وهو على الرغم من وصفه لنمط وقوع الاسم بعد ( إذا ) الشرطية بالقبح، و كذلك بعد ( إذا ) الظرفية ، إذا كان بعد الاسم فعل ، إلا أنه يجيز أن تبتدأ الأسماء بعد( إذا) الظرفية لأنه مثل بذلك بجملة(إذا) فيها ظرفية ، و لكن الملاحظ أن الجملة المستخدمة مع حيث ( اجلس حيث عبد الله جالس ) لم يرد بعد (حيث) فعل ، و هذا يتفق مع كلام سيبويه ، أما مع (إذا) فالجملة المستخدمة . ( اجلس إذا عبد الله جلس ) و هى لا تتفق مع كلامه ، فهل هناك خطأ فى هذا المثال ، و كان من المفروض أن يقول ( اجلس إذا عبد الله جالس ) كما ذكر فى المثال مع حيث ؟ و بذلك يستقيم الكلام ، و يكون الرأي المشهور هو الرأي الصحيح . و أن سيبويه لا يجيز الابتداء بعد ( إذا ) الشرطية ، و كذلك ( إذا ) الظرفية إذا تلى الاسم الواقع بعدها فعل . و على هذا الرأي يكون التقدير فى الآية ( إذا السماء انشقت ) إذا انشقت السماء ، من وجهة نظر البصريين [٦٩]

أما الأخفش فقد أجاز وقوع المبتدأ بعد ( إذا ) و يبدو أن ابن مالك يؤيدهفى هذا الرأي ؛ لأنه يرى أن طلب ( إذا ) للفعل ليس كطلب ( إن ) . و يستشهد على صحة رأى الأخفش بقول الشاعر :

**إذا باهلى تحته حنظلية .:. له ولد منها فذاك المُذَرَّع** [٧٠]

فهذا البيت يخلو من الأفعال تماما ، و قد حاول النحاة تأويل هذا البيت على أن التقدير : استقرت تحته حنظلية . فحنظلية : فاعل ، و باهلى : مرفوع بفعل يفسره العامل فى ( تحته ) . [٧١]

**رأى النحاة فى الاسم المرفوع الواقع بعد ( لو ) :**

لأداة الشرط غير الجازمة ( لو ) حالتان . الحالة الأولى : أن يليها اسم مرفوع ، أو ضمير رفع منفصل . و الحالة الثانية : أن يليها مصدر مؤول مكون من أن و اسمها و خبرها ، و قد اختلفت آراء النحاة فى إعراب الحالتين . فسيبويه يقول " لو بمنزلة إن ، لا يكون بعدها إلا الأفعال ، فإن سقط بعدها اسم ففيه فعل

مضمر فى هذا الموضع تبنى عليه الأسماء ". [٧٢] " ولا تبتدأ بعدها الأسماء سوى أن " .[٧٣] فسيبويه يرى أن الاسم الواقع بعد ( لو ) فى الحالة الأولى فاعل لفعل مضمر ، و المصدر المؤول فى الحالة الثانية مبتدأ . و قد خالف بعض البصريين رأى سيبويه .

و فيما يلى عرض لآراء النحاة فى كل حالة على حدة .

## ١ ـ الاسم المرفوع أو ضمير الرفع المنفصل بعد ( لو ) :

اتفق أغلب البصريين على أن الاسم الظاهر بعد ( لو ) فاعل لفعل مضمر ، بل إن المرادى ينقل عن ابن عصفور ( ت ٦٦٣ هـ ) أنه قال : لا يليها فعل مضمر إلا فى الضرورة ، أي فى الشعر أو نادر كلام ، و يعقب المرادى على قول ابن عصفور بقوله : و الظاهر أن ذلك لا يختص بالضرورة ، و النادر ، بل يكون فى فصيح الكلام ، كقوله تعالى ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى ) [٧٤] .
و يرى ابن مالك و الإستراباذى أن ( لو ) قد يجيء شرطها جملة اسمية ، و إن خص الإستراباذى هذا النمط بالضرورة . و استشهد على صحة رأيهما بقول الشاعر عدى بن زيد :

**لو بغير الماء حَلْقِى شَرِقٌ .: كنت كالغصان ، بالماء اعتصارى** [٧٥]

و ذكر المرادى أن هذا مذهب الكوفيين . و قد تأول بعض البصريين هذا البيت ، فذهب ابن خروف ( ت ٦٠٩ / ٦١٠ هـ ) إلى أنه على إضمار ( كان ) الشأنية ، و تأوله الفارسى ( ت ٣٧٧ هـ ) على أن ( حلقى ) فاعل فعل مقدر ، يفسره ( شرق ) ، و ( شرق ) خبر مبتدأ محذوف ، أي هو شرق ، و يعلق المرادى على هذا التأويل بأنه فيه تكلف .[٧٦]

و هكذا حاول البصريون تأويل كل ما خالف رأيهم من نصوص شعرية ، أو نثرية ، أو آيات قرآنية جاء فيها الاسم بعد ( لو ) . و تلخصت هذه التأويلات فى أن الاسم الذى يلى ( لو ) إما مرفوع معمول لمحذوف يفسره ما بعده أو اسم منصوب كذلك ، أو خبر لكان محذوفة ـ أي الجملة الاسمية الملفوظ بها خبر كان الشانية[٧٧].
و لكن بعض نحاة البصرة وجدوا فى بعض هذه التأويلات تكلفا .

و مما ورد فى النثر على هذا النمط قول حاتم الطائى " لو ذات سوار لطمتني " و قول عمر ( رضى الله عنه ) : " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة " [٧٨]

## ٢ ـ المصدر المؤول بعد ( لو ) :

سبق ذكر أن سيبويه يرى أن ( لو ) إذا تلاها مصدر مؤول من أن و اسمها و خبرها ، فهو يعرب على الابتداء ، و تبعه جمهور البصريين فى ذلك الرأي ، و لكنهم اختلفوا فى خبر هذا المبتدأ فيرى سيبويه أن هذا المبتدأ لا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند و المسند إليه . و قيل الخبر محذوف ، فقيل يقدر مقدما أي ( و لو ثابت إيمانهم ) ، و قال ابن عصفور يقدر مؤخرا . أي ( و لو إيمانهم ثابت ) .

و ذهب المبرد ، و الزجاج ( ت ٣١٠ هـ ) ، و الزمخشرى ( ت ٥٣٨ هـ ) و الكوفيون إلى أنه على الفاعلية و الفعل مقدر بعدها ، أي و لو ثبت أنهم آمنوا ، و يرى ابن هشام (ت ٧٦١ هـ)أن هذا أرجح؛ لإبقاء لو على الاختصاص بالفعل[٧٩] كما يرى ابن الحاجب ( ت ٦٤٦ هـ ) أن الدليل على صحة هذا الرأي مجيء( أن ) مفتوحة الهمزة [٨٠] ، و يرى السيرافى ( ت ٣٦٨ هـ ) أنه لا يحتاج إلى تقدير الفعل ، و لكن ( أن ) تقع نائبة عن الفعل الذى يجب وقوعه بعد لو ؛لأن خبر ( أن) إذن فعل ينوب لفظه عن الفعل بعد لو ، فإذا قلت : لو أن زيداً جاءني ، فكأنك قلت لو جاءني زيد . [٨١]

و يرى الزمخشرى أن خبر ( أن ) يجب أن يكون فعلا؛ ليكون عوضا عن الفعل المحذوف . [٨٢] و قد ورد فى القرآن الكريم خبر ( أن ) جامداً كما فى قوله تعالى ( و لو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ) [٨٣] و جاء اسما مشتقا فى قوله تعالى ( يودوا لو أنهم بادون ) [٨٤] و جاء فى الشعر أيضا كما فى قول كعب :

**أكرِمْ بها خلة لو أنها صدقت .. موعودها أولو أن النصح مقبول**

و لذلك عقب الإستراباذى على هذا الرأي بقوله " فلاشك أن استعمال الفعل فى خبر ( أن ) الواقعة بعد ( لو ) أكثر ، و إن لم يكن لازماً " [٨٥] كما قال أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ ) و هو وهم ، و خطأ فاحش [٨٦] و هكذا يتضح كيف اختلفت آراء النحاة فى الاسم التالى للأداة ( لو ) و كذلك المصدر المؤول ، بل إن أصحاب المذهب الواحد قد اختلفوا فى تأويل ما ورد فى القرآن الكريم و الشعر و النثر . و هذا التأويل لم يلق أحيانا قبولا من أصحاب المذهب الواحد .

## رأى النحاة فى الاسم المرفوع الواقع بعد ( لولا ) :

### ١ - الاسم المرفوع أو ضمير الرفع المنفصل بعد ( لولا ) :

يرى سيبويه و البصريون أن ( لولا ) تبتدأ بعدها الأسماء [٨٧] ، و أن الاسم بعدها خبره محذوف لما يدل عليه [٨٨] ، أو لنيابة الجواب منابه . [٨٩] و يفصل ابن هشام القول فى حكم حذف خبر المبتدأ بعد ( لولا ) ، فيذكر أن أكثر البصريين يوجب كون الخبر كونا مطلقا محذوفا ، فإذا أريد الكون المقيد لم يجز أن تقول ( لولا زيد قائم ) و لا أن تحذفه ، بل تجعل مصدره هو المبتدأ ، فتقول ( لولا قيام زيد لأتيتك ) أو تدخل ( أن ) على المبتدأ فتقول ( لولا أن زيداً قائم ) . و ذهب الرمانى(ت ٣٨٤ هـ ) و ابن الشجرى و الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ ) و ابن مالك إلى أنه يكون كونا مطلقا كالوجوب و الحصول فيجب حذفه ، و كونا مقيداً كالقيام و القعود فيجب ذكره إن لم يعلم نحو ( لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة ) ، و يجوز الأمران إن علم . [٩٠]

و الاسم المرفوع بعد لولا يرتفع عند الكوفيين على تقدير فعل نابت ( لا ) منابه ، فإذا قلت ( لولا زيد لأكرمتك ) و قوله تعالى ( لولا أنتم لكنا مؤمنين ) [٩١] . فالمعنى : لو انعدم زيد ، و لو انعدمتم . و يؤيد المالقى (ت ٧٠٢ هـ ) رأى الكوفيين بقوله " و هذا هو الرأي الصحيح ؛ لأنه إذا زالت ( لا ) و لى ( لو ) الفعل ظاهراً أو مقدراً ، و إذا دخلت ( لا ) كان بعدها الاسم فهذا يدل على أن( لا ) نائبة مناب الفعل " [٩٢]

٢- المصدر المؤول بعد ( لولا )

يرى سيبويه أن المصدر المؤول بعد ( لولا ) يرفع على الابتداء كما هو الحال مع ( لو ) فيقول " فأن مبنية على ( لولا )كما تبنى عليها الأسماء ."[٩٣] و يؤيده فى ذلك البصريون . و يرى السيرافى أن الاسم أو المصدر المؤول بعد ( لولا ) يرتفع لا بـ ( لولا ) ، فـ ( لولا ) " مقدمة عليه و ليست بعاملة فيه ، و لزومها للاسم بعدها بالمعنى الذى وضعت عليه كلزوم العامل للمعمول به فشبهت به ، ففتحت أن و لم تكسر ؛لأن ( إن ) المكسورة إنما تدخل على مبتدأ مجرد لم يغير معناه بحرف قبله " .[٩٤] و فى رأى السيرافى رد على حجة المالقى على صحة رأى الكوفيين إذ يقول " و مما يدل على أن ما بعد ( لولا ) من الظواهر و المضمر المنفصل ليس مبتدأ أن ( أن ) المفتوحة تقع فى موضعه ... و لا يقع فى موضع المبتدأ إلا المكسورة " [٩٥] و كذلك هو رد على حجة ابن الحاجب على كون المصدر المؤول بعد ( لو ) فاعلا .[٩٦]

و بعد تناول آراء النحاة فى هذا النمط من أنماط الشرط مع هذه الأدوات يلاحظ الاختلاف الشديد بين أصحاب المذهب الواحد ، و وقوفهم أمام بعض الشواهد التى تتعارض مع آرائهم عاجزين عن التأويل ، و إذا تأولوا كان فى تأوليهم تكلف شديد انتقده المتفقون معهم فى المذهب .

و يمكن تلخيص هذه الآراء بعامة فى ثلاثة آراء :

- **الرأي الأول** : هو أن هذا الاسم فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل التالى لهذا الاسم.
- **الرأي الثانى** : أن هذا الاسم فاعل . و هو يرتفع بما عاد إليه من الفعل التالى له من غير تقدير الفعل .
- **الرأى الثالث** : أنه مبتدأ .

أما المحدثون فقد اختلفت آراؤهم فى إعراب هذا الاسم أيضا . و لكن هذه الآراء لم تخرج عن إطار هذه الآراء الثلاثة و فيما يلى عرض لآراء المحدثين.

## خامسا : آراء المحدثين فى الاسم المرفوع بعد أدوات الشرط :

ممن رأى صحة القول بأن الاسم المرفوع بعد هذه الأدوات فاعل لفعل مقدر محمد محيى الدين عبد الحميد فى ( إذا ) و ( إن )، أما مع ( لو ) فالاسم المرفوع مبتدأ . و السبب فى هذا أنه لا يوجد اسم مرفوع ولى ( إن ) أو ( إذا ) الشرطيتين إلا بعده فعل،أما فى ( لو ) فقد ذكروا بعده اسما مرفوعا و لم يذكروا بعده فعلا.(٩٧)
و يرد على هذا الرأى قول الشاعر :

إذا باهلي تحته حنظلية .:. له ولد منها فذاك المذرع

كما أيد هذا الرأى عباس حسن (٩٨) و كذلك أيده مجمع اللغة العربية و السبب هو ان القول بكون الاسم بعد هذه الأدوات مبتدأ يؤدى إلى دخول أداة الشرط على ما يفيد الثبوت ، و هو يضاد التعليق الذى تفيده أداة الشرط ، كما أن القول بأنه فاعل مرفوع بما عاد إليه من الفعل يترتب عليه مخالفة قواعد كثيرة تتعلق بالضمائر المتصلة بالفعل المتأخر ، و عودتها ، و مطابقتها للفعل المتقدم ، و عدم مطابقتها .(٩٩)

ؤ وصف الجملة الاسمية بالثبوت ، و ربط الجملة الشرطية بالجملة الفعلية أو الفعل؛لأنها تفيد التعليق و التجدد رأى يقصر الزمن فى اللغة العربية على الزمن الصرفى الذى يمثله الفعل ، و يتجاهل الزمن النحوى المستفاد من سياق الجملة ، و هذا ما سبق أن أشار إليه المبرد و الإستراباذى قديما(١٠٠) و تمام حسان حديثا(١٠١) و هو رأى يتنافى مع واقع اللغة العربية .

أما إعراب هذا الاسم على أنه فاعل مرفوع بما عاد إليه من الفعل ، فيؤيده من المحدثين برجشتراسر ، و ذلك عندما تحدث عن الجملة الشرطية فى اللغة العربية فقال " إلا أنه يمكن تقديم الضمائر المؤكدة على الفعل نحو : ( إن أنت فعلته ) ويقدم الفاعل نادرا،إذا كان اسما،مثاله من القرآن الكريم:(إن امرؤ هلك)(١٠٢)"(١٠٣)

كما يتفق مع هذا الرأى أصحاب المذهب التوليدى إذ يرون أنه فى ضوء نظرية ( حرك ألفا Move A ) قدم الفاعل إلى الموقع م٥ و هو موقع تداولى .

نظرا لأن الفاعل يحمل وظيفة المحور الحقيقى ، أو المحور الداخلى real topic و قد نقل هذا العنصر – أي الفاعل – مع المحافظة على بنية الجملة ، و يترك هذا العنصر المنقول – أي المحور أو الفاعل – أثرا فارغا أو مملوءا يعود على الاسم المقدم ؛ ليرشد إلى مكانه الأساسي فى البنية العميقة ، و التقديم إلى م ذ يحافظ على الوظيفة التركيبية للعنصر المنقول . (١٠٤)

أما الرأى القائل بأن هذا الاسم مبتدأ فيؤيده محمد حماسة عبد اللطيف بدليل أن هناك أداتين أخريين يرى النحاة أن أصلهما ( لو ) زيدت عليهما ( لا ) و ( ما ) فصارتا ( لولا ) و ( لوما ) لا تليهما إلا الجملة الاسمية ، على خلاف كل أدوات الشرط (١٠٥)

كما يؤيد هذا الرأى طيبة صالح الشذرفى بحثها ( الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر ) ، و التى أحصت فى بحثها ثلاثة و عشرين موضعا من المواضع البالغة سبعمائة جاءت فيها جملة الشرط اسمية ، و هى ترى أن الأفضل و الأصوب أن نقول إن الشرط فى العربية يبنى فى نسبته المطلقة على تألف جمل فعلية ، و فى نسبته القليلة على ماعداها . و أن الجمل الاسمية تفيد التركيب الشرطى دلالة مضافة بنقل خصائصها إليها . (١٠٦) و قد أثارت نطقة مهمة ، و هى أن أراء النحاة فى الأنماط الشرطية كانت ذات نظرية جزئية جعلت من المعنى و التركيب الشكلى له فرعا ثانويا من القرينة الإعرابية . و هذه النظرة قصرت عن إدراك طبيعة الشرط و نظامه التركيبى و الأسلوب الذى ينطوى عليه؛ لأنها انصبت على إدراك الآثار الإعرابية فقط (١٠٧) ، و قد سبق أن أشار محمود فهمى حجازى إلى هذه النقطة حين ذكر أن النحاة اقتصروا فى بحثهم لأسلوب الشرط على بحث العامل ، و أنهم فى الآية ( إذا السماء انشقت ) (١٠٨) قدروا لاعتبارات نظرية بحتة فعلا بين ( إذا ) و الفاعل و انصرف اهتمامهم إلى الإعراب و العامل و تقديره و عمله (١٠٩)

كما لاحظت طيبة صالح الشذر عند دراستها لأنماط الشرط فى الشعر الكويتى المعاصر أن مجيء جملة الشرط اسمية كان للتأكيد على من يقوم بالحدث

، و ليس الحدث نفسه ، و إذا لم تكن الجملة الاسمية ، في الشعر ، تضيف إلى التركيب الشرطي دلالتها تلك كان وقوعها لضرورة الوزن .[١١٠] و هذه النقطة أشار إليها صلاح الدين صالح حسنين أيضا حين قال " فقد أشار البلاغيون إلى المبتدأ الذى أصله فاعل ، و أوضحوا أنه يفيد التخصيص أو التوكيد ، و أشاروا إلى المبتدأ الذى أصله المفعول به ، و أوضحوا أنه يثير المتلقي إلى القضية التى تأتى بعده ."[١١١] و هذه الملحوظة جديرة بالاهتمام . فلماذا يلجأ النص القرآني ، أو الشاعر ، أو الكاتب ، أو المتحدث بصفة عامة إلى تحويل الجملة الفعلية إلى جملة اسمية و ما الفرق فى الدلالة بين الجملة الاسمية و الجملة الفعلية ؟ هذه أسئلة تحتاج إلى الإجابة عنها و لذلك سيعرض البحث فيما يلى رأى البلاغيين فى الفرق بين دلالة الجملة الاسمية المتحولة عن جملة فعلية ، و الجملة الفعلية .

## سادسا : رأى البلاغيين فى الفرق الدلالي بين الجملة الاسمية المتحولة عن جملة فعلية ، و الجملة الفعلية :

لا يمكن إغفال هذه النقطة عند دراسة لغة مثل اللغة العربية التى يلعب فيها الإعراب دورا كبيرا منح هذه اللغة الحرية فى تعدد تراكيب الجملة فيها ، و كل تركيب يعطى دلالة مختلفة عن التركيب الأخر . و هذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم و بلاغته . و فى هذا الموضوع تحدث عبد القاهر الجرجانى ( ت ٤٧٤/٤٧١ هـ ) بشيء من التفصيل الدال على إحساس قوى و دقيق بالفرق فى الدلالة بين تراكيب الجمل المختلفة . و فى حديثه عن التقديم و التأخير يذكر أنه إذا عمدت إلى الذى أردت أن تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه فقلت : ( زيد قد فعل ) و ( أنا فعلت ) و ( أنت فعلت ) : اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل : إلا أن المعنى فى هذا القصد ينقسم قسمين :

أحدهما جلى لا يشكل : و هو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له ، و تزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، و يمثل لهذا القسم بقولهم فى المثل ( أتعلمني بضب أنا حرشته ) .

و **القسم الثانى** : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، و لكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل ، و تمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، و توقعه أولا – و من قبل أن تذكر الفعل – فى نفسه ؛ لكى تباعده بذلك من الشبهة ، و تمنعه من الإنكار ، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد .[١١٢] كما يذكر أن تقديم المحدث عنه يفيد التنبيه له ، فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ، فجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة غفلاً ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه و التقدمة له ؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام فى التأكيد و الإحكام ، و من ههنا قالوا : إن الشيء إذا أضمر ثم فسر ، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار . و أن تقديم المحدث عنه يقتضى تأكيد الخبر و تحقيقه له ، و مما يحسن ذلك فيه و يكثر ، الوعد و الضمان ، و فى المدح . و غرض التأكيد ينطبق أيضا على الخبر المنفى ، كما أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام و ترتيب أجزائه فى ( الاستفهام ) معنى لا يكون له ذلك المعنى فى ( الخبر ) .[١١٣] هذا هو رأى عبد القاهر الجرجانى و هو رأى يدل على إحساس مرهف و دقيق باختلاف الدلالة لاختلاف تركيب الجملة فى اللغة العربية ، و ما يحويه هذا من جمال .

و إذا طبقنا هذا الرأى على بعض النماذج التى جاءت فيها جملة الشرط جملة اسمية سواء من الشعر القديم أو النثر القديم ، أو القرآن الكريم ، و كذلك من النثر الحديث و النثر المعاصر . نجد أن أغلب الأبيات التى استشهد بها النحاة على مجيء الاسم المرفوع بعد أداة الشرط تنتمى إلى القسم الثانى من المعانى التى تدل عليها الجملة الاسمية ، و الذى أشار إليه عبد القاهر الجرجانى ، و هو التحقيق على السامع من أن المسند إليه قد فعل . و تمنعه من الشك فيك أو أن يظن بك الغلط أو التزيد من أمثلة ذلك قول الشاعر هشام المرى :

**فمن نحن نؤمنْهُ يَبِتْ و هو آمن .. و من لا نُجِرْهُ يُمْسِ منا مفزّعا** [١١٤]

و أداة الشرط هنا ( مَنْ ) لم يخصها البحث بالذكر ؛ لأن هذا النمط لم يرد إلا فى الشعر كما ذكر القدماء [١١٥] ، و الملاحظ أن الفعل ( نؤمنه ) قد جزم للضرورة الشعرية .

كما نجد هذه الدلالة فى قول زهير :

**إذا أنت لم تنزِعْ عن الجهل و الخَنا .. أصبتَ حليما أو أصابك جاهل** (١١٦)

وفى قول المتنبى :

**و لو قلم أُلقيتُ فى شق راسه .. من السَقْمِ ما غيَّرْتُ من خط كاتب** (١١٧)

و كذلك قول الشاعر :

*** عاوِدْ هَراة و إنْ معمورُها خَرِبا *** (١١٨)

و ينتمى إلى هذا القسم أيضا من النثر القديم قول حاتم الطائى " لو ذات سوار لطمتنى " ، و قول عمر ( رضى الله عنه ) " لو غيرك قالها يا أبا عبيدة " (١١٩)

كما ينتمى إلى هذا القسم من آيات القرآن الكريم الآيات الواردة فى سور التكوير و الانفطار و الانشقاق . (١٢٠) فبالإضافة إلى المحافظة على الفاصلة القرآنية فى هذه الآيات ، و هى تاء التأنيث الساكنة فى هذه الآيات ، فقد أراد النص القرآنى التنبيه إلى الظواهر الطبيعية المحيطة بالإنسان ثم الإخبار بما سيحدث لها يوم القيامة ، و التأكيد أن هذا سيحدث ، و لا مجال هنا للمبالغة أو التزيد . و كذلك قوله تعالى ( إن أنتم ضربتم فى الأرض ) (١٢١) و قوله تعالى ( قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى ) (١٢٢) ففى هاتين الآيتين يريد النص القرآنى التنبيه إلى المسند إليه و التأكيد عليه .

أما الآيات القرآنية ( و إن امرأة خافت ) (١٢٣) ، و ( يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ، إن امرؤ هلك ) (١٢٤) ، ( و إن أحد من المشركين استجارك ) (١٢٥) و ( و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ) (١٢٦) فهى تنتمى إلى القسم الأول ، و هو تخصيص حالة معينة يريد النص القرآنى أن يتحدث عنها؛لأن هذه الآيات نصت على أحكام أو أوامر فى حالات خاصة و قد وردت معانى هذه الآيات مع جملة شرطية فعلية كما فى نحو قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ) (١٢٧) و قوله تعالى ( فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان ) (١٢٨) و لكن الملاحظ أن الجملة الشرطية عندما جاءت اسمية فى الآيات السابقة ، كانت فى استئناف كلام و لم يكن هناك تمهيد للحكم أو للمسند إليه فى قوله تعالى ( إن امرؤ هلك ) ، لكن

فى قوله تعالى ( إذا حضر أحدكم الموت ) فالجملة اعتراضية بين المبتدأ(الشهادة ) و الخبر ( اثنان ) [١٢٩] كما أن الحكم فى الآية ( إذا حضر أحدكم الموت )حكم عام و هو ترك الوصية . و هذا هو الملحوظ أيضا فى الفرق بين آيات سور التكوير و الانفطار و الانشقاق من ناحية ، و سورة الرحمن من ناحية أخرى . فهذه السور الأولى تبدأ آياتها الأولى بهذا النمط الشرطى الذى فيه جملة الشرط جملة اسمية؛ لتشد انتباه المستمع إلى الظواهر الكونية حوله التى يعلمها جيداً ، ثم يبنى عليها الجملة الفعلية التى تصف تغير حال هذه الظواهر فى يوم القيامة . و هذا ما جاء فى سورة الرحمن أيضا ، و لكن النمط الشرطي الذى فيه جملة الشرط جملة فعلية جاء فى تتابع الأحداث التى ستتوالى على الإنسان يوم القيامة .

و مما ينتمى للقسم الثانى من النثر الحديث قول توفيق الحكيم : " و إن هى سمعت الكلمة ، فثق أنها نسيت المعنى " [١٣٠] و قوله : " إذا أنا لم أذهب فقد حسرت دراستى ، فالفائدة كل الفائدة من حيث الفن الروائي هى فى حضور واقعة السطو نفسها " [١٣١]

و من النثر المعاصر قول أنيس منصور : " فإذا أنت نبهتهم إلى ذلك تضايفوا " [١٣٢]، و قوله : "و إذا أنا أمسكت لسانى، فهل يفعل الآخرون ...؟" [١٣٣] و قوله : " لو أنت حبيبى لوضعتك فوق " [١٣٤]

و مما ينتمى إلى القسم الأول من النثر المعاصر قول أنيس منصور : " و خاف الناس إن أحد تسلق الشجرة أن يفزع الطفل فيسقط على الأرض " . [١٣٥]

و هذا إن دل على شيء فهو يدل على صدق إحساس عبد القاهر الجرجانى بدلالات تراكيب الجمل فى اللغة العربية ، كما يدل على أن هذا النمط من أنماط الشرط مازال موجوداً في الاستخدام اللغوي ، و إن كان قليلا نسبياً بالنسبة لأنماط الشرط الأخرى .

وأخيرا فهناك سؤال يطرح نفسه ، و هو بما أن هناك أدوات شرط مشتركة بين اللغة العربية و أخواتها من اللغات السامية ، وهى( إن ، ولو ، ولولا ) فهل ورد هذا النمط ، وهو مجيء جملة الشرط جملة اسمية ، مع أدوات الشرط التى رأى النحاة أنها لا يليها إلى جملة فعلية فى لغات سامية أخرى ؟ فيما يلي الإجابة عن هذا السؤال .

## سابعا: مجيء جملة الشرط اسمية بعد ( إن ، ولو ، ولولا ) في اللغات السامية :

يتضح من أنماط الشرط في اللغات السامية أن جملة الشرط قد تكون اسمية مع أدوات الشرط في بعض اللغات السامية . فيذكر برجشتراسر (١٣٦) وبروكلمان (١٣٧) أنه في اللغات السامية غير العربية ، تجوز الجملة الاسمية في الشرط .

مثال ذلك في العبرية مع ( إن ) :

אִם־כֵּנִים אַתֶּם אֲחִיכֶם אֶחָד יֵאָסֵר

ʾim kēnīm ʾatten ʾăḥīḥem ʾēḥāḏ yēʾāser

إن كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم فى بيت حبسكم . (١٣٨)

ومثال ذلك في آرامية العهد القديم مع ( إن ) : (١٣٩)

הֵן אִיתֵיכוֹן עֲתִידִין

hen ʾīṯēḥōn ʿăṯīḏīn

فإن كننم الآن مستعدين . (١٤٠)

وفي السريانية :

ʾen layt kēnē ʾāvdīn ʿawwālē

إن لم يوجد منصفون كذا يهلك الجناة .

وفي المندعية :

hen ʾīṯbaḥ haylā ṯašnē dĕmūṯāk

إن كان فيك قدرة ، كذا غيّر شكلك . (١٤١)

أما مع ( لو ) فمثال ذلك فى العبرية :

לוּ יֶשׁ־חֶרֶב בְּיָדִי כִּי עַתָּה הֲרַגְתִּיךְ׃

lū yeš ḥerev bĕyādī kī ʿattā hăragtīḫ

لو كان فى يدى سيف لكنت الآن قد قتلتك [١٤٢]

و مع ( لولا ) :

לוּלֵי פְּנֵי יְהוֹשָׁפָט מֶלֶךְ־יְהוּדָה אֲנִי נֹשֵׂא

lūlē pĕnē Yĕhōšāfāṭ meleḫ Yĕhūdā ʾănī nōśe

إنه لولا أنى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك و لا أراك .[١٤٣]

و مثال ذلك فى السريانية مع ( لولا ) :

ʾellū lā ʾīṯayhōn beh bĕʿālmā meštĕrē ʿālmā

لولا وجودهم فى العالم ، لتفكك العالم . [١٤٤]

و هكذا فقد جاءت جملة الشرط اسمية إلي جانب الجملة الفعلية مع هذه الأدوات فى اللغات السامية أيضا. مما يؤكد صحة الرأي القائل بأن الاسم المرفوع فى هذا النمط مبتدأ .

## نتائج البحث :

من المعلومات التى وردت فى هذا البحث يتبين ما يلى :

١- أن من أنماط الشرط مجيء جملة الشرط جملة اسمية ، و إن كان هذا النمط قليلا نسبياً فى اللغة العربية إلى جانب أنماط الشرط الأخرى ، و لكن لأن النحاة القدماء قصروا الزمن فى اللغة العربية على الزمن الصرفى الذى يمثله صيغ الفعل و تجاهلوا الزمن النحوى المرتبط بالسياق، و ارتباط أسلوب الشرط بالتعليق و السببية و الحدوث و الانقضاء و التجدد ، و ارتباط الجملة الاسمية عندهم بالثبوت و الجمود ، و كون أغلب أنماط الشرط جاءت مؤلفة من جمل فعلية ، و سيطرة نظرية العامل على تفكيرهم ، و تجاهلهم لاختلاف المعنى باختلاف تركيب الجملة ، كل هذا أدى إلى اشتراطهم كون جملتى الشرط و الجزاء فعليتين ، و إن أجازوا مجيء جملة جواب الشرط اسمية .

٢- أن النحاة القدماء اختلفوا اختلافاً شديداً فيما بينهم إلى حد أن الاختلاف كان بين أصحاب المذهب الواحد ، و أن منهم من اختلف رأيه من أداة إلى أداة ، بل من نمط إلى نمط مع الأداة الواحدة ، كما رأينا موقف سيبويه من جملة الشرط مع الأداة ( لو ) .

٣- أن النحاة القدماء عندما وجدوا شواهد قرآنية و شعرية و نثرية تتعارض مع ما سنوه من قواعد لأسلوب الشرط لجأوا إلى التأويل ، و قد وصل بهم هذا التأويل إلى حد التكلف الذى جعل بعض أنصار المذهب الواحد ينتقد هذا التأويل .

٤- أن مجيء جملة الشرط جملة اسمية تضيف دلالة خاصة للنمط الشرطى كالتخصيص ، أو التنبيه و التأكيد و إزالة الشك .

٥- جملة الشرط الاسمية جاءت فى القرآن الكريم و فى الشعر القديم و النثر القديم ، و مازالت تستخدم فى الشعر و النثر حتى عصرنا الحالى لتضيف لجملة الشرط الخصائص الدلالية التى تتميز بها .

٦- أن مجيء جملة الشرط اسمية مع أدوات الشرط المشتركة بين العربية و اللغات السامية الأخرى إلى جانب الجملة الفعلية ، يؤكد أن هذا النمط موجود فى اللغة العربية و لا داعى إلى اللجوء إلى التأويل .

و بعد فأرجو أن يكون هذا البحث قد وَفَّى هذا الموضوع حقه من الدراسة، و أن يكون خطوة موفقة فى خدمة اللغة العربية و دارسيها . و الله الموفق .

# الإحالات :

١ـ طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية في الشعر الكويتي المعاصر. ( القاهرة – مجلة علوم اللغة ، المجلد الثاني ، العدد الثاني ،١٩٩٩ م، ص٢١٠ ـ ٣٤٦ ) . ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

٢ـ المنجد : مادة ( شرط ) ، و انظر : الوسيط : مادة ( شرط ) .

٣ـ الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. ( القاهرة – دار إحياء الكتب العربية ) جـ ٤ ، ص ١٥ .

٤ـ ابن الشجري : الأمالي الشجرية ( بيروت – لبنان ، دار المعرفة ) حـ ١ ، ص ٢١١ .

٥ـ برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية ( القاهرة – مكتبة الخانجي ، الرياض – دار الرفاعي ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، تصحيح و تعليق: رمضان عبد التواب ) ص ٢٠٠ .

٦ـ المبرد : المقتضب ( القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٦ هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ) حـ ٣ ؛ ص ٧٦ .

٧ـ برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية . ص ٢٠٠ .

٨ـ سيبويه : الكتاب ( القاهرة – الخانجي ، الرياض – دار الرفاعي ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ) حـ ٤ ، ص ٢٣٥ .

٩ـ المالقي : رصف المباني في شرح حروف المعاني ( حلب – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ) ص ٢٩٧ .

١٠ـ سورة الحجر : الآية ٦ ، ٧ .

١١ـ سيبويه : الكتاب ( القاهرة – مكتبة الخانجي ) جـ ٣ ، ص ٦٠ .

١٢- المبرد : المقتضب ( القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٣٩٩ هـ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ) جـ ٢، ص ٥٥ .

١٣- ابن يعيش : شرح المفصل ( القاهرة – مكتبة المتنبى ) جـ ٩ ، ص ٤ .

١٤- الإستراباذى : شرح الكافية ( بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ) حـ ٢ ، ص ٢٥٣ .

١٥- الأنبياء : الآية ٣٤ .

١٦- المرادى : الجنى الدانى فى حروف المعانى ( بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ) ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

١٧- الزخرف : الآية ٨١ .

١٨- يوسف : الآية ٢٦ .

١٩- المائدة : الآية ١١٦ .

٢٠- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ١٠٩ .

٢١- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ١٩٧ – ٢٠١ .
و

Brockelmann , Carl : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen , Verlag von Reuther & Reichard , Berlin 1913 . B .2 & 420 – 425 , S . 636 – 642 .

Gesenius , Wilhelm : Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch , über das Alte Testament , Springer – Verlag , 17 . Auflage , Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962,אִם,S .45.

٢٢- سيبويه : الكتاب حـ ٤ . ص ٢٢٤ .

٢٣- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٧٤ .

٢٤- النساء : الآية ٩ .

٢٥- ابن يعيش : شرح المفصل ، حـ ٩ ، ص ١١ .

٢٦- البقرة : الآية ١٦٧ .

٢٧- الإستراباذى : شرح الكافية ، حـ ٢ ، ص ١٠٩ .

٢٨- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

٢٩- سيبويه : الكتاب. حـ ٤ ، ص ٢٢٢ .

٣٠- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
Brockelmann : Grundriss :·B .2 , & 426 – 429 , S . 642 – 645.
Gesenius , לוּ S .380 , לוּלֵא , S . 382 . و

٣١- برْجشتراسر : التطور النحوى . ص ٢٠٠ .

٣٢- ابن هشام : مغنى اللبيب ( القاهرة – دار إحياء الكتب العربية ) حـ ١ ، ص ٨٤ .

٣٣- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ٦٠ .

٣٤- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٥٤ .

٣٥- محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ( القاهرة – دار الحديث ) القسم الأول ، الجزء الأول ، ص ١٧٤

٣٦- الكهف : الآية ٩٣ .

٣٧- البقرة : الآية ١١ .

٣٨- التوبة : الآية ٨٦ .

٣٩- الصبان : حاشية الصبان . حـ ٤ ، ص ١٤ ، ١٥ .

٤٠- ابن يعيش : شرح المفصل ، حـ ٨ ، ص ١٥٥ .

٤١- المرجع السابق . حـ ٩ ، ص ٢ .

٤٢- الذاريات : الآية ١٣ .

٤٣- غافر : الآية ١٦ .

٤٤- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ١٠٣ .

٤٥- تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها . ( القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ) ص ٢٤٠ – ٢٥٧ .

٤٦- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٤٨ .

٤٧- المرجع السابق . حـ ٢ ، ص ٤٨ .

٤٨- ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ( القاهرة – مكتبة محمد على صبيح ، ط ١٥ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٨ م ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ) جـ ٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

٤٩- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

٥٠- المرجع السابق . حـ ٣ ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

٥١- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٧٣ .

٥٢- سيبويه : الكتاب ( القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ) حـ ١ ، ص ١٣٤ .

٥٣- المرجع السابق : حـ ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

٥٤- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

٥٥- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ٦٣ .

٥٦- المرجع السابق ، حـ٣ ، ص ١١٢ .

٥٧- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٧٢ .

٥٨- سيبويه : الكتاب . حـ ١ ، ص ٢٦٣ .

٥٩- الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف . ( القاهرة ــ دار الفكر ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ) حـ ٢ ، المسألة ٨٥ ، ص ٦١٥ ، ٦١٦ .

٦٠- النساء : الآية ١٧٦ .

٦١- التوبة : الآية ٦ .

٦٢- ابن يعيش : شرح المفصل . حـ ٩ ، ص ١٠ .

٦٣- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

٦٤- المرجع السابق . حـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

٦٥- النصر : الآية ١ .

٦٦- الانشقاق : الآية ١ .

٦٧- المرادى : الجنى الدانى . ص ٣٦٨ .

٦٨- سنيبويه : الكتاب . حـ ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

٦٩- المبرد : المقتضب . حـ ٢ ، ص ٧٦ .

٧٠- البيت للفرزدق ، و المُذَرَّع : الذى أمه أشرف من أبيه .

٧١- المرادى : الجنى الدانى . ص ٣٦٨ .

٧٢- سيبويه : الكتاب . حـ ١ ، ص ٢٦٩ .

٧٣- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ١٢١ ، ١٣٩ .

٧٤- الإسراء الآية ١٠٠ .

٧٥- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٣٩٠ .
و المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨٠ .

٧٦- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨٠ .

٧٧- ابن هشام : مغنى اللبيب ، حـ ١ ، ص ٢١٢ .
و الصبان : حاشية الصبان . حـ ٤ ، ص ٤٠ .

٧٨- ابن هشام : مغنى اللبيب . حـ ١ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .
و الصبان : حاشية الصبان . حـ ٤ ، ص ٣٩ .

٧٩- ابن هشام : مغنى اللبيب . حـ ١ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
و الصبان : حاشية الصبان . حـ ٤ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

٨٠- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٣٩٠ .

٨١- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

٨٢- ابن يعيش : شرح المفصل . حـ ٩ ، ص ٩-١١ .

٨٣- لقمان : الآية ٢٧ .

٨٤- الأحزاب : الآية ٢٠ .

٨٥- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٣٩١ .

٨٦- المرادى : الجنى الدانى . ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

٨٧- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

٨٨- المبرد : المقتضب . حـ ٣ ، ص ٧٦ .

٨٩- المالقى : رصف المبانى فى حروف المعانى . ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٩٠- ابن هشام : مغنى اللبيب ، حـ ١ ، ص ٢١٥ .

٩١- سبأ : الآية ٣١ .

٩٢- المالقى : رصف المبانى . ص ٢٩٤ .

٩٣- سيبويه : الكتاب ، حـ ٣ ، ص ١٢٠ .

٩٤- المرجع السابق . حـ ٣ ، ص ١٢٠ .

٩٥- المالقى : رصف المبانى . ص ٢٩٤ .

٩٦- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٣٩٠ .

٩٧- ابن هشام الأنصاري : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . ( صيدا - بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ) حـ ٤ ، ص ٢٠٧ .

٩٨- عباس حسن : النحو الوافى . ( القاهرة - دار المعارف ، ١٩٦٩ م) حـ ٢ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

٩٩- مجمع اللغة العربية - مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً ١٩٣٤ م - ١٩٨٤ م أخرجها و راجعها : محمد شوقى أمين ، إبراهيم الترزى ، ص ١٥٣ .

١٠٠- الإسترابادى : شرح الكافية . جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

١٠١- تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها . ص ٢٤٠ – ٢٥٧ .

١٠٢- النساء : الآية ١٧٦ .

١٠٣- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ١٩٩ .

١٠٤- صلاح الدين صالح حسنين : الاشتغال و التقديم بين التوليديين و السيوطى ( القاهرة – مجلة علوم اللغة : المجلد السادس ، العدد الثانى ٢٠٠٣ ، ص ١٦٥ – ٢٠٧ ) ، ص ١٧٤ – ١٨٢ ، ٢٠٧ .

١٠٥- محمد حماسة عبد اللطيف : بناء الجملة العربية . ( القاهرة – دار غريب ، ٢٠٠٣ م ) ص ٢١٨ – ٢٢٠ .

١٠٦- طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر . ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

١٠٧- المرجع السابق : ص ٢١٤ .

١٠٨- الانشقاق : الآية ١ .

١٠٩- محمود فهمى حجازى : مدخل إلى علم اللغة ( القاهرة – دار الثقافة ، ط ٢ معدلة ، ١٩٧٨ م ) ص ٦٨ ، ٦٩ .

١١٠- طيبة صالح الشذر : الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر . ص ٢٥٠ .

١١١- صلاح الدين صالح حسنين : الاشتغال و التقديم بين التوليديين و السيوطى، ص ٢٠٧ .

١١٢- عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ( القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الخانجى ، ٢٠٠٠ م ، قراءة و تعليق : محمود محمد شاكر) . ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

١١٣- عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز . ص ١٣١ – ١٤١ .

١١٤- الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف . حـ ٢ ، ص ٦١٩ .

١١٥- الإستراباذى : شرح الكافية . حـ ٢ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

١١٦- ابن يعيش : شرح المفصل . حـ ٩ ، ص ٤ .

١١٧- ابن هشام : مغنى اللبيب . حـ ١ ، ص ٢١٣ .

١١٨- سيبويه : الكتاب . حـ ٣ ، ص ١١٢ .

١١٩- الصبان : حاشية الصبان . حـ ٤ ، ٣٩ .

١٢٠- سورة التكوير : الآيات ، ١-١٤ ، و الانفطار : ١- ٥ ، و الانشقاق : ١-٥ .

١٢١- المائدة : الآية ١٠٦ .

١٢٢- الإسراء : الآية ١٠٠ .

١٢٣- النساء : الآية ١٢٨ .

١٢٤- النساء : الآية ١٧٦ .

١٢٥- التوبة : الآية ٦ .

١٢٦- الحجرات : الآية ٩.

١٢٧- المائدة : الآية ١٠٦.

١٢٨- الرحمن : الآية ٣٧ ، ٣٨ .

١٢٩- العكبرى : التبيان فى إعراب القرآن ( بيروت – لبنان ، دار الجيل ، ط ٢ ،

١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م تحقيق : على محمد البجاوى ) جـ ١ ، ص ٤٦٦ـ، ٤٦٧ .

١٣٠- توفيق الحكيم : حمارى و عداوة المرأة ، فى : حمارى قال لى ( القاهرة – مكتبة مصر . ط ١ ، ١٩٤٥ م ) ص ٩٤ .

١٣١- توفيق الحكيم : حمارى و الجريمة ، فى : حمارى قال لى . ص ١٠٢ .

١٣٢- أنيس منصور : ممنوع عندهم ! ، فى : معنى الكلام ( القاهرة – مكتبة الأسرة ، ١٩٨٨ م ) ص ٨٩ .

١٣٣- أنيس منصور : الكلاب تعوى ! ، فى : معنى الكلام . ص ٢٧٧ .

١٣٤- أنيس منصور : لو أنت حبيبى ! ، فى معنى الكلام . ص ٤٦٣ .

١٣٥- أنيس منصور : تحذير من فوق ، فى : معنى الكلام ، ص ١٣٦ .

١٣٦- برجشتراسر : التطور النحوى . ص ١٩٩ .

١٣٧- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 423 , S.639.

١٣٨- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . التكوين ٤٢ : ١٩ ، و انظر كذلك التكوين ٢٤ : ٤٩ ، و الخروج ٧ : ٢٧ .

١٣٩- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 424 , S.640.

١٤٠- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . دانيال ٣ : ١٥ .

١٤١- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 424 , S.640 .

١٤٢- الكتاب المقدس بالعربية و العبرية . العدد ٢٢ : ٢٩ .

١٤٣- المرجع السابق . الملوك الثانى ٣ : ١٤ .

١٤٤- Brockelmann : Grundriss . B.2 , & 428 , S.644.

# قائمة المصادر و المراجع

## أولا : المصادر و المراجع العربية :


**١ـ الأنبارى ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد :**

- الإنصاف فى مسائل الخلاف ( القاهرة ـ دار الفكر ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد )

**٢ـ أنيس منصور :**

- معنى الكلام ( القاهرة ـ مكتبة الأسرة ، ١٩٨٨ م )

٣ـ برجشتراسر:

- التطور النحوي للغة العربية (القاهرة ـ الخانجى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ( تصحيح وتعليق : رمضان عبد التواب ) .

**٤ـ تمام حسان :**

- اللغة العربية معناها ومبناها ( القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢ ، ١٩٧٩م ) .

**٥ـ توفيق الحكيم**

- حمارى قال لى ( القاهرة ـ مكتبة مصر ، ط ١ ، ١٩٤٥ م )

**٦ـ الجرجانى ، عبد القاهر :**

- دلائل الإعجاز ( القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب،الخانجى، ٢٠٠٠م، قراءة و تعليق : محمود محمد شاكر )

**٧ـ سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر :**

- الكتاب ( القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ) حـ ١ .
- الكتاب ( القاهرة ـ الخانجى ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ) حـ ٣ .
- الكتاب ( القاهرة ـ الخانجى ، الرياض ـ دار الرفاعى ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ) حـ ٤ .

٨- **ابن الشجرى ، أبو السعادات هبة الله بن على الشريف البغدادى :**
- الأمالي الشجرية ( بيروت – لبنان ، دار المعرفة )

٩- **الصبان ، أبو العرفان محمد بن على :**
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ( القاهرة – دار إحياء الكتب العربية )

١٠- **صلاح الدين صالح حسنين :**
- الاشتغال و التقديم بين التولبديين و السيوطى ( القاهرة – مجلة علوم اللغة ، المجلد ٦ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٣ م )

١١- **طيبة صالح الشذر :**
- الأنماط الشرطية فى الشعر الكويتى المعاصر ( القاهرة – مجلة علوم اللغة – المجلد ٢ ، العدد ٢ ، ١٩٩٩ م )

١٢- **عباس حسن :**
- النحو الوافى ( القاهرة – دار المعارف ، ١٩٦٩ م )

١٣- **ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله :**
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ( القاهرة – مكتبة محمد على صبيح ، ط ١٥ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٨ م ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ) .

١٤- **العكبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين :**
- التبيان فى إعراب القرآن ( بيروت – لبنان ، دار الجيل ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ ، تحقيق : على محمد البجاوى )

١٥- **الكتاب المقدس :** ( دار الكتاب المقدس فى العالم العربى ) .

١٦- **المالقى ، أحمد بن عبد النور :**
- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ( حلب – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٤ هـ ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ) .

١٧- **المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :**
- المقتضب ( القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٦ هـ ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ) حـ ٣ .

- المقتضب ( القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ) حـ ٢ .

١٨- **مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى :**
- مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً ١٩٣٤ – ١٩٨٤ ، أخرجها و راجعها : محمد شوقى أمين ، إبراهيم الترزى )

١٩- **محمد حماسة عبد اللطيف :**
- بناء الجملة العربية ( القاهرة – دار غريب ، ٢٠٠٣ م )

٢٠- **محمد عبد الخالق عضيمة :**
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ( القاهرة – دار الحديث )

٢١- **محمود فهمى حجازى :**
- مدخل إلى علم اللغة ( القاهرة – دار الثقافة ، ط ٢ معدلة ، ١٩٧٨ م )

٢٢- المرادى ، الحسن بن قاسم :
- الجنى الدانى فى حروف المعانى ( بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل )

٢٣- **المنجد فى اللغة و الأعلام** . ( بيروت – دار المشرق ، ط ٣٤ )

٢٤- **ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين :**
- مغنى اللبيب ( القاهرة – دار إحياء الكتب العربية )
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ( صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد )

٢٥- **المعجم الوسيط** : ( القاهرة – مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار )

٢٦- **ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن على :**
- شرح المفصل ( القاهرة – مكتبة المتنبى ) .

### ثانيا : المصادر و المراجع الأجنبية :


**1- Brockelmann , Carl :**
Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen , Verlag von Reuther & Reichard , Berlin 1913

**2- Gesenius , Wilhelm :**
Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testament , Springer – Verlag , 17 . Auflage , Berlin / Göttingen / Heidelberg 1962 .

**3- Hebrew old Testament .**
London : The British And Foreign Bible Society , Norman Henry Snaith , 1983

# الأمر عند النحاة

# الأمر في الفصحى، دراسة لغوية

د. على محمد هنداوى

أستاذ مساعد بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس .

## ١ـ بين اللغة والاصطلاح:

فى لسان العرب: الأمر معروف، نقيض النهى، وأمره به وأمره ..، العرب تقول: أمرتك أن تفعل ولتفعل وبأن تفعل، وأمِر بكسر الميم أى كثر.. وتآمروا على الأمر وائتمروا: تماروا وأجمعوا آراءهم، وائتمر الرجل رأيه أى ارتأى وشاور نفسه قبل أن يواقع ما يريد. وفى الحديث: آمروا النساء فى تزويجهن أى شاوروهن فى تزويجهن(١).

ويذكر ابن القوطية أن فعَل بفتح العين، والمزيد بالهمزة منه بمعنى واحد فى الفعل أمر ـ آمر والمعنى: كثر، بالتضعيف، وأن فعَل بالفتح وفعِل بالكسر مختلفان أولهما معناه فرض، وأيضاً أباح الشىء وبه، وعلى القوم إمارة أى ولاية، أما أمِرَ بالكسر أمارة فمعناه كثر (٢).

ويذكر أبو هلال العسكرى الأمر فى سياق حديثه عن الفرق بين الدعاء والمسألة ذلك «أن المسألة يقارنها الخضوع والاستكانة، ولهذا قالوا: المسألة ممن دونك والأمر ممن فوقك والطلب ممن يساويك، فأما قوله تعالى (ولا يسألكم أموالكم) محمد٣٦/٤٧ فهو يجرى مجرى الرفق فى الكلام واستعطاف السامع به، ومثله قوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضاً حسنا) التغابن ١٧/٦٤ فأما قول الحصين بن المنذر ليزيد بن المهلب والحصين بن حيدة:

أمَرْتُكَ آمراً جازما فعصيْتَنِى وكان مِن التَّوفيق قَتْلُ ابْن هاشمِ

فهو على وجه الازدراء بالمخاطب والتخطئة له ليقبل لرأيه الإدلال عليه أو غير ذلك مما يجرى مجراه، والأمر فى هذا الموضع هو المشورة، وسميت المشورة أمراً لأنها على صيغة الأمر، ومعلوم أن التابع لا يأمر المتبوع ثم يعنفه على مخالفته أمره، لا يجوز ذلك فى باب الدين والدنيا، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال إن المسكين أمر الأمير بإحكامه، وإن كان المسكين أفضل من الأمير فى الدين...» (٣).

ويؤكد الحاجة إلى استصحاب السياق فى تحديد مدلول الفعل آمر ما دار حول قوله تعالى. (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرْنا مترفيها ففسقوا فيها..) الإسراء ١٦/١٧، وقد حدث الكسائى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس أنه قرأها امَّرنا وقال سلَّطْنا (تفسير الطبرى ٤٢٨٥)، وقال الكسائى: لا يقال عن الكثرة إلا آمرنا، قال وأصلها أأمرنا فخفف، (القرطبى ٣٨٤٩/٥)، ومعنى آمرنا أكثرنا جبابرتها وأمراءها (القرطبى ٣٩٤٩/٥) وفيه: أنكر الكسائى ما روى عن الحسن ويحيى بن يعمر آمِرنا بالقصر وكسر الميد، علر فعِلنا وفى السبعة لابن مجاهد (٣٧٩): لم

وابن كثير *آمَرْنا* وعن أبي عمرو *أمَّرْنا* .(٤)

وقد أوردت بعض كتب اللغة خصوصية للفعلين (أمر) و(أراد) في تعلق اللام والباء بهما ، وينسب إلى الكسائي والفراء القول بأن لام كي تقع في موضع (أن)في أردت وأمرت ، كما في قوله تعالى (وأمرنا لنسلم لرب العالمين )الأنعام ٧١/٦ ، وقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) الحجر ٩٤/٣١،قال الكسائي : التقدير بما تؤمر به ، مثل ( ألا إنْ عادا كفروا ربهم )هود ٦٠/٢٧ ، أي بربهم ثم حذفت الباء (٥) ، والأمر نقيض النهي ، والأمير ذو الأمر ، والأمير الآمر ، .. والأمر واحد الأمور .. والأمر الحادثة ..، وقوله عز وجل ( وأوحى في كل سماء أمرها ) فصلت ٤١ /١٢ ، قيل: ما يصلحها ، وقيل : ملائكتها ..، والآمرة الأمر ، وهو أحد المصادر التي جاءت على فاعلة كالعافية والعاقبة والجازية والخاتمة .(٦)

كذلك استُعمل اللفظ بمعنى الكثرة ، فيقولون : *مُهْرَةٌ مأمورة* ، أي نَتُوج ولُود ، وقال لبيد :

إن يَغْبطوا يَهْبطوا وإنْ أمِروا      يَوْمًا فهُمْ لِلْفَناء والنَّقَدِ

*أمِروا* بكسر الميم : كثُروا ، وهو لازم ، والمتعدّي بفتح الميم أي أكثر ؛ يقول الأعشى :

طَرِفون وَلاذُونَ كلَّ مبارَك      أمِرون لا يَرِثُون سَهْمَ القُعْدُدِ

وقيل إن قولهم *مأمورة* على الإتباع ،لأن عبارتهم :*سِكّة مأبُورة ومُهْرَةٌ مأمورة* ، والأصل مُؤْمَرة مِنْ *آمَرَها* ، وقيل إنهما لغتان (٧)

وتآمروا على الأمر ، وائتمروا: تماروْا وأجْمَعُوا آراءهم ، وفي التنزيل ( إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ) القصص ٢٠/٢٨ قال أبو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك ، واحتج بقول النَّمِر بن تَوْلِب :

أحَارِ بنَ عمرو فؤادي خَمِرْ      ويَعْدُو على المَرْءِ ما يَأتَمِرْ

وقيل إن معناه ما يهم به من الشر ،وقوله تعالى ( إن الملأ يأتمرون بك )أي يَهُمُّون ، وقوله (وأتَمِرُوا بَيْنَكم بِمَعْرُوف ) الطلاق ٦/٦٥ أي هُمُّوا به واعتزموا عليه . وقالوا في قول الشاعر :

اعلَمَنْ أنْ كلُّ مؤتمِر      مخطئٌ في الأمر أحيانا

أي من ركب أمرا بغير مشورة ..، وقيل إن معنى *يأتمرون* : يأمر بعضهم بعضا أي تآمروا ، على مثال اقتتل القوم وتقاتلوا واختصموا وتخاصموا ويقال : ائتمرت فلانا في ذلك الأمر ، وائتمر القوم إذا تشاوروا، وقال الأعشى :

فعادا لهن وزادا لهـــــــنّ واشتركا عملا وائتمارا

وفي الحديث : أميري من الملائكة جبريل ، أي صاحب أمري ووَلِيِّي ؛ وكل من فزعت إلى مشاورته ومؤامرته ن فهو أميرك ومنه حديث عمر : الرجال ثلاثة : رجلٌ إذا نَزَل به أمْرٌ ائتَمَر رأيه ، أي شاور نفسه وارتأى فيه قبل مواقعة الأمر ، وقيل : المُؤتَمِر الذي يَهُمُّ بأمر يفعَله .

وفي الحديث :آمِرُوا النساء في أنفسهن ، أي شاوروهن في تزويجهن .. ومنه حديث عمر : آمروا النساء في بناتهن ، وفي حديث آخر : البكر تستأذن والثيب

نُستأمَر ،لأن الإذن يُعرَف بالسكوت ، والأمر لا يُعرَف إلا بالنطق. ويُقال رجل إمَّر وإمَّارة : يَستأمِر كل أحد في أمره والأمير : الملك لنفاذ أمره ، بيِّن الإمارة والأمارة. والمرة من الأمر أمْرَة بفتح الهمزة ، أما بكسرها فهي الولاية. وأولو الأمر : الرؤساء وأهل العلم ، ويقال فلان أمِّر وأمِّرَ عليه ، إذا كان واليا وقد كان سُوقة، أي أنه مجرِّب .(٨)

٢ـ الأمر بين أقسام الفعل

اتفق علماء البصرة والكوفة في تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أنواع : اسم وفعل وأداة ، وكذلك في تقسيم الاسم إلى أقسامه المعروفة المختلفة ، من حيث تذكيره وتأنيثه ، ومن حيث تعريفه وتنكيره ، ومن حيث بناؤه وإعرابه ،ومن حيث إفراده وتثنيته وجمعه ، ولم يختلف علماء المدرستين فيما يتعلق بالاسم إلا في مسائل جزئية (٩)

غير أن المدرستين تختلفان في أقسام الفعل ؛ يقول السيوطي : "الفعل ثلاثة أقسام خلافا للكوفيين في قولهم : قسمان ، وجعلهم الأمر مقتطعا من المضارع .." (١٠)، غير أن الدكتور مهدي المخزومي يذكر أن الأفعال ثلاثة أقسام عند الكوفيين كما هي عند البصريين ، لكنهم يختلفون في القسم الثالث ، فهو عند البصريين الأمر ، وهو عند الكوفيين الفعل الدائم (١١) ، بل إن الكوفيين يضمون إلى الأفعال ما يسميه البصريون أسماء الأفعال ، وقد لاحظ الكوفيون أنها تعمل عمل الأفعال ، فلم يجعلوها لذلك قسما قائما لذاته وأدخلوها في طائفة الأفعال ، بل عدوها أفعالا حقيقية ، ولم يمنعهم دخول التنوين عليها، وهو من علامات الأسماء عند الفريقين ، من تسميتها أفعالا (١٢) .

أما فعل الأمر ، فبالرغم من أنه عند البصريين مأخوذ من الفعل المضارع ، بعد حذف أحرف المضارعة فإنهم يعدونه قسما قائما بذاته ، ولكنه عند الكوفيين مقتطع ـ كما قلنا ـ من الفعل المضارع ، وعلى هذا فزمانه وحكمه عند الكوفيين هو زمان المضارع وحكمه ، ولكنه يختلف عن المضارع بأنه مجزوم فقط ، لأنه مقتطع من المضارع المجزوم بلام الأمر (١٣)

ويؤكد تعريف النحاة فعلَ الأمر ، صلة صيغته بصيغة المضارع ، فهو الذي على طريقته للفاعل المخاطب ، " لا يخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة فتقول في *تضع : ضَعْ* ، وفي *تُضارب : ضارب* ، وفي *تُدَحرج : دَحْرِجْ* مما أوله متحرك ، فإن سكن زدت لئلا تبتدئ بالساكن همزة وصل فتقول في *تضربُ : اضْرِبْ* وفي *تنطلق وتستخرج : انطلقْ واستخرجْ* .." *(١٤)*

وهذه الهمزة تكون مكسورة لالتقاء الساكنين إلا أن يكون الثالث منه مضموما " فإنه يُضَمُّ إتباعا لضمته وكراهية الخروج من كسر إلى ضم والحاجز بينهما ساكن غير حصين فهو كلا حاجز ، والكوفيون يذهبون إلى أن همزة الوصل في الأمر تابعة لثالث المستقبل إن كان مضموما ضممتها وإن كان مكسورا كسرتها ولا يفعلون ذلك في المفتوحة لئلا يلتبس الأمر بإخبار المتكلم عن نفسه نحو *إعْلَمْ وأعْلَمُ* (١٥)

كذلك يرتبط الأمر بالمضارع ـ الذين يسمُّونه المستقبل أيضا ـ من حيث الدلالة الزمنية ، لأنه " لما كان زمن الأمر المستقبل أخِذ من اللفظ الذي يدل عليه وهو المضارع " (١٦)

والأصل عند النحاة دخول لام الأمر على المضارع وبقاء حرف المضارعة عند . أمر الحاضر ، أما حذفه فقيل " لكثرته في كلامهم فآثروا تخفيفه ، لأن الغرض من حرف المضارعة الدلالة على الخطاب ، وحضور المأمور وحاضر الحال يدلان على أن المأمور هو المخاطب ، ولأنه ربما التبس الأمر بالخبر لو تُرك حرف الخطاب على حاله ... " ، ولأن اللام موضوعة لمعنى الأمر ، كلا الناهية ولام النافية ..." (١٧)

ويؤدي حذف حرف المضارعة من أمر المخاطب إلى التحول به من حالة الإعراب التي لازمته مع حرف المضارعة إلى حالة البناء " .. والفعل بزوال حرف المضارعة منه خرج عن أن يكون معربا فلم يدخل عليه العامل .. " (١٨)

كما يؤدي تغيير بنية الفعل عند بنائه للمجهول إلى لزوم اللام مع المخاطب ، "..فهذا القبيل لابد فيه من اللام وإن كان مخاطبا حاضرا لأن هذا الفعل قد لحقه التغيير بحذف فاعله وتغيير بنيته ، فلم تحذف منه اللام أيضا وحرف المضارعة ، لئلا يكون إجحافا به ، وإذا لم يَجُز الحذف مع المخاطب ، فأنْ لا يجوزَ مع الغائب أولى .."(١٩)

وقد علل بعض النحاة لدخول اللام التي للأمر على المبني للمجهول للمتكلم والمخاطب ، بأن الأمر لغيرهما ، وهو الفاعل الغائب ، فتقدير *لِتُعْنَ بحاجتي* فلتَعْنِك حاجتي (٢٠) ؛ وهذا التعليل إن ساغ في بعض الأفعال فإنه لا يسوغ في غيرها ، وبخاصة في الأفعال اللازمة ، إذ كيف نقدر تركيبا كالسابق في مثل :*لتُزَهَ علينا* ؟ أتقول إن التقدير : لتَزْهُ نفسُك علينا ؟ لا يخلو الأمر ، كما نرى ، من تكلف .

وأدى اشتراط النحاة دخول اللام عند أمر الغائب إلى تقديرها محذوفة في مواضع من أبيات ورد فيها المضارع مجزوما ، مثل :

فتُضحي سريعا لا تَقُوم لحاجة    ولا تَسمَعُ الداعي *ويَسْمَعْكَ* من دعا

حيث جزم الفعل على تقدير لام الأمر ؛ وينص سيبويه على جواز حذفها في الشعر وإعمالها مضمرة ، كأنهم شبهوها بأن إذا أعملوها مضمرة ، ويورد قول الشاعر :

محمدُ تَفْدِ نفسك كلُّ نفس    إذا ما خفت من شيء تبالا (٢١)

وقول متمم بن نويرة (٢٢):

على مثل أصحاب البعوضة فاخمشي    لك الويل حر الوجه أو *يَبْكِ* من بكى

وقول أُحَيْحَةُ بْنُ الجُلاح (٢٣):

فمن نال الغنى فليصطَنِعْهُ    صَنِيعَتَهُ *ويَجْهَدْ* كلَّ جَهْدِ

أي : لِتَفْدِ ، ولِيَبْكِ ، ولِيَجْهَدْ .

ويشير سيبويه إلى أن الأصل إظهار عامل الجزم في الأفعال ، لأن الجزم فيها نظير الجر في الأسماء ، " .. فمِنْ ثَمَّ لم يضمروا الجار ، وقد أضمره الشاعر ، شبَّهه بإضمارهم رُبَّ وواو القسم في كلام بعضهم "(٢٤) ؛ اللام لازمة إذًا ـ عند النحاة ـ في أمر غير الفاعل المخاطب ، أي في الغائب والمتكلم والمفعول نحو : لِيَقُمْ زيد ، و(ولْنَحْمِلْ خطاياكم ..) العنكبوت ١٢/٢٩ ، و(قوموا فلأُصَلِّ لكم ) و "*لِتُعْنَ بحاجتي*" ؛ وهي قليلة في أمر فاعل مخاطب ؛ ومن ذلك قراءة ( فبذلك فليَفرحوا ..) يونس ٥٨/١٠ ، وقد " كان الكسائي يعيب قولهم ( فلتَفرحوا ) لأنه وحده قليلا فجعله عيبا

..وهي في قراءة أُبَيّ ( فبذلك فافرَحوا ) وهو البناء الذي خُلِقَ للأمر إذا واجهت به أو لم تَواجه ..." (٢٥)
ومن هذا القليل أيضا حديث ( لِتأخذوا مَصَافَّكم ) أي : خذوا مصافكم ، يقول ابن يعيش : وإنما أدخل اللام مراعاة للأصل (٢٦). وقد فصَّل بعضهم المسألة، كقول الرضي: إن كان المأمور جماعة بعضهم غائب ، فالقياس تغليب الحاضر ، فيؤتَى بالصيغة ( أي بفعل الأمر ) ويقل الإتيان باللام (٢٧)
وفي حذف اللام أقوال :

- الجواز مطلقا حتى في الاختيار بعد قول أمر ، وهو رأي الكسائي ، كقوله تعالى : ( قُلْ لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ..) إبراهيم ٣١/١٤ ، أي ليقيموا .
- المنع مطلقا حتى في الشعر ، وهو رأي المبرد .
- الجواز في الشعر فقط ، كالشواهد المذكورة ، ولا يجوز في الاختيار سواء تقدم أمر بالقول ، أو قول غير أمر ، أم لم يتقدمه ، والجزم في الآية لأنه جواب الأمر ، أو جواب شرط محذوف .
- الجواز في الاختيار بعد قول ولو كان غير أمر ، نحو : قلت لزيد يضربْ عمرا ، أي ليضربْ ، ولا يجوز في غيره إلا ضرورة ،واختاره ابن مالك ، وجعله أقل من حذفها بعد قول أمر ، واستدل بقوله :

قلتُ لبوّابٍ لَدَيْهِ دارُها     تِيذَنْ فإنّي حَمْؤها وجارُها

قال : وليس بضرورة لتمكنه من أن يقول : إيذَنْ فإني ، أو :إيذَنّ إني . ولا تفصل اللام عما عملت فيه لا بمعموله ولا بغيره ن قال أبو حيان : وهي أشد اتصالا من حروف الجر ، لأنه قد رُوِيَ فيه الفصل ، ولم يَجُزْ ذلك فيها ، لأن عامل الجزم أضعف من عامل الجر .(٢٨)

٣ - الدلالة الزمنية:

مَيَّز بعض اللغويين قديما بين الاستعمالين الحقيقي والمجازي عند تحديد " الآن " الذي يطلق على الزمن الحاضر ، ويسمى حَدَّ الزمانَيْن " لأنه يفصل بين الماضي والمستقبل .. فالآن الذي يقال على الحقيقة لا يمكن أن يقع فيه فعل ولا حركة على التمام لأنه ينقضي أولا فأولا ، وليس بثابت ، إنما هو شبيه بالماء السَّيّال الذي يذهب جزءا بعد جزء ، فإن الزمان الذي يُنْطق فيه بالجيم من جعفر لا يلبث حتى يجيء الزمان الذي يُنْطق فيه بالعين ، والزمان الذي ينطق فيه بالعين لا يلبث حتى يجيء الزمان الذي ينطق فيه بالفاء ، بل يذهب كل زمان ويَعْقُبه الآخر فلا يَرِد الثاني إلا وقد صار الأول ماضيا ، ولهذا جعلوه كالنقطة التي لا بُعْدَ لها ، وأنكر قوم وجوده وقالوا إنما الموجود الماضي والمستقبل ، وأما الزمان [ الحاضر ] (٢٩) فلا وجود له ، وهذا غلط أو مغالطة لأن قِصَر مُدَّته لا يخرجه عن أن يكون موجودا ، بل هو الموجود على الحقيقة ، ولو لم يوجد زمان حاضر لما كان شيء موجودا ، لأن وجود الأشياء مرتبط بوجود الزمان ،.. وأما الآن الذي يستعمل على المجاز فهو الذي يستعمله الجمهور وهو المستعمل في صناعة النحو ، فإنهم يجعلون كل ما قرب من

الآن الذي هو كالنقطة من الماضي والمستقبل آنا ، فلذلك يقولون : هو خارجٌ الآن وأنا أقوم الآن ، لأن الآن الذي بهذه الصفة هو الذي يمكن أن تقع فيه الأفعال والحركات على الكمال .." (٣٠)

وقد ذهب غير هؤلاء إلى القول بأن " الفعل على الحقيقة ضربان : ماض ومستقبل ، فالمستقبل ما لم يقعْ بعد ، ولا أتى عليه زمان ، ولا خرج من العدم إلى الوجود ، والفعل الماضي ما تَقَضَّي ،وأتى عليه زمانان لا أقل من ذلك ، زمان وُجِدَ فيه ، وزمان خُبِّر فيه عنه ، فأما فعل الحال فهو المتكوِّن في حال خطاب المتكلم ، لم يخرج إلى حيِّز المُضيِّ والانقطاع ، ولا هو في حيز المنتظر الذي لم يأت وقته ، فهو المتكون في الوقت الماضي وأول الوقت المستقبل ، ففعل الحال في الحقيقة مستقبل ، لأنه يكون أولا ، فكل جزء خرج منه إلى الوجود صار في حيز المُضِيّ . فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل نحو قولك : زيد يقوم الآن ، ويقوم غدا ، وعبد الله يركب الآن ويركب غدا ، فإن أردت أن تُخلِّصَه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف فقلت : سيقوم زيد ،وسوف يركب عبد الله ، فيصير مستقبلا لا غَيْر . "(٣١)

وقد سبق أن ذكرنا أن الكوفيين " قسموا الأفعال ثلاثة أقسام : ماض ، ومستقبل وهو ما في أوله الزوائد الأربع نحو يقوم وأقوم وتقوم ونقوم ، والثالث الفعل الدائم وهو قائم وذاهب وضارب وأشباهه ، وهو الحال ، وكان فيما سموه من ذلك فعلا دائما غلطٌ من وجوه : منها أن *ضارب وقائم* ونحوها أسماء في الرفع والنصب والخفض ، ومنها التنوين والألف واللام والإضافة ، فكيف يجوز أن يُسمُّوا قائما أو ضاربا فعلا وفيها علامات الأسماء كلها ؟ ومنها أنهم سَمَّوْه دائما وهذه التسمية تبطل معناها لأن الذي سَمَّوه دائما ليس بفعل ماض ولا مستقبل فهو فعل في الوقت الحاضر لا يبقى لأنه بمعنى الآن وهو حَدٌّ قياس الماضي والمستقبل ، ومعنى الدائم أنه يدوم ويبقى ، وإن قال قائل : *ضارب* تعمل عمل *يضرب* فسميناه بالفعل لأنه يعمل عمله ، قيل له : لو كان الشيء إذا عمل عمل شيء سميناه باسمه لوجب أن نسمِّي أنَّ وأخواتها أفعالا لأنها تنصب كما تنصب الأفعال ، ونسمي المصدر فعلا لأنه ينصب كما ينصب الفعل ، ونسمي الأسماء التي تخفض ما بعدها حروفا لأن أصل الخفض لحروف الخفض والأسماء التي تخفض بتأويل الحروف .. فإن قال قائل : سمينا ضاربا فعلا لأنه لا فرق بين قولنا : زيد ضاربٌ عمرا وقولنا : زيد يضرب عمرا قيل له : لو جاز أن نحمل *ضاربا* على *يضرب* فنسويه فعلا لاستوائهما في المعنى جاز أن نحمل *يضرب* على *ضارب* ، فنسمِّي *يضرب* اسما لاستوائهما في المعنى وهذا قلب للأشياء عن حقائقها " (٣٢)

والحق فيما يتعلق بأمر اللغة وحدود فصائلها وأقسام كلامها ، لا ينبغي أن يؤخذ بهذا النظر الجزئي الذي يتصف بالتعميم ويقنع بالأدلة المنطقية ، ويتجاهل واقع اللغة المستعملة التي تنبض بالحياة وتتداخل حدود أقسامها أحيانا خدمة للمعنى ، فتفلت عما يراد لها أن تقبع في أسره من الحدود . ولهذا فإننا نرى وصف الكوفيين اسم الفاعل بالفعل الدائم إنما هو عبارة عن فهم هو إلى مراعاة الوظيفة أدنى منه إلى الاستجابة لمقتضيات الشكل

وقد تساءل النحاة واختلفوا حول أي الأفعال أسبق في التقدم ، ورأى بعضهم أن أسبقها الفعل المستقبل ،" لأن الشيء لم يكن ثم كان ، و العدم سابق للوجود ، فهو في التقدم منتظَر ، ثم يصير في الحال ، ثم ماضيا فيُخبَر عنه بالمُضِيّ ، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ، ثم فعل الحال ، ثم الماضي " (٣٣)

ويقول السيرافي " إن في ذلك قولين : أحدهما أن المستقبل أول الأفعال ثم الحال ثم الماضي ، وهذا شيء كان يذهب إليه الزجاج وغيره ، والحجة فيه أن الأفعال المستقبلية تقع بها العِدَات ثم توجَد بعد تقدُّم الميعاد وانتظار الموعود فيكون حالا ثم يأتي عليه غير زمان وجوده فيكون ماضيا . والقول الثاني أن الحال هو أول الأفعال ويكون الأقرب إليه في الترتيب المستقبل وتاليه الماضي .."(٣٤)

غير أن الربط بين صيغة الفعل ، وما يدخله من علامات شكلية من ناحية ودلالته على الزمن من ناحية أخرى ، وجد من الباحثين المعاصرين من لا يراه صحيحا ، ..

" فليس كل مضارع الصيغة يدل على الحاضر والمستقبل ، وليس كل ماضي الصيغة يدل على الزمن الماضي فهذا الربط أمر لا يقره منطق اللغة ولا تبرره أساليب التعبير بها " (٣٥) ، وهو يؤكد أيضا أن الكلمات المُسَمّاة أسماء الأفعال ، التي هي موضع خلاف ، " ينبغي أن يراقب استعمالها في الكلام وتدرك معانيها الوظيفية ، ونلاحظ أشكالها ، فما طابق الفعل منها في ذلك فهو فعل ، و إلا فلا بد من إخراجه من طائفة الأفعال .. (٣٦)"

و يدل الأمر- باعتباره فعلا- على الحدث و الزمان ؛ يقول أبو حيان في " تذكرته" إن في دلالة الفعل ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه يدل على الحدث بلفظه ، وعلى الزمان بصيغته ، أي كونه على شكل مخصوص ، ولذلك تختلف الدلالة على الزمان باختلاف الصيغ ، ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها .

والثاني : أنه يدل على الحدث بالصيغة ، واختلافها من كونه واقعا أو غير واقع ، وينجر مع ذلك الزمان ، فيدل عليه الفعل باللزوم دلالة السقف على الحائط .

والثالث : عكسه ، أي أنه يدل على الزمان بذاته ، لأن صيغته تدل على الزمان الماضي والمستقبل بالذات ( أي الماضي في نحو :ضربَ ، والمستقبل أي في المضارع والأمر في نحو *يضربُ واضربْ* ، وبالذات أي لأن دلالته متبادرة من اللفظ ، وتبادر المعنى من اللفظ علامة الحقيقة ، كما هو مقرر في سائر الفنون .. ثم المشهور الذي عليه الجمهور أنه يدل على الحدث بمادته وعلى الزمان بهيئته ، لا دلالة له بحسب الوضع على أمر آخر سواهما أصلا ، لذلك أُخِذا في حَدّه ، كما في كلام النحاة .. (٣٧)

والأمر ، من حيث الدلالة الزمنية، مستقبل أبدا ، لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل ، نحو ( يأيها النبي اتّق الله ) الأحزاب ١/٣٣ ؛ قال ابن هشام : إلا أن يراد به الخبر ، نحو : إرْمِ ولا حَرَجَ ، فإنه بمعنى *رَمَيْتَ* والحالة هذه ، وإلا لكان أمرا له بتجديد الرمي ، وليس كذلك (٣٨)

وقد عرَّف بعض النحاة الأمر بأنه ما دل على حدث في المستقبل (٣٩) ، وإن كان بعضهم خصص زمنه بالحال ، وهو ما أنكره الدكتور إبراهيم أنيس وقال إننا نلمح

فيه غالبا المستقبل القريب أو البعيد (٤٠) ، على حين يرى الدكتور محمد عبد الله جبر أن الأمر " إنما يدل بصيغته على الطلب وحسب ، وقد تحدده كلمات دالة على الزمن مثل الآن ، الساعة ، اليوم ، غدا .. الخ ، فإذا لم يقترن به شيء كان مفهومه لغير الزمن الماضي بلا تحديد " (٤١)

**٤ - بين الإعراب والبناء :**

الأصل في الفعل عند النحاة أنه مبني ، وما أعرب منه ، وهو المضارع ، إنما بُنِيَ لمشابهته الاسم " .. وبَنَوْه في بعض الأحوال ليُدَلَّ على أن الأصل البناء ، كما صححوا القَوَد والحَوَكة (٤٢) تنبيها على أن أصل نحو باب ودار : بَوَب ودَوَر ، وعلى هذا يجري كثير من كلامهم " (٤٣)

والقول ببناء الأمر هو مذهب البصريين ، وبناؤه على ما يُجزَم به مضارعه لو كان يُجْزَم ، من سكون في صحيح الآخر ملفوظ كـ*اضربْ* أو مقدر كـ*رُدّ واضربِ الرجل* أو حذف نون في الأفعال الخمسة أو حرف علة في المعتل ، ومنه *هاتِ وتعالَ* إذ لو كان لهما مضارع لجُزم بذلك ، ولا يرد أمر الواحد المؤكد وأمر الإناث حيث يبنيان كمضارعهما على الفتح والسكون لأجل النونين ، صحيحين كانا أو معتلين لا على ما يجزم به المضارع لإمكان أن يقدر بناؤهما على سكون أو حذف منعه تلك النون ، ويقال للمضارع معهما مبني لا معرب لأنه يثبت له محل الجزم والنصب كما قال غير واحد ، أو يقال لو كان معربا ، ولو قيل باستثناء هذين من حكم الأمر لقيام المانع بهما لم يَبْعُدْ .. (٤٤)

أما عند الكوفيين ، فإن الأمر معرب ، أي مجزوم بلام الأمر المقدرة ، لأنه عندهم قطعة من المضارع المجزوم بها ، فحذفت اللام تخفيفا ثم حرف المضارعة خوف الالتباس بغير المجزوم عند الوقف ، ثم يؤتى بهمزة الوصل عند الاحتياج إليها(٤٥)

ومن التوسع في إطلاق المصطلح قديما أن الجزم كان يطلق مقصودا به ما يعرض للمضارع من تسكين آخره إذا كان صحيح الآخر ، أو حذف آخره إذا كان معتل الآخر ، أو حذف النون إذا كان من الأفعال الخمسة ، كما كان الجزم يطلق على السكون في آخر فعل الأمر ، أو السكون مطلقا ولو كان في وسط الكلمة .(٤٦)

ويمكن إجمال حجج الكوفيين في القول بإعراب فعل الأمر ، فيما يلي ( ملخصا عن الإنصاف في مسائل الخلاف - المسألة ٧٢ ، ص ٣٠٣ وما بعدها ):

أولا : أن الأصل في الأمر للمواجه هو كما للغائب ، بالمضارع الطلبي أي المسبوق باللام ، وعليه القراءة ( فبذلك فلتفرحوا هو خير مما يجمعون ) يونس ١٠ /٥٨ ، وقوله ( صلعم ) : لتأخذوا مصافكم ) أي خذوا ، وقول الشاعر :

لِتَقُمْ أنت يا ابْنَ خيرِ قريشٍ　　　فتُقضّي حوائج المُسْلِمِينا

ولما كثر استعماله وجرى على الألسنة أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه ، فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف .

ثانيا :حمل الأمر على ضده وهو النهي ، فكما أن فعل النهي معرب مجزوم فكذلك فعل الأمر .

ثالثا : حذف حرف العلة من آخر المضارع المعتل المجزوم بعامل ، فدل على أن الأمر مجزوم بعامل مقدر هو اللام ، ويضيف الكوفيون أنه ورد عن العرب إعمال حرف الجزم مع الحذف ،(٤٧) في مثل :

محمدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ      إذا ما خِفْتَ مِن أمرٍ تَبَالا

ويقيس الكوفيون القول ببناء اسم فعل الأمر ، على قولهم بإعراب فعل الأمر ، فعندهم أن بناء اسم الفعل إنما هو لتضمنه معنى لام الأمر ، مثلما يجزم الأمر بلام محذوفة تخفيفا .

أما البصريون فقالوا إن فعل الأمر مبني على الأصل في بناء الأفعال وهو السكون ، أما الماضي فإن بناءه على الفتح لمشابهةٍ ما بالأسماء ، كوقوعه مواقعها ، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء ، فكان باقيا على أصله في البناء .

ولا يسلم البصريون بقول الكوفيين إن الأمر مُقتَطع من المضارع ، ولا بما يبنيه الكوفيون على ذلك من أن فعل الأمر وما يُحمل عليه وما ينوب منَابه معمول للام الأمر المحذوفة ، أو أن صيغة فعل الأمر معدولة عن صيغة المضارع المجزوم التي للأمر ، وهم يؤكدون على المفارقة بين الصيغتين ، وكذلك على المفارقة بين صيغة الأمر وصيغة النهي التي قال الكوفيون بحمل الأمر عليها حمل الضدّ على ضدّه .

ولا يقيس البصريون ـ بحسب طريقتهم ـ على ما يسوقه الكوفيون من أمثلة نادرة حُذِف فيها عامل الجر أو النصب وبقي عمله (٤٨) ، ويحتج البصريون كذلك بأنه لو كانت اللام الجازمة للفعل محذوفة ، كما يقدر حذف " أن الناصبة قبل المضارع في بعض السياقات ، لكان يجب أن يبقى حرف المضارعة ، فيقال : *تَفعَلْ* ، في معنى : *لِتَفعَلْ* ، كما بقي حرف المضارعة مع حذف ( أنْ ) بعد الفاء والواو وأو ولام الجحود ولام كي وحتى ، فلما حذف هاهنا حرف المضارعة فقيل : *افعلْ* ، دل على أن ما ذهب إليه الكوفيون قياس باطل .

ويفصل البصريون في حكم البناء بين فعل الأمر واسم فعل الأمر ، باعتبار فعل الأمر صيغة مرتجلة قائمة بنفسها باقية في البناء على أصلها ، فوجب أن يكون اسم فعل الأمر مبنيًّا لقيامه مقامه (٤٩) .

## الأحكام التركيبية للأمر

يدخل الأمر في نوع من أنواع الكلام عند النحاة يشمل معه النهي والتمني والتخصيص ، فكل أولئك " من أجناس الكلام التام وله تركيب على حِدَته ليس تركيبا خبريا ولا تركيب تقييد ، والفعل الواقع فيه يُقيَّد بجميع الأسماء التي يقيد بها الفعل الواقع في القول الخبري من المفعولات وسائر المنصوبات والمخفوضات ، وبالجملة يوجد فيها جميع القوانين .. من قيود الأفعال وقيود الأسماء ، والذي يخص هذا الكلام التام في نفسه من أن الأمر فيه مبني على السكون ، والنهي مجزوم .. " (٥٠)

وقد سبق أن ذكرنا الخلاف في الحكم الإعرابي لصيغته فعل الأمر بين البصريين والكوفيين ، بناء على تصور كل من الفريقين لطبيعة هذه الصيغة ؛ فالبصريون يعدون فعل الأمر مبنيا ، والكوفيون يعدونه معربا مجزوما . أما علامة بنائه فهي السكون ، وهو الأصل في البناء ، بخلاف الماضي الذي يبنى على حركة الفتح ،
" وذاك أن مثال الماضي قد حصل له تمكن ليس لمثال الأمر ، لأنك تقول : *مررت برجل ضرب زيدا* ، فيقع موقع الاسم ، وتقول *إن فعلتَ فعلتُ* ، فيقع موقع المضارع ، لأن المعنى *إن تفعلْ أفعلْ* ، ألا ترى أنك تقول : *إن فعلتَ غدًا فعلتُ* ، كما تقول : *إنْ تفعلْ غدا* ؟ وفعل الأمر ليس له هذا التمكن ، لأنه لا يوصف به ، ألا ترى أنك لا تقول : *مررت برجل اضْرِبْ زيدا* ، ولا تقول : *اضربْ أضربْ* ، بمعنى *إنْ تضربْ أضربْ* ، فلما حصل لمثال الماضي تمكن ليس لمثال الأمر بُنِيَ على أقوى العلامتين وهو الحركة ، إذ هي أقوى من السكون ، كما أن : *يا حكَمُ* لما كان متصرفا في الكلام كقولك : *هذا حكمٌ ورأيت حكمًا ومررت بحكم* ، ثم قصد بناؤه بني على الحركة فصلا بينه وبين ما ليس نحو *إذْ وكَمْ* ،وجُعل الحركة دليلا على قوته ، فمثال الأمر نحو *اضربْ* بمنزلة *كَمْ ومَنْ* في أنه بني على أصل البناء الذي هو السكون لتعرِّيه من التمكن ، ومثال الماضي بمنزلة *يا حَكَمُ* في أنه بني على الحركة تنبيها على التمكن ، فإن قلت : فكيف اختير الفتحة من بين جميع الحركات ؟ فالجواب أنَّ الذي دعاهم إلى بنائه على الحركة هو قصدهم الفرق بينه وبين مثال الأمر ، والفتحة كافية ، لأن الفصل بينها وبين السكون واضح ، وكانت أولى الحركات بالاختيار لخفتها ، والفعل وإن حصل له تمكن فليس بحاصلٍ له قوةُ الأسماء ، وإذا كان كذلك وجب أن يُخَصَّ بأضعف الحركات وأقربها إلى السكون ليكون تمكن اللفظ على قدر تمكن المعنى .. " (٥١)

وتدل عبارة بعض النحاة على اختلاف الحكم الإعرابي لصيغة الأمر عن حكم المضارع المسبوق بلام الأمر؛ يقول أبو علي الفارسي: " فالمبني منه أمثلة الأمر إذا كان للواحد ولم يكن في أوله حرف مضارعة ، لأن ما كان فيه أحد حروف المضارعة من أمثلة الأمر فإنه يكون مجزوما باللام ... وإذا ثبت البناء في فعل الواحد ثبت في فعل الاثنين والجمع .. فلو لم يثبت الإعراب في فعل الواحد لم يثبت في فعل الاثنين وما زاد عليه .. فلا يكون في شيء من ذلك إعراب ، لأن فعل الواحد مبني ، ولا يتغير لتثنية فاعله وجمعه حكمه في الإعراب والبناء"(٥٢).

**- جزم جواب الأمر:**

يُجزَم جواب الأمر ، وكذلك النهي والاستفهام والتمنّي والعرض، وجزمها جميعا عند النحاة بتقدير المجازاة أي الشرط، فهي كلها جواب الشرط المحذوف في الحقيقة، لأن هذه الأشياء غير مفتقرة إلى الجواب والكلام بها تام " ألا ترى أنك إذا أمرت فإنما تطلب من المأمور فعلا ، وكذلك النهي ، وهذا لا يقتضي جوابا لأنك لا تريد وقوف غيره على وجوده ، ولكن متى أتيت بجواب كان على هذا الطريق ، فإذا قلت

في الأمر : *ايتني أكرمكَ وأحسنْ إليَّ أشكرك* ، فتقديره بعد قولك *ايتني : إنْ تأتني أكرمك* ، كأنك ضمنت الإكرام عند وجود الإتيان ، وليس ذلك ضمانا مطلقا ولا وعدا واجبا ، وإنما معناه : إن لم يوجَدْ لم يجبْ ، وهذه طريقة الشرط والجزاء .."(٥٣)

وإذا حولنا المسألة إلى صورة بنية عميقة (مقدَّرة) deep structure وراء البنية السطحية ( الظاهرة ) surface structure نجد أن تركيب جملة الأمر الظاهرة يُضمِر تحته تركيب جملة شرط مقدرة ، أي أنه " إذا قلنا : *أكرمْ زيدا يُكرمك* ، فالذي تُضمره من الشرط : *إنْ تُكرمْ زيدا* .."(٥٤) . ولعل هذا التقدير – مع إجحافه بمعنى الأمر وجَعْلِه فرعا على تركيب لمعنى آخر هو الشرط – يَلقى قبولا حسنا عند تقدير التركيب الشرطي وراء جملة النهي – الوجه الآخر للأمر وضده ؛ يقول ابن يعيش: " والنهي قولك : *لا تزر زيدا يُهنك* ، على تقدير : *إنْ لا تزُرْه يُهنك* ، ولذلك قال النحويون إنه لا يجوز أن تقول : *لا تدنُ من الأسد يأكلك* ، لأن التقدير : *لا تَدْنُ من الأسد ، إنْ لا تَدْنُ من الأسد يأكلك* ، وهذا مُحال ، لأن تباعُده لا يكون سببا لأكله ، لأنه يُعاد لفظ الأمر والنهي ويُجعَل شرطا وجوابه ما ذُكِرَ بعد الأمر والنهي .. ولو قلت : *لا تدنُ من الأسد يأكلك* بالرفع جاز لأن معناه *يأكلك إنْ دنوت منه* ، وكذلك لو قلت : *لا تدنُ من الأسد فيأكلك* بالفاء والنصب لأنه يكون تقديره : *لا يكنْ دُنُوٌّ فأكلٌ* ..."(٥٥)

ويُحمل على معنى الأمر في جزم جوابه ما ذُكِر من النهي والاستفهام والعرض والتمني في عبارات مثل : *أين بيتك أزرك* ؟ كأن المعنى : *أين بيتك؟ إنْ أعلمْ مكان بيتك أزرك* ، ويُشترَط هنا الاستفهام الحقيقي لا التقريري(٥٦). ومِن جزم جواب الاستفهام ما في قوله تعالى( يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. *يغفرْ* لكم ذنوبكم..) الصف ١٢/٦١ ، إذ جُزِم الفعل *يغفرْ* لأنه جواب هل ، " وقال الزجاج: *يغفرْ لكم* جواب قوله ( تؤمنون بالله ورسوله ) ، فهو أمر بلفظ الخبر ، وليس جواب هل لأن المغفرة لا تحصل بالدلالة على الإيمان إنما تحصل بنفس الإيمان والجهاد ، ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود *آمنوا بالله* مكان *تؤمنون* ، والأظهر الوجه الأول وهو أن يكون جواب هل ، لأن *تؤمنون* إنما هو تفسير للتجارة على معناها لا على لفظها ، ولو فسرها على لفظها لقال أنْ تؤمنوا ، لأنَّ *أنْ تؤمنوا* اسم وتجارة اسم ، والاسم يُبدَل من الاسم ويقع موقعه ، وقوله *تؤمنون* كلام تام قائم بنفسه ، وفيه دلالة على المعنى المراد ، فمن حيث كان تفسيرا للتجارة فهو من جملة ما وقع عليه الاستفهام بـ *هَلْ* ، والاعتماد في الجواب على *هل ، وهل* في معنى الأمر لأنه لم يقصد إلى الاستفهام عن الدلالة على التجارة المُنْجِيَة هل يُدَلون أو لا يُدَلون عليها ، وإنما المراد الأمر والدعاء والحث على ما يُنجيهم.."(٥٧)

وقد وافق الفراء على أن تأويل *هل أدلكم* أمر في المعنى ، وشبَّهه بقولك للرجل : *هل أنت ساكت* ؟ معناه: *اسكت* !(٥٨)

ويُحمَل ما فيه معنى الأمر والنهي عليهما في جزم جوابه ولو كان خبرا؛ يقول ابن يعيش إن " العلة في جزم جواب الأمر إنما كانت من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وإذا كان من جهة المعنى لزم في كل ما كان معناه معنى الأمر، فمن ذلك

قولهم : *اتقى الله امرؤ وفعل خيرا يُثبْ عليه* ، لأن المعنى : *ليتق الله وليفعلْ خيرا* ، وليس المراد الإخبار بأن إنسانا قد اتقى الله ، وإنما يقوله مثلا الواعظ حاثا على التُّقى والعمل الصالح ، ويقدَّر بعده حرف الشرط كما كان يقدَّر بعد الأمر الصريح.. ومن ذلك قولهم : *حَسْبُك ينم الناس* ، معنى *حسبك* هنا الأمر أي اكتَفِ واقطعْ ، ومثله *كيفك وشرعك* كلها بمعنى واحد ، وكذلك *قدْكَ وقطكَ* كله بمعنى *حَسْبُ* ، وقولهم *حسبُك ينمِ الناس* ، كأن إنسانا قد كان يُكثر الكلام ليلا ويصيح بحيث يقلق من يسمعه ، فقيل له ذلك ، أي اكْتَفِ واقطعْ من هذا الحديث ، فإنْ تفعلْ ينم الناس ولا يسهروا ، *وحَسْبُك* هنا مرفوع بالابتداء والخبر محذوف لعِلْم المخاطب به ، وذلك أنه لا يقال شيء من ذلك إلا لمن كان في أمر قد بلغ منه مبلغا فيه كفاية ، فيقال له هذا ليكُفَّ ويكتفي بما قد علمه المخاطب ، وتقدير الخبر : *حسبُك هذا* ، أو *حسبك ما قد علِمْتَه* .."(٥٩).

وهذا التفصيل الذي يبسطه ابن يعيش شرحا لما يؤدي إليه معنى الأمر المتضمن في بعض الصيغ والتراكيب ، يُعَدُّ تمثيلا صادقا فيما نرى لما تقتضيه اللغة الانفعالية التي كثيرا ما تكون لغة الحديث وما يتعدى منها من أثر إلى اللغة المكتوبة أو المنطقية ، أي تلك التي تتفق صياغتها وتراكيبها والنحو النظامي للغة. وهذه المباينة بين القبيلين ترجع إلى أننا لا ندخل في اعتبارنا إلا الصورة التي تصاغ فيها الأفكار صياغة منطقية ، أي أننا لم ندرس اللغة إلا بوصفها أداة عقلية ، ولكن الإنسان – كما يقول فندريس- لا يتكلم ليصوغ أفكارا فحسب ، بل يتكلم أيضا ليؤثر في أمثاله وليعبر عن حساسيته ، ولذا فإن هذه اللغة *الفاعلة* تزول فيها الحدود أحيانا بين الاسم والفعل [ استعمال الفعل والمصدر واسم الفعل جميعا للأمر مثلا ] (٦٠) ، وهذه اللغة يختلط فيها العنصر المنطقي والعنصر الانفعالي ، بل لا تكاد جملة مهما كان حظها من الابتذال تخلو من عناصر انفعالية ، غير أن عالم اللغة يمكن أن يسقط من حسابه اختلافات التنغيم والإشارة التي تحتملها إحدى الجمل مهما كانت ، ما دامت لا تغير من بناء الجملة النحوي.(٦١)

ويشير فندريس هاهنا إلى حالة يتوافق فيها جانبا الانفعال والمنطق في تركيب الجمل ، وهي حالة لا تحتاج بالطبع إلى شيء من التقدير أو التماس التأويلات ، أمّا إذا ما تخالف الجانبان فإن أثر ذلك يظهر في المفردات والتراكيب جميعا. ومسألة التركيب هي ما نُعنى به هاهنا فيما يتعلق بالحالات التي يتدخل فيها معنى الأمر فيؤدي إلى خروج جمل عن مألوف تركيبها، كأن يقع فعل في الجملة مجزوما بغير ما جازم ظاهر ، ويصير المبتدأ - وهو اسم - في : *حسبك ينم الناس* ، فعل أمر تقديرا ، ويتوارى خبره ليحل محله جواب هو فعل مجزوم عمل فيه ما في المبتدأ من *قوة* الفعل المقدر ، فتعبر *الانفعالية* في اللغة عن نفسها باختيار الكلمات وبالموقع الذي يخصص لها في الجملة التي ينحصر في تكوينها الفرق الأساسي بين اللغة الانفعالية واللغة المنطقية ، مع ملاحظة أن اللغة المنظمة تنظيما منطقيا لا تستقل عن اللغة الانفعالية ، فبينهما تأثير متبادل. (٦٢)

ومن هذا الوادي بعض القراءات التي أدى *تضمينها* الأمر إلى جواز العطف فيها بالجزم ولو كان المعطوف عليه منصوبا ؛ إذ لمّا سأل سيبويه الخليل عن قوله عز

وجل ( لولا أخرتني إلى أجل قريب *فأصدّق وأكن* من الصالحين ) المنافقون٦٣/١٠
قال الخليل : هذا كقول عمرو بن معديكرب :

دعني *فأذهبَ* جانبا يوما *وأكفِك* جانبا

وكقول زهير :

بدا ليَ أنّي لستُ *مدركَ* ما مضى ولا *سابقٍ* شيئا إذا كان جائيا

في كتاب سيبويه : فإنما جرّوا هذا [ أي لفظ " سابق" في بيت زهير ] فجاءوا بالثاني وكأنهم أثبتوا في الأول الباء ، فكذلك هذا[ أي الفعل المجزوم"أكنْ" في الآية ] لمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزما ولا فاء فيه تكلموا بالثاني وكأنهم قد جزموا قبله ، فعلى هذا توهموا هذا.(٦٣)

- الأمر ومسألة التوهم:

استعمل النحاة مصطلح العطف على التوهم في تعليقهم على بعض ما جاء في أبيات من الشعر العربي أو آيات من القرآن الكريم في ظاهرها مخالفة لما يقتضي مألوف التركيب العربي ، وكان أكثر ذلكم عند مخالفة المعطوف - بالواو غالبا - للمعطوف عليه في إعرابه اللفظي ؛ يشمل ذلك الأسماء والأفعال ، كما رأينا في بعض شواهد القرآن والشعر. ويستعمل النحاة كذلك مصطلح الحمل على المعنى والعطف على المعنى مرادفا للتوهم ، وقد يستعملونها جميعا وأحدهما تفسير للآخر ؛ غير أنَّ ثمَّ مَن ماز بينها بأن العامل في العطف على الموضع موجود دون أثره ، والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود.(٦٤)

وقد برز أثر هذا الخلاف – على تقارب طرفيْه – في مثل قول الشاعر :

فأبلُوني بَليَّتَكم لعلّي أصالحُكم *وأستدرجْ* نُويّا

حيث يرى الخليل وسيبويه أن الفعل *أستدرجْ* بالجزم معطوف على التوهم ، وهذا ما رجّحه ابن هشام ؛ ويرى الفارسي والسيرافي وغيرهما أن الفعل أستدرجْ بالجزم معطوفا على محل *لعلي أصالحكم* فإنها في محل جزم جواب شرط(٦٥).

ويرى أبو حيان أن العطف على التوهم كثير وإن كان غير قياسي ، ولكن إذا وقع شيء منه وأمكن تخريجه عليه خُرِّج (٦٦) ؛ وقد قصر البصريون العطف على التوهم في الاسم المجرور بحرف زائد كما في خبر " ليس" ، خلافا لما أثبته بعض الباحثين من أنه يدخل الأسماء بكثرة والأفعال بقِلة ، ويدخل المرفوع والمنصوب والمجرور بالإضافة إلى المجزوم . وقد وضع النحاة له شروطا منها اتحاد المعنى في المتعاطفَيْن ، وكثرة دخول العامل المقدر فيه ، وصحة المعنى بعد التوهم (٦٧).

وقد أقر بعض الباحثين بقياسية التوهم وبأنه " واقع في العربية وله آثار لُغويةَ وتصرفات لسانية يقتضيها ، واللغوي عليه أن ينظر في آثاره والتصرفات الناشئة عنه ويقيسها بمقاييسه في القياس والسماع ويَميز ما يقاس منها وما لا يقاس ، ومن شروط القياس ألا يفضي إلى أمور مرفوضة في اللغة ، وهذا من المبادئ العامة في اللغة " (٦٨).

وقد قال بعض الباحثين بقياسية الحمل على المعنى ورأى أن هناك علاقة وطيدة بين الحمل على المعنى والقياس ، فالحمل على المعنى يمكن أن يكون نوعا من القياس بالمفهوم الاصطلاحي ، ينطبق ذلك على العطف على التوهم ، حيث يُحمل فيه الفرع على الأصل لعلة معينة تُؤَدي إلى إجراء حكم الأصل على ذلك الفرع ، إذ الحمل

على المعنى " التوهم " يُحمَل فيه لفظ معين على معنى لفظ آخر وتكون علة الحمل هي المشابهة المعنوية بين اللفظين ، ثم يترتب على ذلك أن ينخلع حكم المحمول عليه على المحمول ، ولكن ذلك ليس على إطلاقه ، فقد نَحمل الأصل على الفرع ، كما نحمل المذكر على المؤنث ، وكذلك المفرد وهو الأصل نحمله على الفرع وهو الجمع(٦٩).

ويُعدّ القول بالتوهم أو الحمل على المعنى وصفا لأوضاع تركيبية في الكلام العربي لا يمكن أن توصف بالشذوذ كما أنها ليست موافقة للقاعدة النحوية ولكنها وسط بين القبيلين ولا سيما أنها تقع في نصوص لا يرقى إلى فصاحتها شك ، إذ إن بعضها من آي التنزيل ، وبعضها من شعر يُحتَجّ به ويُستَشهَد على القواعد ؛ وفي مثل هذه الأوضاع تبدو المفارقة بين القاعدة الواجبة الاتباع والنص المقطوع بفصاحته فيحتاج الأمر إلى شيء أبعد من التقدير يراعي المعنى ويقوم على إحلال بعض الصيغ محل بعض ، وهو أمر تسوغه الأساليب العربية ولا يأباه الذوق العربي، يتجاوز حرفية الصيغة ويُضمّنها من غيرها معاني يقتضيها السياق ، وهو كما يقول بعض الباحثين كسر للاختيار من العرف اللغوي ، وهذا هو الجانب الإبداعي في اللغة (٧٠).

وقد نبه بعض علماء العربية إلى أن العطف على المعنى والعطف على التوهم مترادفان ؛ ففي قراءة الآية ( لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّقَ وأكن مِّن الصالحين ) المنافقون٦٣/١٠ ، قال ابن هشام:" قرأ غير أبي عمرو بالجزم ، فقيل : عطف على ما قبله على تقدير إسقاط الفاء ، وجزم أصَّدَّق ، ويسمَّى العطف على المعنى ، ويقال له في غير القرآن العطف على التوهم "(٧١).

وقد بنى بعض الباحثين تعليقه على تخريج ابن هشام ومخالفته في اعتراضه على إعراب *أكن* بالجزم عطفا على محل *فأصدقَ* لعدم جواز العطف على المحل هنا لعدم ظهور الشرط ؛ بنى تعليقه على أمرين ، أحدهما أنه ينزّه الآية عن القول فيها بالتوهم(٧٢) ، وقد قال الباحث بإمكان تخريج الجزم في أكن على أحد تخريجين :
أحدهما أن أكن جواب لإن الشرطية المحذوفة هي وفعلها والواو ليست للعطف والوصل وإنما هي للفصل والاحتراس ، اعترض بها دالة على المحذوف ، وأكن مُغنٍ عنه ؛ الآخر أن أكن هو الجواب لما قبل الواو ، والواو للعطف والمعطوف حَذِفَ للعلم به إيجازا لضيق المقام أمام العاصي والمنافق أو انقطاعا لأنفاسه (٧٣).

إعمال الأمر محذوفا :

ورد في بعض التراكيب العربية أسماء منصوبة قدّر لها المفسرون والمعربون أفعال أمر محذوفة مناسبة عملت فيها النصب ؛ ومن ذلك في قوله تعالى ( تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ) الزمر ١/٣٩ ، إذ أجاز الكسائي ( تنزيلَ الكتاب ) بالنصب على أنه مفعول ؛ قال الكسائي : أي اتَّبِعُوا واقرءوا تنزيل الكتاب (٧٤).

وقد يكون الاسم المنصوب مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً ، بحسب ما يناسب السياق ، يدل على ذلك مثلاً ما ورد حول قوله تعالى ( فإذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مَنًّا بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ...) محمد ٧/٤٧ ، قوله تعالى ( فإذا لقيتم ..) العامل في إذا هو العامل في

ضرب ، والتقدير : فاضربوا ضرب الرقاب ، فضرب هنا مصدر فعل محذوف ، ولا يعمل فيه نفس المصدر ، لأنه مؤكد . و ( منًّا ) : مصدر ، أي إما تمُنُّون منا وأما أن تفادوا فداء . ويجوز أن يكونا مفعولين ، أي أولُوهم منا ، أو اقبلوا فداء .

وقد يتنازع في اللفظ موضعان أحدهما الرفع والآخر النصب ، كما في قوله تعالى ( هذا فليذوقوه حميم وغساق ) ص ٥٧/٣٨ ، فقد قيل إن ( هذا ) مبتدأ خبره فليذوقوه ، كقولك : *زيدٌ اضربْه* ، وقيل إن هذا وجه ضعيف من أجل الفاء ، وليست في معنى الجواب ، كالتي في قوله تعالى ( والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما ...) المائدة ٣٨/٥ ، فأما ( حميم ) على هذا الوجه فيجوز أن يكون بدلا من هذا وأن يكون خبر مبتدإ محذوف ، أي هو حميم و وأن يكون خبرا ثانيا ؛ والوجه الثاني أن يكون حميم خبر ( هذا ) ، ( فليذوقوه ) معترض بينهما . وقيل : ( هذا) في موضع نصب ـ أي فليذوقوا هذا ، ثم استأنف فقال حميم ، أي هو حميم (٧٦) وفي البيان (٧٧) تقديره *فليذوقوا هذا فليذوقوه* وعند ابن قتيبة ( ٧٨) : يجوز أن تكون ( هذا ) في موضع نصب ليذوقوه والفاء زائدة . وفي قوله تعالى ( صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً ). البقرة ١٣٨/٢ قيل إن انتصاب ( صبغة ) بفعل محذوف ، أي اتبعوا دين الله ، وقيل هو إغراء ، أي *عليكم دينَ الله* ، كما قيل إنه بدل من *ملة إبراهيم* ( ٧٩ ) .

ويشير ابن رشد إلى أن العرب كثيراً ما يحذفون الكلام التام الذي قُيِّد به الاسم الذي من تمامه ، ويأتون بالمقيدَ فقط ، " وهذا يعرض لهم في الكلام التام ما عدا النداء في ثلاثة أسماء : في المفعول به وفي المصدر وفي الحال ، وربما كثر استعمالهم للحذف حتى لا يجوز عندهم أن يُنطق بالكلام التام الذي كان ذلك الاسم في الوصل غير مفهوم إلا بالإضافة إليه ... ومن مشهور ما يدخل في هذا الباب مصادر واقعة في الدعاء نحو قولهم *سعيا ورعيا وسحقا وبعدا وويحَه وويلَه* ، فإذا فصلوا فقالوا : *ويحٌ له ، وويلٌ له* رفعوا ، وقد يجوز النصب "(٨٠)

ويسلك ابن رشد بعض أفعال الأمر المقدرة في سياق تراكيب وردت فيها منصوبات بعضها ضمائر نصب وبعضها أسماء ؛ يقول " وأما المفعولات التي حذفت الأفعال منها الناصبة لها في هذا الباب فمنها قولهم : *إياك أن تفعل كذا وكذا ، ونفسَك يا فلان* ، *أراد اتق نفسك* ... وقولهم : *إياك زيدا* أي *وملابسة زيد* ، *وإياك والأسدَ* .. (٨١) ، وربما جاز عندهم النطق بالكلام التام وجاز الحذف ؛ فمثال ما يجوز عندهم النطق بالكلام التام وحذفه قولهم : *اللهم ضبعا وذيبا* ، فإنهم يقولون : اللهم سلط علينا سبعا وذيبا ..(٨٢).

وقد أورد سيبويه في هذا الباب عن أبي الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له لِمَ أفسدتم مكانكم هذا؟ فقال : *الصبيانَ بأبي* ؛ كأنه حذر أن يُلام فقال : لم الصبيان ! ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له     كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

كأنه يريد : الزمْ أخاك . ومن ذلك قولهم : زيدا وعمرا ، كأنك تريد اضربْ زيدا وعمرا ، كما قلت : زيدا وعمرا رأيت، ومنه قول العرب : *أمرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك ، والظباءَ على البقر* ، يقول : عليك أمرَ مبكياتك لا أمر مضحكاتك ، وخلِّ الظباء على البقر (٨٣).

## الأمر بغير الفعل

- **الأمر بأسماء الأفعال وأسماء الأصوات:**

يعبِّر عن معنى الفعل في العربية الفصحى بصيغ عديدة أولها الفعل ومنها اسم الفعل الذي يصفه سيبويه بأنه " باب من الفعل سُمِّي الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث ، وموضعها من الكلام الأمر والنهي "(٨٤) ؛ وقد أخذ بعض النحاة على سيبويه إدخال النهي مع الأمر في هذا السياق كما في قوله " وأما ما تعدى المنهيَّ إلىَ منهيٍّ عنه فقولك : حذرَك زيدا وحَذارِكَ زيدا ، سمعناهما من العرب "(٨٥) ؛ وقد أورد السيرافي أن المبرد ردَّ هذا اللفظ من وجهين أحدهما أن قولك حَذرَكَ إنما هو احذَرْ ، وقد جعله سيبويه نهيا ، فإن قيل فمعنى احذَرْ لا تَدنُ قيل وكذلك عليكَ معناه لا يفوتنَّك ، وكل أمر أمرت به فأنت ناهٍ عن خلافه ، فإذا كان كذلك فلا وجه للتفضيل بين الأمر والنهي...، وقد رد السيرافي على المبرد بأن ألفاظا من ألفاظ الأمر الأكثر في عادة كلام الجمهور أن يقاتل نهي وإن كان بلفظ الأمر كقولك تَجَنَّبْ واحذَرْ وابعُدْ ، فإنما يقال نهاه عنه.، فجرى سيبويه على اللفظ المعتاد..(٨٦) ؛ وكان الأولى بالسيرافي فيما نرى أن يردَّ بأن المصطلح عند سيبويه ربما لم يكن استقر بصورته المعروفة بدلا من الدفاع عن الخلط بين المصطلحين بحجة استعمال أحدهما بمعناه اللغوي الشائع ، وإلا فإن للأمر كذلك من المعاني في اللغة ما يخرج به عن حد الاصطلاح المعروف.

ومِن النحاة مَن قسم أسماء الأفعال إلى ألفاظ معدولة عن صيغ الأمر الفعلية وأخرى هي خليط من أسماء أصوات وأشباه جمل ؛ يقول ابن رشد " وللعرب ألفاظ أقامتها دالة على ما يدل عليه الأمر أو النهي نحو قولك هاك زيدا أي خُذ زيدا وعندك عمرا ودونك بكرا أي الزمهما، والنحاة يسمُّون هذه أسماء الأفعال . ومن هذا الجنس أيضا ألفاظ عُدِل بها عن صيغ الأمر إلى صيغ الأسماء وأبقيَت دلالة الأمر فيها نحو قولهم تَرَاكِ بمعنى اترُكْ ونَزالِ بمعنى انزِلْ ورُوَيْدَ بمعنى أروِدْ وحَذارِ بمعنى احذَرْ ، وهي ألفاظ تُحفَظ ولا يقاس عليها.."(٨٧) ؛ وقد لحظ بعض النحاة معاني سياقية لبعض تلك الألفاظ مع معانيها المتصلة بمعنى الأمر ، فالزجاجي يقول إن رويدا(٨٨) " تكون نعت مصدر كقولك : ضعه رويدا ، أي وضعا رويدا أي رفيقا ، وتكون واقعة موقع الحال كقولك : صاروا رويدا ، وتكون بمعنى أمهِلْ ، قال الله عز وجل ( فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ) الطارق ١٧/٨٦ أي قليلا ، ولا يُتكلَّم بها إلا مصغرة ، وقد جاءت في الشعر بغير تصغير كقوله :

يكاد لا يثلِم البطحاءَ وطأتُه     كأنه ثملٌ يمشي على رَوَدِ (٨٩)

وكذلك يختلف الموقع الإعرابي لما يلي بعض ذلك مثل بَلْه التي يمكن جرُّ ما بعدها ونصبه " فمَن نصب أراد فدَعْ ومَن خفض جعلها بمنزلة مصدر مضاف..
وأجاز قطرب وأبو الحسن أن تكون بمعنى كيفَ فتقول بَلْهَ زيدٌ برفع زيد على الابتداء وبله خبر مقدّم.. ويُروى قوله :

تذَر الجماجم ضاحيا هاماتها بَلْهَ الأكفِّ كأنها لم تُخلق

بنصب الأكف على أنَّ بَلْهَ اسم فعل وبجرّه على أنها مصدر وبرفعه على أنها بمعنى كيفَ (٩٠).

وهذه الألفاظ أسماء عند البصريين أفعال عند الكوفيين (٩١) ، ولكنها عند بعضهم قسم برأسه يسمَّى الخالفة أو خالفة الفعل ، وهو مصطلح أطلقه بعض القدماء هو أحمد بن صابر الأندلسي ولم يُكتَب له الذيوع (٩٢) وارتضاه بعض المُحدَثين هو الدكتور تمام حسان في تقسيمه الكلِم العربي سبعة أقسام أحدها الخالفة التي جعلها أربعة أنواع أحدها خالفة الإخالة (٩٣) وهي أسماء الأفعال عند النحاة.

وفي كتابه " أسماء الأفعال وأسماء الأصوات في اللغة العربية " قدّم الدكتور محمد عبد الله جبر دراسة وافية مستوعِبة للضربين جميعا بأنواعهما ، ويهمنا فيما يتعلق بما نحن بصدده من حديث الأمر ما عرض له في بحث أسماء الأصوات من تقسيمها ثلاثة أقسام ، ثالثها الأصوات التي يصوِّت بها للحيوان ، وهو ما لم يتعرض له الدرس اللغوي الحديث كما تعرض له الرضيّ ،" فإن ما وجدته من ذلك كان إشارة لدى ماريو باي قال فيها إن أصوات النداء الموَجَّهة إلى الحيوان لها تاريخ طويل ومشوّق ، وضرب لذلك مثلا بالصوت " بس " بتنوعاته المختلفة المستعمَلة في نداء الهررة ، فهو شائع في الجزر البريطانية وبلاد العرب وشمال أفريقيا وأسبانيا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وألبانيا ورومانيا والهند ، وهذا يدل على شيوع استعمال ذلك الصوت.. وهناك إشارة أخرى يسيرة لدى ستورتيفانت عرض فيها في إيجاز لما تناوله النحاة واللغويون العرب بتفصيل كبير (٩٤).

ومما أثبته الرضيّ من الألفاظ المستعمَلة في دعاء الحيوان وزجره وغير ذلك :
هلا لزجر الخيل ، وعَدَسْ لزجر البغل وهَيْد وهاد وَجوب وحاي وعاي وحاء وعاء لزجر الإبل ، وجي وجوت لدعائها إلى الشرب وسَعْ وجَهْ لزجر الإبل والسبع وحَلْ وعاج وهَيْج لزجر الناقة وحَبْ وجاه لزجر الجمل وهَدَعْ لتسكين صغار الإبل إذا نفرت ونِخْ وهِيخ وايخ لإناخة البعير وإسّ وهِسّ وهَجا وقَعْ وقاع لزجر الغنم ، وهَجْ لزجرها أيضا ، وتُقال لتسكين الأسد والذئب والكلب وغيرها (٩٥).

ويعزو الدكتور جبر سبْق العرب إلى إثبات هذه الأصوات وأمثالها وإدراجها ضمن الدراسة اللغوية والنحوية – يعزوه إلى غنى البيئة العربية بأنواع الحيوان وارتباط معيشة البشر فيها بصورة وثيقة بالتعامل مع الحيوانات التي تؤدي للإنسان خدمات أساسية كالإبل والخيل والغنم والكلاب(٩٦).

ويلاحظ الدكتور جبر أن قليلا من تلك الألفاظ ارتبط بشكل يكاد يكون ثابتا بحرف من حروف الجر مثل حي على الصلاة ، هلمَّ إلينا ، ويْ لكم ، هَيْتَ لك ، هَيْهات لما تُوعَدون ، أفٍّ لكما ، أو اتصل ببعض الضمائر مثل هاك ، هاؤم ، وَيْكَ ، والنادر منها ما عومل معاملة فعل الأمر ، فأسنِد إلى الضمائر المتصلة بحسب الخطاب : هلمّي ، هلموا..الخ(٩٧) ؛ وقد أشار هنري فليش إلى هذه الحالة النادرة ، واعتبرها استثناء من الصيحات والأصوات التلقائية الناتجة من الانفعالات التي تُعَدّ غريبة حين توضَع في نطاق نظام لغوي ، ولذا اعتبر هَلُمَّ المتصرفة من الأفعال(٩٨).

وعلينا في هذا الصدد أن نميز الأصوات التي يُزجَر بها الحيوان أو يُدعى مثلا من الألفاظ التي يجري بها التعامل بين العقلاء ، والمنطقي أن تكون تلك الألفاظ أشد قابلية للتصرف ولحوق الضمائر بها من أصوات زجر الحيوان أو تسكينه ، وما طوّعته اللغة من تلك الأصوات للاشتقاق إنما هو في غالبه حكاية للصوت في صورة فعل مثل هاهَيْت من قولهم في زجر الإبل هاها ، وجأجأت من قولهم في زجر الكبش جأجأ...الخ(٩٩).

ونلاحظ أن الدكتور جبر يضم أسماء الأفعال والأصوات معا في صعيد واحد برغم أن أسماء الأفعال أقرب إلى التصرف ،وكثير منها ذو صلة اشتقاقية بالأفعال التي تدل على معناها بخلاف الأصوات التي هي محاكاة لصيحات يطلقها الإنسان يريد بها ضربا من ضروب الأمر للحيوان كالزجر أو التسكين أو الحث على فعل أو منعه ، وجُلُّها مُنْبَتّ الصلة بالأفعال المتصرفة الشائعة في اللغة.

وأسماء الأفعال مبنية بإجماع النحاة وإن اختلفت تعليلاتهم لبنائها ؛ فمن قائل إن سبب البناء هو شَبَه الفعل أو الوقوع موقع المبنى(١٠٠) ، ومن قائل إن علل البناء تنحصر في شبه الحرف أو تضَمُّن معناه ، فضلا عن القول بأن ما يفيد الأمر من أسماء الأفعال إنما بُني لتضمُّنه لام الأمر ، ثم حُمِل عليه غيره طردا للباب على وتيرة واحدة(١٠١) ؛ وهناك من يرى أسماء الأصوات خارجة من عموم قول النحاة إن الأصل في الأسماء هو الإعراب وإن بناء أسماء الأصوات أصلي ولا يحتاج إلى تعليل لأن الواضع لم يضعها إلا لتستعمل مفردة لأنها لم تكن في الأصل كلمات(١٠٢) ؛ وهذا قول يرتضيه الدكتور جبر لأسماء الأصوات وأسماء الأفعال أيضا ، ويستثني منها وزن فعَالِ والظروف وأحرف الجر(١٠٣) ، أما وزن فعَالِ فإن بناءه على الكسر يرجع إلى المخالفة الصوتية بعدَ مقطعَين محرّكَين بالفتح وثانيهما يمتاز بطول الفتحة – الألف- ويشبه هذا ما في كسر نون المثنى بعد ألف التثنية ونون الرفع في الأفعال الخمسة بعد ألف الاثنين(١٠٤).

**مصاحبات الأمر:**

في قوله تعالى ( ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ) النمل٢٧/٢٥ ، قراءتان إحداهما بتشديد اللام من *ألا* وإعراب *يسجدوا* مضارعا منصوبا ، والأخرى بتخفيف اللام وجعل يا حرف نداء والفعل بعده أمر على تقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله . قال ابن الأنباري: الوقف على ( فهُمْ لا يهتدون ) في الآية السابقة غير تام عند من شدد *ألا* لأن المعنى : وزيَّنَ لهم الشيطان ألا يسجدوا(١٠٥) ، قال النحاس : هي *أنْ* دخلت عليها *لا* ، وهي في موضع نصب ، وقال الأخفش : أي زين لهم ألا يسجدوا لله بمعنى لئلا يسجدوا لله ، وقال الكسائي : هي في موضع نصب بـ" صدهم" ، أي فصدهم ألا يسجدوا ، فهو على الوجهين مفعول له ، وقال اليزيدي إنه بدل من أعمالهم في موضع نصب... (١٠٦) ، وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة.. وقرأ الزهري والكسائي بتخفيف *ألا* ، قال الكسائي : ما كنت أسمع يقرءونها إلا بالتخفيف على نية الأمر ، واحتج الكسائي لقراءته هذه بأنه رُوي عن رسول الله (ص) أنه موضع سجدة(١٠٧) " فتكون *ألا* على هذه القراءة حرف تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء و*اسجدوا* فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون (ألا يا اسجدوا) ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ [*كذا في الأصل ، ولعل اللفظ في آخره بالألف لا بالهمزة ؛ انظر: فتح القدير للشوكاني ١٣٣/٤* ] ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورة الخط *ألا يسجدوا* والمنادى محذوف وتقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا"(١٠٨) ؛ وقد ذكر بعض النحاة أنه يطّرد في بعض المواضع حذف المنادى بين يا والفعل واستشهدوا لذلك بطائفة من الشواهد منها:

يا قاتل الله صبيانا تجيء بهم     أمّ الهُنَيْنَين من زَنْدٍ لها واري

كأنه أراد : يا قوم قاتل الله صبيانا ، ومثله قوله :

يا من رأى بارقا أكفكفه     بين ذراعي وجبهة الأسد

كأنه دعا : يا قوم يا إخوتي ، فلما أقبلوا عليه قال : من رأى(١٠٩)

وقد قال بعض النحاة إن حذف النداء بعد يا مَقِيس في الأمر كالآية السابقة ، وفي الدعاء كقوله:

ألا يا اسلمي يا دار مَيَّ على البلى(١١٠)

وقول الآخر :

ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثُمّتَ اسلمي

وقول الثالث كذلك :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بكر(١١١)

والغالب فيما نرى أن *يا* في أمثال هذه المواضع للتنبيه لا للنداء ، ولعل مَن علّل لقراءة التخفيف لم يقل بذلك باعتبار أن التنبيه والاستفتاح مستفادان من *ألا* المخففة ، فضلا عن احتجاج الكسائي لهذه القراءة بما رُوِي عن الرسول (ص) أنه موضع سجدة كما أشرنا.

كذلك نلاحظ فيما يتعلق بقراءة التخفيف أن بعض العلماء يُجْرُونها مُجرى شواهد الشعر التي عرضنا بعضها ، غير أن هذه الشواهد يغلب الدعاء على

أفعالها ماضيها وأمرها ، على حين أنه لم يقُلْ أحد إن الدعاء هو المقصود من فعل الأمر في الآية ( اسجدوا ).

والظاهر أن وقوع الأمر بعد ما يفيد التنبيه كثير في كلام العرب ، وشواهد ذلكم كثرة ، منها قول النابغة الذبياني (١١٢) :

ألا أبلِغا ذبيانَ عني رسالة فقد أصبحَتْ عن منهج الحق جائرهْ

وقول دريد بن الصِمَّة :( ١١٣ )

ألا أبلِغْ بني عبسٍ بأنّي أكون لهم على نفسي دليلا

وقول امرئ القيس : (١١٤)

ألا عِمْ صباحا أيها الطلل البالي وهلْ يعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي

وقول الراجز: (١١٥)

يأيُّها الناس ألا هلُمَّهْ

وقول كعب بن جعيل: (١١٦)

ألا حَيِّ نُدماني عُمَيْر بن عامرٍ إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدا

ولعل تصاحب التنبيه والأمر ، أو الطلب عامة ، في كلام العرب كما يبدو من هذه الشواهد وأمثالها ، مما قيس عليه قراءة تخفيف/لا في الآية متبوعةً بالأمر (اسجدوا).

أما التوكيد فإن وروده مصاحبا للأمر والنهي كثير في تركيب الكلام العربي ؛ ففي التنزيل : ( ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرَقون ) هود ١١ /٣٧ ، ( وصلِّ عليهم إن صلاتك سَكَن لهم ) التوبة١٠٣/٩ ، ( يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) الحج١/٢٢ ؛ وينص بعض العلماء على أن ذلك من خصائص الكلام العربي ، ففي التعليق على قول بشار :

بكّرا صاحبَيَّ قبل الهَجير إنَّ ذاك النجاحَ في التبكير

يذكر السكاكي أن خلفا الأحمر قال لبشار بعدما أنشده القصيدة : لو قلت يا أبا معاذ مكان " إن ذاك النجاح " بَكّرا فالنجاح كان أحسن ، فقال بشار: إنما قلتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح في التبكير كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت بكرا فالنجاح في التبكير كان هذا من كلام المُولّدين ، كما ذكر السكاكي أن خلفا قد قام بعد سماع ذلك التعليل من بشار وقبّله بين عَيْنَيْه. ونظير ذلكم :

فغَنِّها وهْيَ لك الفِداءُ إن غِناء الإبل الحُداءُ(١١٧)

**الأمر والنداء:**

ورد في عدة أمثال حذف حرف النداء بين فعل الأمر والمنادى ، ومن ذلك قولهم : افْتَدِ مَخْنوقُ ، يُضرَب لكل مضطر مشفوق عليه ، ويُروى : افتدي مخنوق (١١٨) ، وقولهم : أصبِحْ ليلُ ،.. يقال في الليلة الشديدة التي يطول فيها الشر (١١٩) ، وقولهم : أطْرِقْ كَرًا إن النعام في القرى ، يُضرَب للذي ليس عنده غَنَاء ويتكلم فيُقال له اسكتْ وتوَقَّ انتشار ما تلفظ به كراهة ما يَعقُبه (١٢٠) ومنه قولهم : ارْعَي فزارةُ لا هنَاكِ المرتَع ، يُضربُ لمن يصيب شيئا يُنْفَس به عليه ، وقد ورد في قول الفرزدق : (١٢١)

راحَتْ بمَسلَمَة البغالُ عَشيَّةً فارْعَي فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرتَعُ

وبقطع النظر عن تضمين بيت الفرزدق مثلا أو قولا صار مثلا فإن الأمثال تشبه الشعر في تحمل الضرورة . يقول ابن جني : " .. على أن الأمثال عندنا وإن كانت منثورة فإنها تجري في تحمل الضرورة لها مَجرى المنظوم في ذلك. قال أبو علي : لأن الغرض في الأمثال إنما هو التسيير كما أن الشعر كذلك ، فجرى المَثَل مَجْرى الشعر في أنه تجوز الضرورة فيه.." (١٢٢)

كذلك يتصاحب الأمر والنداء ، والغالب في القرآن الكريم أن يتقدم النداء (١٢٣) مثل ( يأيها الناس اعبُدوا ربَّكم ) البقرة ٢١/٢ ، ( يا عبادِ فاتَّقون ) الزُمَرْ ١٦/٣٩ ،

( يأيها المزَّمّل قُم الليل ) المزمل ١/٧٣ ، ( يا قوم استغفروا ربكم ) هود ١١/ ٥٢ ؛ وقد يتأخر النداء مثل ( وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون ) النور ٢٤/ ٣١ ، كما قد يصحب الجملة الخبرية فتَعقُبها جملة الأمر نحو ( يأيها الناس ضُرِبَ مَثَل فاستمعوا له ) الحج ٧٣/٢٢ ، ( يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذَرُوها ) الأعراف ٧٣/٧ .

وقد ذهب ابن مالك إلى جواز الفصل بين المنادى وحرف النداء بأمر المنادى ، ومذهب الجمهور المنع (١٢٤) ؛ قال أبو حيان في الارتشاف ٢١٨٢/٤ " ولا يُفصَل بين الحرف والمنادى " ، وقال ابن مالك " قد يُفصَل بالأمر.. وقد يُفصَل بأمر المنادى بينه وبين حرف النداء ، كقول جدابة بنت خويلد النخعية تخاطب أمتها لطيفة :

ألا يا- فابْكِ- شوًّالا لطِيفا     واذري في الدمع تسكابا وكيفا

أرادت : يا لطيفة فرخَّمت وفصَلت بفعل الأمر" (١٢٥).

## الأمر في القرآن والحديث

تتبع الدكتور إبراهيم عوض (١٢٦) السياقات التركيبية لصيغ الأمر في القرآن الكريم والحديث الشريف ولاحظ تميز هذه من تلك بصورة ملموسة ؛ ومن أمثلة ما لاحظ :

- التركيب : فعل أمر + ولو + موقوع فعل الأمر . مثاله الحديث ( تَصَدَّقوا ولو بشِقّ تمرة ) ؛ هذا التركيب " الذي يبدأ بفعل أمر يُقصَد به التشريع أو التوجيه الأخلاقي تَعقُبه كلمة ( ولو ) ثم ما يقع عليه فعل الأمر ، قد تكرر على نحو لافت للنظر في الحديث النبوي الشريف ، أما في القرآن الكريم فهو نادر ، إذ لم يرد إلا مرتين اثنتين ( كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ) النساء ٤/ ١٣٥ ، ( فإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى ) الأنعام ٦/ ١٥٢ ، ويضاف إلى ندرته أن ما يقع عليه فعل الأمر في القرآن لا يمثل الحد الأدنى كما هو الحال في الشواهد الحديثية .. بل الحد الأقصى كما هو واضح ..

وفي كل المواضع التي وردت فيها عبارة "ولو" في القرآن الكريم غير مسبوقة بفعل أمر ، وهي كثيرة نسبيا ، نجد أن ما يأتي بعد " ولو " يمثل الحد الأقصى أيضا كما هو واضح من الشواهد ومنها ( ولأَمَةٌ مُؤمنةٌ خير مِّن مُشركةٍ

ولو أعجبتكم ) البقرة ٢٢١/٢ ، ( قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ) المائدة ١٠٠/٥ ، ( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ) الإسراء١٧/٨٨ ، ( قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنَفِدَ البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ) الكهف١٨ /١٠٩ ، ( لا يَحِلُّ لك النساء مِن بَعْدُ ولا أن تَبَدَّل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا ) الأحزاب ٥٢/٣٣؛ [ والملاحَظ هاهنا أن النهي وهو الوجه الآخر للأمر مُعَبَّر عنه بصيغة المضارع المنفيّ ] ، ( فادْعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ) غافر ١٤/٤٠ .

- أما شواهد الحديث التي اشتملت على فعل أمر أو نهي تَعقّبه " ولو " يليها ما يمثل الحد الأدنى مما يقع عليه فعل الأمر ، فها هو ذا بعض ما استطاع الدكتور إبراهيم عوض التنبه إليه (١٢٧) : ( لا تدَعوا العِشاء ولو بكَفٍّ من تمر ) ابن ماجه / أطعمة /٥٤ ، ( إذا سرق العبد فبيعوه ولو بنَشٍّ ) أبو داود /حدود ٢٢ ، والنسائي / سارق ١٦ ، وابن ماجه حدود ٢٥ ، وابن حنبل ٣٣٧/٢ ، ٣٥٦ ، ٣٨٧ ، ( لِيَتَّقِ أحدُكم وجهه من النار ولو بشِقِّ تمرة ) ابن حنبل ٣٣٨/١ ، ٤٤٦ ، البخاري / بيوع ١ ، ومسلم / نكاح ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ( أولم ولو بشاة ) الموطأ / نكاح ٤٧ ، وابن حنبل ١٦٥/٣ ، ٢٧١ .. ، ( رُدُّوا السائل ولو بظِلف ) النسائي / زكاة ٧٠ ، وابن حنبل ٧٠/٤ ، ٣٨١/٥ ، ( بلّغوا عني ولو آية ) البخاري أنبياء ٥٠ ، والترمذي / علم ١٣ ، وابن حنبل ١٥٩/٢ ، ٢١٤ ، ( انظرْ ولو خاتما من حديد ) البخاري نكاح ٣٢/١٤ ، ٥٠ ، ومسلم نكاح ٧٦ ، والموطأ / نكاح ٨ .

وقد رأينا أن القرآن يستعمل " ولو " للإشارة إلى الحد الأقصى للمسألة ، ونضيف هنا أنه لم يستخدم قط في أي موضع منه " وإن " الشرطية التي عثرت على بعض شواهد لها في الأحاديث تدل في معظمها على الحد الأقصى (١٢٨) ومنها : ( والله إني رسول الله ولو كذبتموني ) البخاري / شروط١٥ ، ( أسلم وإن كنت كارها ) ابن حنبل ١٠٩/٣ ، ١٨١ ، ( وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس ) ابن حنبل ٢٣٨/٥ .

التركيب : إذا + ماض وفاعله + أمر أو مضارع طلبي جوابا للشرط (١٢٩) ؛

تكثر الآيات والأحاديث التشريعية والتوجيهية التي تتكون من التركيب السابق ، بي أن هناك فرقا بين هذا التركيب في القرآن وبينه في الحديث ؛ فعلى حين لا يكون الفاعل في القرآن إلا ضميرا أو اسم جنس معرّفا بأل نرى الفاعل في الحديث كثيرا ما يكون " أحدكم " أو " إحداكن " ، كما أن جواب الشرط في القرآن هو في كل الحالات تقريبا فعل أمر ، بينما هو في جميع شواهد الحديث النبوي تقريبا مضارع طلبي ؛ وهده أولا بعض شواهد القرآن : ( كُتِبَ عليكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ إن ترك خيرا الوصيةُ للوالدين والأقربين ) البقرة ١٨٠/٢ ، ( وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا ) النور ٥٩/٢٤ ، ( وإذا حَضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكينُ فارْزقوهم منه ) النساء ٨/٤ ، ( فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ) البقرة ١٩٨/٢ ، ( فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم )

البقرة ٢/٢٠٠ ، ( وإذا طلقتم النساء فبلغْنَ أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ) البقرة ٢/٢٣١ ، ( إذا قيلِ لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ..) المجادلة ١١/٥٨ ، ( إذا ناجيتم الرسول فقدِّموا بين يدَي نجواكم صدقة ) المجادلة ١٢/٥٨ ؛ ومن شواهد الحديث وفاعل الشرط فيها أحدكم أو إحداكن : ( إذا اشترى أحدكم الجارية فليقل.. ) ابن ماجه / تجارات ٤٧ ، ( إذا ضرَب أحدكم فليتجنب الوجه ) ابن حنبل ٢/٢٥١ ، ( إذا دُعِي أحدكم إلى الوليمة فليُجِبْ ) مسلم / نكاح٩٧،٩٨ ، وأبو داود / صوم ٧٤ ، وابن ماجه / نكاح ٢٥ ، والترمذي صوم ٦٣ ، وابن حنبل ٣/ ٣٩٢ ، (إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ) البخاري / أدب ١٢٦ ، والترمذي / أدب ٤ ، وابن ماجه / أدب ٢٠ ، ( إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ) الترمذي / دعوات ٦٤ ، وابن حنبل ١٨/٦ ، ( إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ) البخاري / دعوات ٢١ ، ومسلم / ذِكر ٨ ، ، وابن حنبل ١٠٧/٣ ، ( إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ) البخاري / وضوء ١٨،١٩ ، وأشربة ٢٥ ، ومسلم / طهارة ٦٣،٧٥ ...، ( إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها ) النسائي / قبلة ٥ ، وابن ماجه / إقامة ٣٩ ، وابن حنبل ٢/٤.

التركيب : عليك / عليكم بـ (١٣٠) ؛هذا التركيب الذي يمثل صيغة من صيغ الأمر عن طريق الجار والمجرور عليكم تعقبهما الباء ومجرورها لا وجود له في القرآن (١٣١ ) ، وإنما نجد فيه مثلا ( ١٣١ ) : ( كُتِب عليكم القتال ) البقرة ٢/٢١٦ ، ( عليكم أنفسَكم ) المائدة ١٠٥/٥ ، ( إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا مَّوقوتا ) النساء ١٠٣/٤ ، ( وعلى الوارث مِثلُ ذلك ) البقرة ٢/٢٣٣ ، ( قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ) الأحزاب ٥٠/٣٣ ، ولكن ليس فيه "عليكم بـ" ، هذا التركيب الذي تكرر وروده في الأحاديث ، وهذه بعض شواهده فيها (١٣٢ ): ( عليكم بالدُّلجة فإن الأرض تُطوَى بالليل ) أبو داود / جهاد ٥٧ ، الموطأ / استئذان ٣٨ ، ( عليكم بالإثمِد عند النوم ) ابن ماجه / طب ٢٥ ، وأبو داود / صوم ٣١ ، وابن حنبل ٥٠٠/٣ ، ( عليك بذكر الله وتلاوة القرآن ) ابن حنبل ٨٢/٣ ، ( فعليك بخاصة نفسك ودع العوامّ ) الترمذي تفسير سورة ١٨/٥ ، وابن حنبل ١٦٢/٢، ٢٢١ ، ( عليك بالطاعة في مَنْشَطك وفي مَكْرَهك ) النسائي / بيعة ٥ .

تراكيب تحتمل معنى الأمر:

مضارع مؤكّد باللام + أو + مضارع مؤكد باللام ؛ يحتمل هذا التركيب بفعليْه المضارعين المؤكدين باللام ، أو بأحدهما ، معنى الأمر ، ولعل الإتيان بطرفيه فعلين مضارعين من باب حفظ التوازن كما يقول الثعالبي.

" ورد هذا التركيب في عدة مواضع من القرآن .. كما ورد أيضا في الأحاديث النبوية ... وللوهلة الأولى نجد من الصعب اكتشاف أي فرق بين استعمال القرآن لهذا التركيب واستعمال الحديث له ، ولكن بعد تروية النظر ستجد أن هناك فرقا .. وهذه أولا الشواهد القرآنية : ( قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنُخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودُنَّ في ملتنا ) الأعراف٨٨/٧ ، ( وقال الذين كفروا لرسلهم لنُخرجنكم من أرضنا أو لتعودُنَّ في ملتنا ) إبراهيم١٣/١٤ ، ( وتفقَّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين .لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنَّه

أو ليأتيَنّي بسلطان مُبين ) النحل ٢٠/١٦،٢١ ؛ ثم هذه ثانيا الشواهد الحديثية: ( لتأمُرُنّ بالمعروف ولتَنْهَوُنّ عن المُنكَر أو ليسلطَنّ الله عليكم .. ) أبو داود/ ملاحم ١٦ ، والترمذي / فتن ٩، وابن حنبل ٣٨٨/٥،٣٩١ ، ( لَيَنتَهُنّ عن ذلك أو لتُخطَفَنّ أبصارُهم ) البخاري/ أذان ٩٢ ، ومسلم/ صلاة ١١٨ ، والنسائي/ سهو ٩، ٤٠ ، وابن ماجه/ إقامة ٦٨ ، وابن حنبل ٢٨/٥ ، ( لينتهيَنّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا .. أو ليكونُنّ أهون على الله من الحبل ..) البخاري/ مناقب الأنصار ٢٦ ، ومسلم/ إيمان ٣ ، والترمذي/ نذور ٨، ٩ ، ( لتأتيَنّي بالبيِّنة أو لأرميَنّك بالحجارة ) الموطأ / حدود ٢٠ ، ابن حنبل٩/٣، ١٩ ، ( لتُسَوُّنّ الصفوف أو لتُطمَسَنّ وجوهكم ) ابن حنبل ٢٥٨/٥،( لتَنتهيَنّ قريشٌ أو ليجعلَنّ الله هذا الأمر في جمهور من العرب ) الترمذي / فتن ٤٩ ، ( لينتهينّ رجال أو لأحَرِّقَنّ بيوتهم ) ابن حنبل ٢٠٦/٥ ، ( لتنتهُنّ أو ليبعثَنّ الله عليكم من يضرب رقابكم ) الترمذي / مناقب ١٩، " وهذا التركيب ، كما هو واضح ، يدل على أنه إذا لم يحدث كذا فسوف يقع كذا ، وعند ترديد النظر بين شواهد القرآن وشواهد الحديث نجد أنه على حين أن المُهدَّد به في الشواهد الحديثية يُذكَر في آخر الكلام فإنه في القرآن يُذكَر أو لا باطراد ، وحتى لو عثرنا على شواهد حديثية تجري على طريقة القرآن فيكفينا أن الحديث يستخدم ( على الأقل أحيانا ) هذا التركيب على نحو يخالف طريقة القرآن ، أما القرآن فإنه يلتزم خطة واحدة " (١٣٤) .

## الأمر بين العربية واللغات الساميَّة

هناك تشابه أوَّليّ بين صياغة الأمر في اللغة العربية ، وصياغته في اللغات الساميَّة ، إذ يُصاغ في العربية بحذف حرف المضارعة ؛ يقول ابن يعيش " وأما صيغته فمن لفظ المضارع ، فيُنزَع منه حرف المضارعة ، فإن كان ما بعد حرف المضارعة متحركا أبقيته على حركته .. " (١٣٥) ؛ ويخالف ابن يعيش بهذا الرأي ما سبق أن ذكرناه من مذهب البصريين الذين يرون فعل الأمر صيغة مُرتجَلة قائمة بنفسها ، ويؤكد ابن يعيش اقتطاع الأمر من المضارع بقوله : " الأصل في الأمر أن يدخل عليه اللام وتَلزمه لإفادة معنى الأمر ، إذ الحروف الموضوعة لإفادة المعاني كلا في النهي ولم في النفي إلا أنهم في أمر المخاطب حذفوا حرف المضارعة للغُنْيَة عنه بدلالة الحال وتخفيفا لكثرة الاستعمال ، ولما حذفوه لم يأتوا بلام الأمر لأنها عاملة ، والفعل بزوال حرف المضارعة منه خرج عن أن يكون مُعْرَبا فلم يدخل عليه العامل ، وما عدا المخاطب من الأفعال المأمور بها تلزمها اللام لأنه لم يَجُز حذف حرف المضارعة منه لئلا يُلبس ولعدم الدليل عليه ... وإذا لم يَجُز الحذف مع المخاطب فأن لا يجوز مع الغائب أولى.. وكذلك لو كان الأمر لغائب أو متكلم لم يكن بُدٌّ من اللام .. وذلك من قِبَل أن حرف المضارعة يَلزم هنا للدلالة على المقصود منه ، وإذا لزم حرف المضارعة وجب الإتيان بلام الأمر لإفادة معنى الأمر وكان

المحل قابلا من حيث كان مُعربا لما فيه من حروف المضارعة وربما حذفوا هذه اللام في الشعر .. " (١٣٦).

كما ينص السيوطيّ على أن الأمر مقتطع من المضارع " .. إذ أصل *افعَلْ لِتَفعَلْ* ، كأمر الغائب ، ولما كان أمر المخاطب أكثر على ألسنتهم استثقلوا مجيء اللام فيه فحذفوها مع حرف المضارعة طلبا للتخفيف مع كثرة الاستعمال" (١٣٧).

والقول باقتطاع الأمر من المضارع مذهب تؤكده مقارنة العربية بأخواتها الساميَّة ، لا أن الأمر صيغة مرتجَلة كما ذهب البصريون (١٣٨) ، كما تؤكده مشابهات بين طريقة صياغة الأمر في بعض اللغات السامية ، وطريقة صياغته في بعض العاميات العربية التي هي امتداد للهجات عربية قديمة صاحبت الفصحى على مر الزمن ؛ ولعل من الأمور الأساسية فيما نشير إليه من التشابه المذكور مسألة سقوط النهايات الإعرابية من أواخر الكلمات ، أسماء كانت أو أفعالا ، فضلا عما يحدثه اختلاف النبر في أحد المستويات اللغوية بإزاء النبر في مستوى آخر كالفصحى مثلا .

وإذا كان الأمر في الفصحى يؤخذ من المضارع بحذف حرف المضارعة ، مع زيادة ألِف في أول الفعل إذا كان يبدأ بالساكن ، فإنه يحدث الشيء نفسه في العبرية ، إذ يُحذف حرف المضارعة ، غير أن نظام العبرية يسمح بالبَدْء بالساكن أو بشبه الحركة ، وهو ما يتحقق عند إسناد الأمر إلى ضمير المخاطب المفرد ؛ فمن الفعل المضارع يؤخَذ الأمر ، وكذلك عند إسناد الأمر إلى ضمير المخاطبات ، فمن المضارع يؤخذ الأمر ، أما عند إسناد فعل الأمر إلى سائر الضمائر فإن الحرف الأول فيه يُحرَّك بالكسر ، وإذا كانت فاء الفعل عند الإسناد إلى ضميرَيْ المخاطب وجماعة المخاطبات في حالة سكون أو شبه حركة ، فإنها صارت مع غيرهما تحرَّك بالكسر لئلا يلتقي ساكنان في أول الفعل ، وهي طريقة الفصحى سواء في بَدْء الكلمة أو وسطها إلا فيما يسمّيه علماء القراءات والأصوات بالتقاء الساكنين على حَدِّه ، فيصير فعل الأمر في العبرية مع ضمير المخاطبة المفردة من المضارع

وتَجمع بعض اللهجات العربية المعاصرة بين طريقة الفصحى وطريقة العبرية في صياغة فعل الأمر ، فتأخذ من الفصحى زيادة ألف الوَصل ومن العبرية تحريك فاء الفعل بالكسر ، فنسمع في صعيد مصر مثلا " إكِتْبوا " و " إكِتْبي " ، مع ملاحظة أن الواو في لهجات مصر وبعض اللهجات العربية صارت تُستَعمَل مع الجمع بنوعَيْه أيضا .

وإذا كانت أنظمة المقاطع في العِبْرِيَّة والسريانية كذلك تجيز البَدْء بالساكن أو بشبه الحركة ، فإن بعض اللهجات العربية يحدث فيها ذلك أيضا ، ومن هذا ما رصده الدكتور عبد العزيز مطر في لهجة البدو في ساحل مصر الشمالي ، وقد لاحظ أن هذه الظاهرة تتحقق في ألفاظ كثيرة ، منها أفعال مثل قولهم: وْصَفْ ، مْلا (١٣٩) ، دْبَحَهْ ، زْرَعَهْ ، طْبَخَهْ ، كْرَهَهْ (١٤٠) ، ومصادر أو أسماء مثل : تْجارَةْ ، نْعيق ، رْكوب ، قْعود (١٤١) ، وظروف أو أدوات مثل : تْحَتِهْ ، قْبَلِه ، بْعَدِهْ ( ١٤٢)، بسكون الفاء فيما سبق جميعا .

ويشيع البدء بالساكن كذلك فيما رصدناه عند دراستنا لهجة حائل ونجد ، سواء في الجوامد وأسماء الأعلام مثل : أهْلَهْ ، أهْلِي ، ولِدْة ، دْعَفس ، يْحَيا، زْهَوَة ، ضْحَيَّة ، ضْحَوي ، غْدَيِّر ، عْزَيِّز ، مْحِيميد ، ورْقِه ، أو في الأفعال مثل : تْخَبَرْ ، تْعَرف ، كْتَبْة ، الله يْهَدَاك ، جْلِسُوا ، بسكون الفاء وحرف المضارعة فيها جميعا (١٤٣) .

ولعل نظام النبر في هذه اللهجة أو في تلك مع الميل إلى السهولة في النطق مما أوجد هذه الظاهرة ، فربما يكون ضعف النبر أو إهماله على المقطع الأول سببا في تسكين أول الكلمة ، مما يؤدي إلى نشوء نوع من المقاطع يسميه بعض المستشرقين المقاطع الفرعية (١٤٤) ، وهو ما لم ينل اعترافا من علمائنا الأوائل .. بل انعقد الإجماع أو كاد على أنه لا يجوز البَدْء بالساكن (١٤٥) .

غير أن وجود هذه الظاهرة في لهجات عربية معاصرة ، هي امتداد للهجات قديمة ، يؤكد أن العربية عرفت على امتداد تاريخها ضربا من الازدواج اللغوي في جوانب اللغة المختلفة ؛ بل إن الدكتور إبراهيم أنيس يُرَجِّح أنه كان للعرب حتى قبل الإسلام مستويان في اللغة ، مستوى أدبي تمثله لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وشعر الشعراء وخُطَب الخطباء وما كتبه الكُتَّاب ، وتلك هي اللغة النموذجية الأدبية المشتركة ، وأما المستوى الآخر فهو مستوى الكلام العادي أو لهجات الخطاب التي اختلفت فيها القبائل بعض الاختلاف ، والتي تضمنت صفات محلية سماها العلماء القدماء لغات العرب أو لهجاتهم .. هذه اللهجات العربية القديمة هي التي وفدت مع أهلها إلى الأمصار بعد الفتح الإسلامي وشكّلت كلام كل مِصْر بشكل خاص ، لاسيما بعد اصطدامها باللغات التي كانت سائدة في تلك الأمصار وخروجها من هذا الصراع منتصرة ، ولكن في نفس الوقت متأثرة بشيء من صفات تلك اللغات المندثرة (١٤٦).

ويلاحظ بعض الباحثين أن العربية تشارك كلا من السريانية والعبرية ظاهرة حذف أو إدغام فاء العين أو عينه في صيغة الأمر كما في صيغة المضارع ؛ ففي العربية تُحذَف فاء الفعل إذا كانت واوا في مثل *وعَدَ يعِدُ عِدْ ، وثَبَ يثِبُ ثِبْ* ، وتُحذف إذا كانت همزة كما في *أخذَ يأخُذُ خُذْ ، أمرَ يأمرُ مُرْ* (١٤٧).

والحق أن ذلك ليس مطردا في الفعل *أمر* ؛ ويبدو أن السياقات التي يرد فيها في فصحى القرآن الكريم مثلا لا توجب البَدْء به ، ولذا لم تَدْعُ ضرورة إلى إعلال همزته بقلبها واوا فيقال *اومُرْ* أو بحذفها فيقال *مُرْ* مثلما حدث مع الفعل *أخذ*، الذي ورد حذف همزته في أول الكلام في صيغة الأمر مثل الآية ( خُذِ العفوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعرضْ عن الجاهلين ) الأعراف ١٩٩/٧ ، بل تُحذف همزة *أخذ* في الوصل كذلك ، كالآية ( قال فخُذْ أربعة مِّن الطير فصُرْهنّ إليك .. ) البقرة ٢/ ٢٦٠ ؛ ويبدو أن تباعُد مَخْرَجَيْ الهمزة والميم في صيغة الأمر من *أمرَ* في الوصل ، بخلاف القرب النسبي بين مخرجي الهمزة والخاء وهما من حروف الإظهار الحلقيّ عند القُرّاء ، مما يَحسُن معه حذف الهمزة إذا سبقت الخاء ، أما في البَدء فلا بد من اجتماع الهمزتين في الفعلين وهو الأمر العسير الذي تفر منه الفصحى بحذف الهمزتين كلتيهما من *أؤْخُذْ* ابتداءً ووصلا لوجود الخاء كما قلنا ، وبحذف همزة واحدة من *أؤْمُرْ* وَصْلا كالآية ( وأمُرْ أهلك بالصلاة ) طه ١٣٢/٢٠ .

والمعروف في قواعد الإعلال في الفصحى قلب الهمزة الثانية مَدًّا من جنس حركة الهمزة الأولى في تصريفات الكلمة كما في الآية ( وآتِينَ الزكاة ) الأحزاب ٣٣/٣٣ ، والأصل *أَأْتِينَ* ، والآية ( وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ) الأنبياء ٢١/٧٣ ، والأصل *إِئْتاء* ، والآية ( نبذ فريقٌ مِّن الذين أوتوا الكتاب ) البقرة ١٠١/٢ ، والأصل *أُؤْتُوا* ؛ بخلاف بقاء الهمزة الساكنة دون إعلال ما لم تسبقها همزة ، كالآية ( ويُؤتُون الزكاة ) المائدة ٥٥/٥ . وكل ما سبق على غير القراءة بتسهيل الهمزة في الوصل مطلقا ، وذلك كالذي أورده الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عن جعفر عن أبي جعفر وشيبة أنهما لم يهمزا *وَسَلْ* و*لاتسَلْ* (١٤٨) كما في قراءة الآية ( وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ) النساء ٣٢/٤ .

وفي العبرية تُدغَم فاء الفعل إذا كانت نونا أو لاما لوقوعها بين متحركين ، كما في נָגַשׁ יִגַּשׁ גַּשׁ ، לָקַח יִקַּח קַח (١٤٩) ، وفي السريانية تُحذَف فاء الفعل إذا كانت نونا كما في ܢܦܩ ، ܢܦܘܩ ، ܦܘܩ (١٥٠)

وفي السريانية كذلك أنه إذا كانت عين الفعل همزة فإنها تسقط في نطق كلا المضارع والأمر ، في الفعل ܐܙܠ ، ܢܐܙܠ ، ܙܠ (١٥١).

ويُلاحَظ أن النظير العربي لهذا الفعل *سأل* تسقط همزته إذا ابتُدئ به وتبقى في الوصل ؛ مثال الحالة الأولى قوله تعالى ( سَلْ بني إسرائيل ) البقرة ٢١١/٢ ، ومثال الأخرى ( واسأل القرية التي كنا فيها ) يوسف ٨٢/١٢ ، كما تُدغَم عين الفعل في السريانية إذا كانت لاما ووقعت بعد حرف صفير ساكن مثل ܣܠܩ ، ܢܣܩ ، ܣܩ (١٥٢).

وتُدغَم فاء الفعل في العبرية في كل من المضارع والأمر إذا جاءت لاما كما في לָקַח " יִקַּח " קַח ، وتُحذَف إذا كانت ياء مثل יָרַד " יֵרֵד " רֵד ، יָשַׁב " יֵשֵׁב " שֵׁב (١٥٣).

ويتوافق زمن الأمر وزمن المضارع خصوصا في العبرية والسريانية ، فزمن الأمر هو المستقبل كذلك فيهما ، كما أن المضارع في العربية يدل على الحالية مع توقع الاستمرار في المستقبل (١٥٤) ، وهو عند بعض النحاة يسمَّى الحال ، وهو عندهم مستقبل في الحقيقة " لأنه يكون أوَّلا ، فكل جزء منه خرج إلى الوجود صار في حيز المُضيّ ، فلهذه العلة جاء فعل الحال بلفظ المستقبل .. فإن أردت أن تخلصه للاستقبال أدخلت عليه السين أو سوف .. فيصير مستقبلا لاغير " (١٥٥).

معنى ذلك أن الأمر في العربية يدلّ بصيغته على المستقبل ، وأن المضارع ، أو فعل الحال عند بعض النحاة ، صالح بصيغته للدلالة مع الحال على المستقبل ، غير أنه يتمحَّض للمستقبل بقرينة في الجملة كالسين أو سوف أو غدا .. الخ.

ويلاحظ موسكاتي تطابق أشكال الأمر في السامية الغربية شماليِّها وجنوبيِّها في الفروع المشتقَّة بصورة عامة وأشكال المضارع بدون سوابقها ، وأي مخالفة لتلك القاعدة ترجع في الغالب إلى ظهور الصائت المزيد في أول الكلمة (١٥٦).

وقد تُستعمَل صيغة المضارع في العبرية للدلالة على الأمر كما تدل بعض السياقات مثل יָגֵל לִבִּי " ليبتهجْ قلبي " ( المزمور الثالث عشر ) ، فالكلمة الأولى فعل مضارع مقصود به الأمر للرجاء ، وهو المضارع المقطوع في العبرية

، مثل المجزوم بلام الأمر في العربية ، ولذلك عُدل عن الصيغة الأصلية للفعل وهي יְבָרֵךְ إلى יְבָרֶךְ (١٥٧) ، ومثل יִתֵּן יְהוָה לָכֶם (روث ٩) ، والمقصود : " لِيهبكما الله " (١٥٨) ؛ وقد يخرجُ الأمر في العبرية إلى معنى الدعاء في مثل וּמְצֶאןָ מְנוּחָה " وجِدْنَ راحة " (١٥٩) (روث ٩).

وفى العربية الفصحى أمثلة عديدة لاستعمال المضارع بمعنى الأمر كالآية الكريمة( والمطلقات يتربَّصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثة قروء ) البقرة ٢٢٨/٢ ، " هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلَّقات المدخول بهنّ من ذوات الأقراء بأن يتربصْنَ بأنفسهن ثلاثة قروء ، أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء ثم تتزوج إن شاءت .. " (١٦٠) ، فالمضارع في الآية " خبر في معنى الأمر ، أي لِيتربصْنَ ، قُصِدَ بإخراجه مُخْرَجَ الخبر تأكيد وقوعه وزاده توكيدا وقوعه خبرا للمبتدأ ..." (١٦١) ، وقيل مثل ذلك في الآية ( والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهنَّ حَولين كاملين لمن أراد أن يُتِمَّ الرَّضاعة) البقرة ٢٣٣/٢ (١٦٢).

كذلك يخرج الأمر فى الفصحى إلى الإخبار في أحد لفظي التعجُّب ، نحو " أكرِمْ بزيد وأعلِمْ به .. فاللفظ في هذا لفظ الأمر والمعنى معنى الإخبار ، المعنى : صار ذا كرَم وذا عِلْم ، والجار والمجرور في موضع رفع بأنه فاعل ، كما أنهما كذلك في قولهم : كفى بالله وما جاءني من رجل . قال الإمام أبو بكر : اعلَمْ أنّ قولك : *أكرِمْ بزيد* الأصل فيه : أكرَمَ زيدٌ أي صار ذا كرَم ، ثم إنه نُقِل إلى صيغة الأمر وأُدْخِل الباء مَزيدةً ليختص بالتعجب ، فقولك *بزيد* في موضع رفع لأن الباء زائدة ، وشبهه بقولهم: *كفى بالله* أي أن الأصل : كفى اللهُ والباء زائدة ، وإذا قلت : كفاك بهم رجالا كان قولك *بهم* في موضع رفع بأنه فاعل ، إلا أن الباء المزيدة لما عملت الجر في اللفظ كان الضمير هنا بمنزلته إذا كان مجرَّدًا على الحقيقة .. (١٦٣) ، والفصل بين *كفى الله* و*أكرِمْ بزيد* أن الأصل الذي هو الرفع يُستعمَل في *كفَى* فيقال *كفى اللهُ* ، وكذا *ما جاءني رجلٌ* ، و *حَسْبُك زيدٌ* ، ولا يُستعمَل في *أكرِمْ بزيدٍ* الرفع تنبيها على التعجب ، وقصدوا أن تكون الصيغة مخصوصة.

الدليل على أن أصل *أكرِمْ بزيدٍ : أكرَمَ زيدٌ* ، على الإخبار بعلوّ رتبته في الكَرَم وأنه صار بحيث يُنْسَب إليه فيُقال *زيد صاحب كرم* ، أنك تقول *: يا رجل أكرِمْ بزيد ، ويا رجلان أكرِمْ بزيد ، ويا رجال أكرِمْ بزيد ، ويا هندان أكرم بزيد ، ويا نسوة أكرِم بزيد* ، ولا تقول *أكرِما وأكرِموا وأكرمي وأكرِمْنَ* لأنه إخبار كقولك *يا رجال أكرَمَ زيدٌ* (١٦٤) ، وليس للمخاطبين حظ في الفعل فيُضمَروا فيه ، وإنما الفعل لزيد، ولو كان على الظاهر لوجب أن يُقال *أكرِما وأكرِموا* كما يقال *اضرِبا واضرِبوا*، وعكس هذا قولهم *غفَرَ الله لزيدٍ* لأن المعنى *اللهمَّ اغفِرْ لزيد* ، فاللفظ على الخبر والمعنى على الدعاء كما أنّ *أكرِمْ بزيدٍ* لفظه لفظ الأمر والمعنى معنى الخبر(١٦٥)

وقد ذكر السيوطيّ أن صيغة الأمر ترد حقيقة في الإيجاب مثل ( أقيموا الصلاة- فلْيُصلُّوا معك ) كما ترد مجازا لمعانٍ فصَّل القول فيها بأمثلتها مثل النَّدْب والإباحة والدعاء من السافل للعالي والتهديد والإهانة والتسخير والتعجيز والامتنان والعُجب

التسوية والإرشاد والاحتقار والإنذار والإكرام والتكوين والإنعام والتكذيب المشورة والاعتبار والتعجُّب (١٦٦) .

كذلك يقع الأمر موقع الخبر كالآية ( فليَمْدُدْ له الرحمن مَدًا ) مريم ٧٥/١٩ ؛ المعنى أنّ من كان في الضلالة مدَّ له الرحمن أي أمهله وأملى له في العمر ، أُخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا مَحَالة (١٦٧) ، وهذا اللفظ فظ الأمر ومعناه الخبر لأن القديم لا يأمر نفسَه (١٦٨) .

أما في السبئية فإنّ " من المشكوك فيه وجود شواهد على الأمر الخطابي المباشر ، غير أن من الشائع استخدام المضارع المجزوم بلام الأمر وذلك الدالّ على الرجاء ، وهما يُسبقَان باللام عادةً مثل " لِتقدّمْ فخِذا للإله " ،

R 4782 : 1 Wl YHBTN L>LHN FHDm

" لذا فليُعذبْ " ، N 74: 13 wl ycbdn

wlysıcdnhmy ncmtm ، " ولعله يَهَبُهم نعمة " (١٦٩) .

ويندر في السبئية المضارع الدالّ على الطلب بغير اللام ، لكنْ ثَمَّ شاهد عليه في (١٧٠):

J 736 : 13-16 wyhmrhmw wyntcnhmw " وليهبَهم .. وليُخلّصنهم "

## الأمر بين العربية والإنجليزية

تُستعمَل صيغة الأمر في الإنجليزية The imperative mood للأمر العادي Command مثل: اذهبْ إلى المحل وامُرْ بآلة كاتبة ، وللجهات directions مثل: اتّجهْ يمينًا عند إشارة المرور التالية ، وللطّلب request مثل: من فضلك رُدّ على خطابي (١٧١

وهناكَ مَن يجعل أغراض صيغة الأمر في الإنجليزية ثلاثة ، هي الأمر العادي command مثل : انتَبِهْ،انهضْ! أو لتسقطْ إلى الأبد! ، والنصح أو الحث precept or invitation مثل : اذهبْ إلى النمل أيها الكسول ، اعتَبِرْ بأساليبها وكنْ حكيما ( العهد القديم )، والتوسل أو الدعاء Entreaty or prayer مثل: ارزقنا هذا اليوم خبزنا اليومي ( دعاء الرب ) (١٧٢).

ويُستَعمَل الأمر في صيغة المضارع فقط للمخاطب، ونادرا ما يُذكَر الفاعل، ويكون ذِكره عندما يراد توكيده مثل : أنت تأخذ ( خُذ ) التفاحة الكبرى ، وسوف آخذ الصغرى (١٧٣). Ibid.

ويشبه ذلك ما في العربية من إضمار ذكر الفاعل لفعل الأمر للمفرد المخاطب ، مع جواز ذكر الضمير العائد عليه على سبيل التوكيد مثل الآية الكريمة : ( فاذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا ) المائدة ٢٤/٥ ، مع ملاحظة أن صيغة الأمر في العربية تتضمَّن ضمير الفاعل المستتر مع المخاطب المفرد ، أو ضميره البارز مع المخاطبة والمخاطب المثنى وجمع المخاطبين والمخاطبات ؛ غيرَ أنَّ المخاطب بتعدُّده نوعًا وعددًا تعبر عنه الإنجليزية بضمير واحد هو you (١٧٤)

وهو ما يجعل

السياق ضروريًا لإزالة الإبهام الناشئ عن عموم هذا الضمير.

ويندرج الأمر باستعمالاته ومقاصده في الإنجليزية ، ضمن طائفة الأفعال المساعدة والتعبيرات المُشْبِهَة لها similar &Modal Auxiliaries Expressions ، إذ هو أدنى إليها من الأفعال المتصرفة.(١٧٥).

أما عند أمر المتكلم نفسَه أو أمره غائبًا ( مفردًا مذكرا وغيرَه ) ، فإن الإنجليزية تَسلك أحد طريقيْن : إمّا استعمال الفعل المتعدي let قبل الفعل المراد الأمر به ، وإمّا توظيف ما يُسمَّى في الإنجليزية the subjunctive mood ، وهو في العربية على معنييْن : صيغة الشرط أو التمنّي أو الدعاء ، وصيغة المضارع المنصوب (١٧٦). ( معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، وضع د. محمد حسن باكلا وآخرين، مكتبة لبنان- بيروت،ط١ ١٩٨٣ ، ص٨٨).

أما في العربية فإن استعمال نظير هذه الصيغة لا يزيد عن استعمال المضارع بمعنى الأمر ، وهو كثير في الأساليب العربية كالآيتَيْن ( والمطلّقاتُ يَترَبَّصْنَ بأنفسهن ثلاثة قُروء ) البقرة٢٢٨/٢ ، ( والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادَهنَّ حَولَيْن كاملَيْن..) البقرة٢/ ٢٣٣ ، فضلا عن أن الاستعمال الواسع للام الأمر يتيح تصرُّفا للفعل الذي تلحق به ، فيكون أمرا للمتكلم نفسه وللمخاطب والغائب نوعا وعددا مع إمكان تَبَيُّن فاعل كلٍّ من أولئك بضميره الذي يلحق بالفعل أو بظهور الفاعل اسما صريحا.

ويبدو أن العربية تستعمل المضارع المؤكَّد بالنون للتعبير به عن أمر المتكلم نفسَه في مثل الآية (.. قال لأقتلنَّك ) المائدة٢٧/٥ ؛ أمّا أمر المخاطب فمنه ( أقم الصلاة لدلوك الشمس.. ) الإسراء٧٨/١٧ ، ( فاستقيما..) يونس٨٩/١٠ ،( وأقيموا الصلاة..) البقرة٤٣/٢ ، ( وقَرْنَ في بيوتكن..) الأحزاب٣٣/٣٣؛ وأما أمر الغائب فمنه( ولتكن منكم أمة..) آل عمران١٠٤/٣ ، (.. ولْيَطَّوَّفوا بالبيت العتيق ) الحج٢٩/٢٢ ، ( لِيُنفقْ ذو سَعَةٍ مِّن سَعَتِه ..) الطلاق٧/٦٥.

وتشترك اللغتان – بل ربما لغات البشر جميعا- في الاحتكام إلى السياق لتحديد مقاصد استعمال صيغ الأمر، كما تؤثر نية المتكلم أيضا في تحديد نوع المعنى المراد التعبير عنه بها، وقد تعددت مقاصد استعمال الأمر في العربية، وميَّز النحاة والبلاغيون بين ما يدل من الأمر على طلب الفعل بصيغته ، وهو أمر المخاطب ، وبين ما يدل عليه لا بصيغته بل بأداة اللام ، وهو للغائب ، فالأول يُستعار لمعان أُخَرَ ، كما ينص محمد بن علي الجرجاني (١٧٧) ، أهمها :

_ الإباحة، نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين ، وقول كُثَيِّر :

أسيئي بنا أو أحسني لا مَلُومة    لدينا و لا مَقْلِيَّةَ إن تَقَلَّتِ

التهديد، نحو: ( اعملوا ما شئتم ) فُصِّلَت ٤٠/٤١ .

التعجيز، نحو: ( فأتُوا بسورةٍ مِّن مِّثْلِه.. ) البقرة ٢٣/٢ .

التسخير ،نحو ): كُونُوا قِرَدَةً خاسئين ) الأعراف ١٦٦/٧ .

الإهانة ، نحو: ( كونوا حجارةً.. ) الإسراء ٥٠/١٧ ، ( ذُقْ إنك أنت العزيز الكريم ) الدخان ٤٩/٤٤ .

التسوية، نحو ( أنفقوا طَوعًا أو كَرهًا) التوبة ٥٣/٩.

التمنّي ، نحو : ألا أيها الليل الطويل ألا انجَلِ (١٧٨) *( ديوان امرئ القيس ١٨ )*

الدعاء ، نحو : ( رَبِّ اغْفِرْ لي..) نوح ٢٨/٧١ .

الالتماس ، نحو : افعلْ كذا ، لِمَنْ يساويك بدون استعلاء .

ويضيف بعض اللغويين إلى استعمالات الأمر في الإنجليزية ما يسميه التعبير عن الافتراض Supposition وهو شيء يقترب من الشرط في مثل العبارة take care of the pence , and pounds will take care of themselves. ، والمعنى : حافظ على البنس تحافظ الجنيهات على أنفسها ، وهو ما يمكن صياغته في العبارة الشرطية : إن تحافظ على البنس ...الخ. (١٧٩)

وهذا ما نص عليه النحاة العرب من اعتبار الأمر متضمنا للشرط ، ولذا يُجزَم الفعل المضارع في جوابه كما يُجزَم في جواب الشرط.

ويُستعمَل الأمر في الإنجليزية أحيانا بصورة مطلقة absolutely معترضا في الجملة الأصلية معزولا عنها في مثل A large number of people , say a hundred , are working on the railroad: يعمل عدد هائل من الناس ، قُل مائة ، في طريق السكك الحديدية .

## الهوامش

١- اللسان ( أمر ) .
٢- كتاب الأفعال ، تحقيق علي فودة ، ط٢ ١٩٩٢م ، نشر الخانجي بالقاهرة ص٩،٧٨ .
٣- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، نشر دار زاهد القدسي بالقاهرة ، بلا تاريخ .
٤- معاني القرآن للكسائي ١٨١ ؛ وقد رصد بعض الباحثين المعاصرين ان أمر يأمُر ( باب نصر ) هو التكليف والإشارة بالأمر وان أمِر يأمَر ( باب فرح ) ومصدره إمارة معناه صيرورة الشخص أميرا . معجم الأفعال الثلاثية المعاصرة ، إعداد سليمان فياض ، دار المريخ للنشر بالرياض ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص٦٤ .
٥- إعراب القرآن للنحاس ٣٩٠/٣ ، وبعده : " قال أبو جعفر : لا يجوز حذف الباء عند البصريين في كلام ولا شعر ، ونسب الطبري هذا القول إلى أحد نحويّي الكوفة " تفسير الطبري ط بيروت ص ٤٧٨٤ ، وانظر : معاني القرآن للكسائي ١٣٢،١٧٦ .
٦- اللسان ( أمر ) .
٧- اللسان ( أمر ) .
٨- اللسان ( أمر ) .

٩- مدرسة الكوفة للدكتور مهدي المخزومي ٣٣٧ .
١٠-همع الهوامع ٣٠/١ .
١١- مدرسة الكوفة ٣٣٧ .
١٢- انظر شرح الأشموني ١٢٨/٣ ، ومدرسة الكوفة ٣٣٨ .
١٣- مدرسة الكوفة ٣٣٨ .
١٤- شرح المفصل لابن يعيش ٥٨/٧ .
١٥- شرح المفصل ٥٨/٧ .
١٦- شرح المفصل ٥٩/٧ .
١٧- شرح المفصل ٥٩/٧ ، ومعاني القرآن للكسائي ٥٩ .
١٨- شرح المفصل ٥٩/٧ .
١٩-شرح المفصل ٥٩/٧
٢٠-انظر معاني الحروف للرماني ٥٧ هامش(١) ، والهمع ٥/٢ ، والأشموني ٣/٤ .
٢١-الكتاب ٨/٣ وشرح المفصل ٦٠/٧ ، و ٢٥،٢٤/٩.
٢٢-الكتاب ٨/٣ وشرح المفصل ٦٠/٧.
٢٣-الكتاب ٩/٣ .
٢٤-الكتاب ٩/٣ وشرح المفصل ٢٥/٩ .
٢٥-معاني القرآن للفراء ٤٦٨،٤٦٧/١ ومعاني القرآن للكسائي ٥٩ .
٢٦-شرح المفصل ٦١/٧ .
٢٧-همع الهوامع ٤٤٤/٢ .
٢٨-همع الهوامع ٤٤٤/٢ .
٢٩- زيادة ليست في الأصل يقتضيها السياق .
٣٠- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لابن السيد البطليوسي ٢١،٢٠ .
٣١- الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٨٦- ٨٧ .
٣٢- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ١ ورقة ٤٩٣ نقلا عن الإيضاح ، هامش ص٨٦ .
٣٣- الإيضاح ٨٥ .
٣٤- شرح كتاب سيبويه ٢،١ نقلا عن الإيضاح ، هامش ٣ ص٨٥ .
٣٥- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل الساقي ، نشر الخانجي١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م ، ص٧١،٧٠ ، وانظر ما يليهما من عرض لحد الفعل عند النحاة .
٣٦- أقسام الكلام العربي ٨٢،٨١ .
٣٧- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للإمام محمد بن الطيب الفاسي ، تحقيق وشرح د. محمود فجال١/ ٣٠١،٢٩٨ .
٣٨- همع الهوامع ٣٠/١ .
٣٩- شرح الكفراوي على متن الأجرومية ٤٠ .
٤٠- من أسرار اللغة ١٧٥ .
٤١- أسماء الأفعال .. ، ١٩٨ .
٤٢- في الأصل : والحركة ، وهو تحريف .
٤٣- المقتصد في شرح الإيضاح ١٨٠/١ .
٤٤- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، ط الحلبي ١٣٥٩هـ /١٩٤٠م ، ٣/١ .
٤٥- حاشية الخضري ٣٢/١ .
٤٦- انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ٣٠ .
٤٧- الإنصاف ٣١٦/٢ .
٤٨- الإنصاف ٣١٥،٣١٤/٢ .
٤٩- الإنصاف ٣١٧/٢ .
٥٠- الضروري في النحو لابن رشد ، تحقيق د. منصور عبد السميع ، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ص١٠٥ .
٥١- المقتصد في شرح الإيضاح للإمام عبد القاهر الجرجاني ١٣٦/١ .
٥٢- المقتصد في شرح الإيضاح ١٠٤٥،١٠٤٤/٢ .
٥٣- شرح المفصل ٤٨/٧ ، وانظر الكتاب ٩٣/٣-٩٩ .
٥٤- شرح المفصل ٤٨/٧ .
٥٥- شرح المفصل ٤٨/٧ .

٥٦- شرح المفصل ٤٨/٧ .
٥٧- شرح المفصل ٤٨/٧ .
٥٨- معاني القرآن للفراء ١٥٤/٣ ، وانظر التبيان للعكبري ١٢٢/٢ .
٥٩- شرح المفصل ٤٩/٧ .
٦٠- اللغة ، فندريس ، ١٨٢ وما يليها .
٦١- اللغة ، فندريس ، ١٨٦ .
٦٢- اللغة ، فندريس ،١٨٨،١٩١،١٩٦ .
٦٣- شرح المفصل ٥٥/٧،٥٦ ؛ والذي في كتاب سيبويه ٣ /١٠٠ بيت زهير فقط .
٦٤-كتاب سيبويه ٣ /١٠١ ، وفي قراءة أبي عَمرو ( فأصَّدَّقَ وأكونَ ) ، وقراه الباقون بالجزم وحذف الواو ؛ انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لمكّيّ بن أبي طالب ٣٢٢/٢ ، وفي التبيان ١٢٢٥/٢ وهامشه : قُرئ بالنصب عطفا على ما قبله .. ويُقرَا بالجزم حملا على المعنى وهو أنه عطفه على موضع *فأصَّدَّقَ* لأنه حواب التمني ، وحواب التمني إذا كان بغير فاء ولا واو مجزوم ، ففيه مضارعة للشرط وجوابه .
٦٥- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٧٥/٨ .
٦٦- انظر التوهم عند النحاة ، د. عبد الله أحمد جاد الكريم ١٥٢ ، والشاهد في مغني اللبيب ٥٥٠/٢ ، واللسان ( علل ) .
٦٧- البحر المحيط ٥٠٩/٣ ، نقلا عن : التوهم عند النحاة ١٥٣ .
٦٨- انظر التوهم عند النحاة ١٦١ .
٦٩- انظر الحمل على المعنى عند العرب ، د. محمد يوسف حبلص ، حوليات دار العلوم ١٩٩٢/٩١ ، ص ١٥٢ ، نقلا عن التوهم عند النحاة ٢٤١ .
٧٠- انظر النحو والدلالة ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ٨٦.
٧١- مغني اللبيب ٥٥٣ وحاشية الدسوقي ١٢٣/٢ .
٧٢- انظر قول على قول في التوهم في النحو العربي ، د. محمد أحمد رشوان ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٦/١٤هـ .
٧٣- السابق .
٧٤- معاني القرآن للكسائي ٢٢٢ .
٧٥- التبيان في إعراب القرآن ١١٦/٢ .
٧٦- التبيان في إعراب القرآن ١١٠٤/٢ .
٧٧- البيان في إعراب غريب القرآن ٣١٧/٢ .
٧٨- مشكل إعراب القرآن ٢٥٢/٢ .
٧٩- التبيان ١٢٢/١ ؛ وهو يشير إلى قوله تعالى ( وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) البقرة ١٣٥/٢ .
٨٠- الضروري في النحو ١٠٦ .
٨١- الضروري ١٠٦،١٠٧ .
٨٢- الضروري ١٠٩ ، والنص في كتاب سيبويه بشيء من الاختلاف ، والتقدير عنده : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا . الكتاب ٢٥٥/١ .
٨٣- الكتاب ٢٥٥/١،٢٥٦ ؛ وعلق محقق الكتاب في الحاشية بأن الظباء منصوب على معنى اخترت أو أختار الظباء على البقر .. وكان أجدر بسيبويه أن يذكر المثل الآخر " الكلاب على البقر " . انظر مجمع الأمثال للميداني ١٤٢/٢ .
٨٤-الكتاب ٢٤١/١ .
٨٥-الكتاب ٢٤٩/١ .
٨٦- الكتاب ٢٤٩/١ ، الحاشية ٢.
٨٧- الضروري ١٠٥ .
٨٨- كتاب حروف المعاني والصفات لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠١هـ-١٩٨٢م ، ص٢٤ .
٨٩- البيت للحموح الظفري ، اللسان "رود" ١٨٩/٣ .
٩٠- انظر المغني ١٢٣/١ ، والجنى الداني ٤٢٤ ومنهج السالك لأبي حيان ١٧٨ ، والتصريح ١٩٩/٢ .
٩١- انظر الكتاب ١٢٢/١ والخصائص لابن حني ٤٤/٣،٤٥ ، وشرح المفصل ٢٥/٤ .
٩٢- انظر أسماء الأفعال وأسماء الأصوات [illegible] محمد [illegible] المعارف ١٩٨٠م ، ص٢٩

٩٣- انظر اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ١١٣-١١٥ .
٩٤- أسماء الأفعال ..، ٥٩ .
٩٥- شرح الكافية ٨٣،٨٢/٢ نقلا عن أسماء الأفعال ٦٠ .
٩٦-أسماء الأفعال ٦٠ .
٩٧- السابق .
٩٨-انظر العربية الفصحى ١٨١ نقلا عن أسماء الأفعال ٦١،٦٠ .
٩٩- انظر الخصائص لابن جني ١٦٥،٤٠/٣ .
١٠٠- المقتضب للمبرد ١٧٩/٣ ، والهمع ١٦/١ .
١٠١- الهمع ١٧/١ .
١٠٢- الكافية ٢٢:١-٢٣ .
١٠٣- أسماء الأفعال ٧١ .
١٠٤- أسماء الأفعال ١٨٢ ، وانظر العربية الفصحى ٦٤،٤٩،٤٨ .
١٠٥- فتح القدير للشوكاني ١٣٣/٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ٢٢١/٢
١٠٦- فتح القدير ١٣٣/٤، وانظر اللسان "يا" .
١٠٧- معاني القرآن للكسائي ١٢٨ .
١٠٨- كذا في الأصل ، ولعل اللفظ بالألف في آخره لا بالهمزة؛ فتح القدير ١٣٣/٤ .
١٠٩- اللسان "يا" .
١١٠- حاشية الصبان ٣٧/١ ، والبيان ٢٢١/٢ .
١١١- فتح القدير ١٣٣/٤.
١١٢- ديوان النابغة ١٥٣ .
١١٣- شعراء النصرانية ٧/١٢.
١١٤- ديوان امرئ القيس ٩.
١١٥- كتاب سيبويه ١٦١/٤ ، والخصائص ٣٦/٣ ، وشرح المفصل ٤٢/٤.
١١٦- الكتاب ٣٤/١ ، والمحتسب لابن جني ٣٦٢/٢.
١١٧- مفتاح العلوم للسكاكي ٩٨.
١١٨- مجمع الأمثال للميداني ٢٤/٢، والمحتسب ٧٠/٢ .
١١٩- مجمع الأمثال ٤١٦/١.
١٢٠- انظر مجمع الأمثال ٤٤٥/١ ، وحاشية الصبان ١٣٦/٣.
١٢١- الكتاب ١٧٠/٢ ، والمحتسب ١٧٣/٢.
١٢٢- المحتسب ٧٠/٢ .
١٢٣- انظر الإتقان ١٠٦/٢.
١٢٤- انظر مصادر الاستشهاد عند ابن مالك ، مخطوط ماجستير بآداب عين شمس ، إعداد محمود محروس محمود ١٩٨.
١٢٥- شرح التسهيل لابن مالك ٣٩٠/٣.
١٢٦- في كتابه " القرآن والحديث مقارنة أسلوبية " ، مكتبة زهراء الشرق ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ص ٤٣٢.
١٢٧- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٣٥ .
١٢٨- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٣٦.
١٢٩- القرآن والحدبث مقارنة أسلوبية ٤٥٠.
١٣٠- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٥٨.
١٣١- ليس الأمر واردا إلا في آية المائدة ( عليكم أنفسكم ) وما عدا ذلك من الآيات إذا كان فيه أمر فإنه يُفهَم من ألفاظ أخرى في الآيات.
١٣٢- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٥٨ ، وانظر أحاديث أخرى ص٤٥٩.
١٣٣- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٦٣ .
١٣٤- القرآن والحديث مقارنة أسلوبية ٤٦٤.
١٣٥- شرح المفصل ٥٨/٧.
١٣٦- شرح المفصل ٥٩/٧.
١٣٧- همع الهوامع ٩/١.

١٣٩- لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية ، دراسة لغوية ، د. عبد العزيز مطر ، نشر دار المعارف بمصر ١٩٨١ ، ص ١٤٤ جدول ٢.
١٤٠- لهجة البدو ١٦٢.
١٤١- لهجة البدو ١٣٤.
١٤٢- لهجة البدو ١٦٢.
١٤٣- انظر في لهجة حائل ونجد ٧،٦.
١٤٤- انظر فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ٤٣.
١٤٥- انظر في لهجة حائل ونجد ٧.
١٤٦- انظر لهجة البدو ، المقدمة ب.
١٤٧- بحوث مقارنة في الفعل ١٧.
١٤٨- انظر معاني القرآن للكسائي ١١٣، وانظر أيضا السبعة لابن مجاهد ٢٣٢ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٣٦/٣ .
١٤٩- Gesenuis , Hebrew Grammar pp.174,250
١٥٠- Brockelmann , Syriach Grammatik . p 133.
١٥١- انظر بحوث مقارنة في الفعل ٢٠.
١٥٢- بحوث مقارنة في الفعل ٢٠.
١٥٣- بحوث مقارنة في الفعل ٢٠
١٥٤- انظر فعل الأمر بين الارتجال والاقتطاع ، حماد حمزة البحيري ٨٠ ، وانظر المقتصد في شرح الإيضاح ١٨٠/١ .
١٥٥- انظر الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٨٧،٨٦.
١٥٦- انظر Moscati , An Introduction to the comp. Grammar of the Semitic . Languages , p. 156 , 16:90 .
١٥٧- انظر في قواعد الساميات ، صنعة الدكتور رمضان عبد التواب ، ط٢ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، نشر الخانجي بالقاهرة ، ص ٩٧.
١٥٨- انظر في قواعد الساميات ١٢٧.
١٥٩- انظر في قواعد الساميات ١٢٧.
١٦٠- مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٧ ١٤٠٢هـ-١٩٨١م ، ٢٠٢/١.
١٦١- فتح القدير للشوكاني ٢٣٤/١.
١٦٢- انظر فتح القدير ٢٤٤/١، ومختصر تفسير ابن كثير ٢١١/١.
١٦٣- المقتصد في شرح الإيضاح ٣٧٦/١.
١٦٤- في المقتصد " أكرم " بالبناء للمجهول ، وهو خطأ.
١٦٥- المقتصد ٣٧٧/١ ، ١٠٤٤/٢ ، وانظر الإتقان في علوم القرآن ٩٨/٢.
١٦٦- انظر الإتقان في علوم القرآن ١٠٥/٢ ، وانظر فقه اللغة للثعالبي ٣٢٥.
١٦٧- انظر تفسير الكشاف للزمخشري ١٥/٢.
١٦٨- معاني الحروف للرماني ٥٧.
١٦٩- القواعد السبئية ، تأليف أ. بيستون ، ترجمة د. علي محمد هناوي ، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس ٢٠٠٢/١٩م ، ص ١٤١ الفقرة ٨:٧ .
١٧٠- القواعد السبئية ص ١٤١ الفقرة ٩:٧.
١٧١-

Ronald C Foote,Benjamin W.Griffith. Barran,s Vincen F.Hopper,

Educational Series Inc. Fourth Edition 1990, p 17

١٧٢- J C. Nesfield & Frederick T. Wood . Manual of Eng. Grammar & Composition. Macmillan co. LTD 1964 p.66.

١٧٣ Ibid

Azar,Prentice Hall Regents,2nd edition 1989,p.73

Ibid.(١٧٥)

(١٧٦) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، وضع د. محمد حسن باكلا وآخرين، مكتبة لبنان- بيروت،ط١ ١٩٨٣ ، ص٨٨).

(١٧٧) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق د.عبد القادر حسين،دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١١٦،١١٧ .

(١٧٨) ديوان امرئ القيس ١٨

(١٧٩) J.C. Nesfield & Frederick T. Wood . Manual of Eng. Grammar & Composition Macmillan co. LTD. 1964 pp.66,67.

**********

# علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق

## (الخطابة النبوية نموذجًا)

**د. نادية رمضان النجار**

أستاذ مساعد للعلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة حلوان

---

## أولاً: النظرية

### النشأة ومراحل التطور:

مما لا شك فيه أن الدراسات اللغوية البنيوية: النحو التحويلى التوليدى (لدى تشومسكى) ونحو التبعية (التعليق) (لدى تنيير) ونحو الحالة (لدى فليمور) قد اهتمت بالمركب الفعلى أو العمل (الإسناد) بوصفه نواة الجملة. وعالجت المركبات الاسمية بوجه خاص فى نموذجى نحو التبعية (التعليق) و(نحو الحالة) بوصفها قيمًا تابعة (عناصر أساسية) فى نظرية التكافؤ (قوة الكلمة) وما سُمى (الحالة العميقة) فى (نحو الحالة)[1].

وكانت أقصى غايتهم دراسة الجملة؛ لقولهم: «إن الجملة هى أكبر وحدة مستقلة»، إلا أنه وجد من العلماء من يرفض هذا القيد المقتصر على دراسة الجملة، ويسعى إلى دراسة الوحدة الممثلة لتتابعات من الجمل والتى عرفت فيما بعد

---

(١) رتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، تعريب د.سعيد بحيرى، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٦٠.

بـــ(النص Text). وكان من أوائل هؤلاء اللغويين (ز.س. هاريس) ١٩٥٢م الذى أطلق على نمط هذه الدراسة (النهج المجاوز للجملة) وقد جاء ذلك فى بحثه "تحليـــل الخطاب" "Discourse Analysis" ١٩٥٢م، الذى اهتم فيه بتوزيع العناصـــر اللغوية فى النصوص، كما اهتم بالربط (Link) بين النص وسياقه الاجتماعى. وقد حظى هذا البحث باهتمام علماء اللغة إلى وقتنا هذا[١]. وقد تابعه (ك.ل. بايـــك) ١٩٥٤م فى تأكيد هذه الدراسة ثم ظهرت دراسة لـــ(دل هيمز Dell Hymes) ١٩٦٠م، الذى ركز على الحدث الاجتماعى.

ويعتمد الرافضون لنحو الجملة على أن البشر عندما يتواصلون لغويًـــا لا يُمارسون ذلك فى جمل مفردة منعزلة بل فى تتابعات مجـــاوزة للجملـــة مترابطـــة (متماسكة). ولا تدرك النصوص فى ذلك أساسًا بوصفها أفعال تواصل فردية بـــل بوصفها نتائج تفاعلات متحاوزة الإفراد (أبنية مطوقة بين الذوات). ويعنى هذا أن كل تحليل لغوى يجب أن ينطلق من النص لكونه مجال الدرس، وهذا ما دعا إليـــه (فـــابنريش) ١٩٦٧م، (ب. هارتمان Hartman) ١٩٦٨م[٢].

ثم تتابعت اهتمامات فلاسفة اللغة والعلوم بأبحاثهم ودراساتهم فى تأكيـــد هوية "علم اللغة النصي" وبيان خصائصه ونظرياته وأهدافه، وقد توج ذلك على يد

---

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، تعريب د. فـــالح بـــن شبيب العجمـــى، ط الملك سعود، ١٩٩٩م، ص٢٠ - ٢١ بتصرف، ود. صبحى إبـــراهيم الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ط دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م، ٢٣/١.

(٢) رتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، تعريب د. ســـعيد بحيرى، ص٣٦ -٣٧ بتصرف، وفولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغـــة النصى، ص٢٢.

(هاليداى M.A.K Halliday) ١٩٧٣م، الذى رسخ مفاهيم علم لغة النص فى اللغويات البريطانية، ثم ظهر كثير من الباحثين[١] الذين عنوا بهذا الاتجاه عناية فائقة، فقدموا دراسات وأبحاثًا أدت إلى تطور هذا العلم بحيث إنه لا يقتصر على دراسة النص (Text) فحسب، بل يسعى إلى دراسة بيئته والثقافات المتصلة به ومعارفه المختلفة ... إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالنص[٢].

**نحو الجملة ونحو النص:**

يحرص علماء اللغة النصيون على توضيح أهمية نحو النص من حيث كونه لا يقتصر على دراسة الجملة بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعها ومظاهر انسجامها، محاولين إبراز أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص فى النقاط الآتية[٣]:

١- تنتمى الجملة إلى نظام افتراضى (النحو) فى حين يعد النص نظامًا واقعيًا تكون من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.

٢- تتحدد الجملة بمعيار أحادى (علم القواعد) من نظام معرفى وحيد (علم اللغة) فى حين تتحدد نصية النص بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية.

---

(١) يظر تفصيل مراحل تطور لسانيات النص: روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تعريب د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م، ص٦٦، ٦٧ وعلم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/٢٣-٢٤ بتصرف.

(٢) د. سعيد بحيرى: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩.

(٣) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص١٠.

٣- تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة. أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة[1].

٤- يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص، فى حين يضعف تأثر الجملة بهذه المؤثرات.

٥- يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضى له صفة العمومية. أما استغلال النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.

٦- يعد النص حدثًا يوجهه المرسِل إلى المستقبِل؛ لإنشاء علاقات متنوعة، وتوصيل مضامين يعينها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعدية. فى حين لا تعنى الجملة إلا بالعلاقات القواعدية؛ ومن ثم فهى لا تمثل حدثًا.

٧- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقًا للنظام الافتراضى المعلوم. فى حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء[2].

والحق أن هذا الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص لا يتناسب مع الواقع الفعلى لكونهما متكاملين؛ وذلك لأن النص ما هو إلا مجموعة من الجمل، فكما أن الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل النصوص وتوظيفها فى الاتصال لا يشكك مطلقًا فى أهمية الوحدات اللغوية المعزولة (الفونيمات، والمورفيمات،

---

(١) د. محمد خطابى: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٩١، ص١٣.

(٢) ينظر مزيد من التفصيل: روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص١٩، ود. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١١.

واللكسيمات، والمركبات الاسمية والجمل)[1]. بل على العكس يجب أن تستمر مثل هذه الدراسات وتقوى حتى تقوم بدور فى تشكيل نحو النص؛ ومن ثم لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان (بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر)؛ ومن ثمَّ ينظر إلى دراسات نحو الجملة علـــى أنهـــا تمهيد ضرورى لدراسة نحو النص؛ ومن ثمَّ فهما متكاملان[2].

ويؤكد هذا الاتجاه (التكامل بينهما) كون نحو النص يشترك مع نحو الجملة فى تحليل مواد لغوية ذات صفات مشتركة، منها:

١- أن كلا الاتجاهين يحللان البنية Structure؛ ومن ثمَّ يمكـــن اقتـــراح نحـــو الخطاب من أجل توليد النصوص، وهكذا نستطيع أن نصمم أنموذجًا لنحو واحد يعالج بنية الجملة وبنية النص من خلال توسيع وتطوير النظام الـــذى يحدد بنية الخطاب.

٢- النصوص مثلها مثل الجمل ذات معنى. لقد أثبت (دى بوجراند ١٩٨٠م) أن العلاقات الدلالية فى الجملة يمكن أن تقوم أيضًا بين الجمل فى نص ما.

٣- فكما تقوم العلاقات الإحالية بين العناصر فى الجملة يمكنها أن تكون ضمن العناصر فى جملتين منفصلتين فى النص؛ وهذا يستدعى وجود معالجة نحوية واحدة لكلتا الحالتين؛ كما يستدعى ذلك من المؤيدين لنحو الجملة السعى إلى تطوير نموذجهم على أساس تجريبى[3].

ومن جهة أخرى أن السامع عندما يتلقى نصًا ما يستدعى له بنيـــتين: (داخليـــة)

---

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٧.

(٢) السابق نفسه: ص٨ بتصرف.

(٣) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.

تعتمد على الوسائل اللغوية التى تربط أواصر مقطع ما بغيره، و(خارجية) تكمن فى مراعاة المقام المحيط بالنص؛ ومن ثم فلا فصل بينهما عند المتلقى، ولكن الفصل ضرورى بالنسبة للدارس اللسانى تأكيدًا على ما يرغب فى دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه[1].

فإذا نظرنا إلى النص المعنى بتحليله (خطابة الرسول "صلى الله عليه وسلم") لاحظنا ضرورة تحليل العناصر الجزئية داخل الجملة أولاً، والمتمثلة فى العمد والفضلات والتقديم والتأخير فى إطار الجملة؛ ومن ثم يحدد الإعراب موقع الكلمات من الجملة، ثم يُنظَر فى علاقة الجمل (بعضها ببعض) داخل النص، والمتمثلة فى الوصل والفصل وعلاقتها بما قبلها وبعدها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يُفصَل بين المتحدث والمتلقى والخطاب؛ ومن ثم يمكن لأية جملة أن تصير نصًّا؛ وذلك بوضعها فى السياق الفعلى أى ربطها بالمخاطَب والمخاطِب؛ وعلى هذا يمكن انتقالها من بنيتها المحدودة إلى بنية نصية متصلة بسياقها.

وتتعدد العلاقات بين الجملة والجملة داخل النص، فإذا كانت هناك جملة أساسية يكون غيرها من الجمل إما معطوفًا عليها، أو بدلاً منها، أو بيانًا لها، أو توكيدًا أو تفسيرًا أو تعليلاً. أما موقع الجملة بالنسبة للمفرد فيمكن أن تكون خبرًا أو حالاً أو نعتًا أو بدلاً أو تعليلاً أو تفسيرًا[2].

وقد تقع الجملة بالنسبة لغيرها فى الجملة الطويلة جوابًا للقسم أو جوابًا للشرط أو

---

(١) Halliday, M.A.K. and R. Hasan (1976) Cohesion in English, Longman, London, p. 20.

د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م، ص١٠٨.

(٢) د. حسنى عبد الجليل يوسف: إعراب النص، ط١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٣ - ١٤.

جوابًا للطلب؛ ومن ثم سوف نحرص فى مجال التطبيق على إظهار دور نحو النص فى التحليل اللغوى للتراكيب النحوية للنص، كما يُظهر ذلك البنية العميقة والسطحية للنص، بالإضافة إلى توضيح التحليل الدلالى له.

## مفهوم علم اللغة النصى:

تعددت تعريفات علماء اللغة النصيين لمفهوم هذا المصطلح، وجميعهـــا لا تخرج عن الأشكال اللغوية التى تحكم بناء كل أشكال النص. وأكثرهم بدأ بتعريف النص أولاً، ومن هؤلاء (دى بوجراند) الذى عرَّفه بأنه: «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (أى النص) عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معينة. وليس من الضرورى أن يتألف النص من الجمـــل وحدها، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصـــوص مـــن الصـــلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون خطابًا Discourse»[1].

ويظهر من خلال هذا التعريف تفريق (دى بوجراند) بين الخطاب "Discourse" والنص "Text"، حيث يركز أولهما على تحليل اللغة المنطوقة فى أنواع الخطـــاب المختلفة، مثل (المحادثات والمقابلات والتعليقات والخطب) وهـــو ما يُعرف بتحليل الخطاب "Discourse Analysis". أما ثانيهما النص"Text" فيعمد إلى دراسة نصوص اللغة المكتوبة كـــ(المقالات والملاحظات وعلامات الطريـــق والتقـــارير)، وهو ما يعرف بتحليل النص "Text Analysis".

---

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص٩٨ - ١٠١، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٩.

عير أنه يجب الأخذ فى الاعتبار أن هذا التصنيف ليس قاطعًا، فهناك اســتعمالات أخرى لهذين المصطلحين، وتحديدًا يمكن استخدام كل مــن مصــطلح الخطــاب "Discourse" والنص "Text" بشكل أوسع ليشملا كل الوحدات اللغوية التى تؤدى وظيفة اتصالية محددة، سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة.

فقد تناول بعض العلماء الخطاب المنطوق والمكتوب، فى حــين تنــاول آخــرون النصوص المنطوقة والمكتوبة[١]؛ ومن ثم يمكن تحديد مفهوم مصطلح علــم اللغــة النصى على أنه «هو العلم الذى يبحث فى سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها فى أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها؛ مما يسهم فى إنجاح عملية التواصل التى يسعى إليهــا منــتج النص ويشترك فيها متلقيه»[٢]، أو هو «الدراسة اللغوية لبنية النصــوص»[٣]؛ إذن علم اللغة النصى هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذى يهتم بدراسة النص من حيث كونه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية "Reference" وأنواعها والسياق النصى "Text Context" ودور المشاركين فى النص (المرسل والمستقبل). وهــذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء[٤].

---

(١) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987, p. 116.

(٢) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phontics, Basil Blackwell, Oxford, p. 350. Baalbaki, Ramzy: Dictionary of Linguistics Terms, Beirut, 1990, p. 502.

(٣) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, p. 116.

(٤) د. صبحى إبراهيم الفقى: علم اللغة النصى، ١/٣٦.

## معايير النصية:

وقد أجمل دى بوجراند خصائص النص فى تعريفه حيث قال: إنه حدث تواصلى يلزم لكونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

١- السبك Cohesion أو الربط النحوى.

٢- الحبك Coherence أو التماسك الدلالى وترجمها د. تمام حسان بالالتحام.

٣- القصد Intentionality أى هدف النص.

٤- القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقى من قبول النص.

٥- الإخبارية أو الإعلام Informativity أى توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.

٦- المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

٧- التناص Intertextuality(١).

وسوف نتعرض لهذه المعايير بشيء من التفصيل على النحو التالى:

### أولاً: السبك Cohesion:

وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة فى توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة، مثل: خطبته (صلى الله عليه وسلم) فى أول جمعة جمعها بالمدينة إذ يقول: «...

---

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣ - ١٠٤ ود. سعيد بحيرى: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص١١١ وما بعدها ود. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٥٢ وفولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص١٦٩-١٧٢.

وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرًا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ...»[1]، وقد تحقق ذلك من خلال الترابط بين السبك والمعايير النصية الأخرى لتحقيق جودة الاتصال. وينقسم السبك إلى نوعين:

**أولهما**: السبك النحوى Grammatical Cohesion ويشمل: الإحالة المتبادلة Co-Reference والاستبدال Substitution والحذف Ellipsis والربط Junction.

**وثانيهما**: السبك المعجمى Lexical Cohesion ويشتمل على علاقتي التكرار Reiteration والمصاحبة اللغوية أو التضام Collocation[2].

**ثانيًا: الحبك Coherence[3]:**

يعد الحبك من أهم معايير النصية التي اشترطها اللغويون لوصف النص بالترابط والتماسك، ويقصد به العلاقات المنطقية التصورية التي تجعل النص مترابطًا

---

(١) ابن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م، ٢/٣٩٥.

(٢) ينظر دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣، ود. إلهام أبو غزالة، على= =خليل حمد: السابق نفسه، ص١١، وإيناس حسين محمد: الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية فى العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ١١ - ١٣.

(٣) وقد ترجم إلى (الالتحام، التناسق، التقارن، وقد آثر البحث مصطلح (الحبك) - ينظر دى بوجراند: السابق، ص١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٩٣، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١١.

وإن خلا من الروابط السابق ذكرها فى السبك بنوعيه. ويعتمد الحبك على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يتم بواسطتها فهم النص[1]، ويمكن أن نمثل على ذلك بقول القائل: لما كان الجو جميلاً ذهبنا إلى الشاطئ، فبالرغم من كون المسند إليه فى الجملة الأولى مختلفًا عن المسند إليه فى الجملة الثانية إلا أن الجملتين مترابطتان؛ وذلك لاتساق الظروف والشروط الموطئة لهذا الربط عند المتلقى عادة بين جمال الجو والخروج فى نزهة على الشاطئ[2]. وتشتمل وسائل الحبك على:

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، ومن السببية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦) فالخلق قد تم من أجل غاية وسبب واحد هو عبادة الله سبحانه وتعالى.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣- السعى إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التى يعرفها النص Text Presented Knowledge من المعرفة السابقة بالعالم[3].

هذان المعياران يعدان أهم المعايير؛ لكونهما الأكثر اتصالاً بالنص من حيث تماسكه النحوى والدلالى وعلاقاته المنطقية، التى توفر له الانسجام والسبك. وإن كنا سنقتصر فى مجال التطبيق على معيار السبك بقسميه (النحوى والمعجمى). إلا أن هناك خمسة معايير جوهرية تتصل بالمنتج والمتلقى ومضمون الرسالة وقناة التوصيل

---

(١) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: السابق، ص٩٣.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٦١.

(٣) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣.

والسياق المحيط بالرسالة، وسوف نتناولها فيما يلى:

## ثالثًا: القصدية Intentionality:

ويعنى بها موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومترابط؛ لكى يتم الوصول إلى هدف مرسوم فى خطة محددة[1]، ومن ذلك قول القائل: (حسنًا، فى أى بلد، أين تسكن؟) فبالرغم من أن العبارة صيغت فى حديث إلقائى إلا أنها تتضمن هدف المنتج من معرفة عنوان المخاطب، وقد تأتى ذلك من توافر عناصر السبك والحبك[2].

## رابعًا: القبول Acceptability:

ويقصد بها موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغى لها أن تكون مقبولة من حيث هى نص توفر فيه عناصر السبك والحبك[3]، ومثال ذلك التحذير الذى قدمته شركة (بيل) للهواتف إذ يقول: (استدعونا قبل مباشرة الحفر، فقد تعجزون عن ذلك فيما بعد) فالمثال أكثر فعالية عند المتلقى؛ إذ يستنتج منه ما قد يترتب على القيام بالحفر من أضرار جسيمة دون الرجوع إلى الشركة؛ لأن اقتناع المستقبلين للنص سيكون أكثر قوة عند قيامهم بتزويد محتواه بأنفسهم[4].

---

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٩٤، ودى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣ - ١٠٤.

(٢) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٠ - ٣١.

(٣) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٩٤، ودى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤.

(٤) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣١ - ٣٢.

**خامسًا: رعاية الموقف Situationality:**

وتشتمل على العوامل التى تجعل النص ذا صلة بموقف حالى، أو بموقف قابل للاسترجاع[1]، ومن ذلك قولهم: (تمهل، أطفال فى الطريق) فالموقف هنا يشير إلى لافتة وضعت على الطريق مع وجود سهم موجه إلى أحد الشوارع الجانبية، الذى يفهم منه أن هناك أطفالاً يلعبون وقد يجرى أحدهم إلى الطريق العام، فيكون المراد إعلام السائقين بوجوب تخفيف السرعة حمايةً للأطفال من خطر التصادم[2].

**سادسًا: الإعلامية Informativity:**

ويشار بها إلى ما يحمله النص من المعلومات التى تهم السامع أو القارئ، ويتحقق بها هدف التواصل بين منتج النص ومتلقيه. ولمعيار الإعلامية درجات، حيث يحمل كل نص درجة من الإعلامية معينة يحددها منتجه ومتلقيه معًا[3].

وقد ظهرت درجة عالية من الإعلامية فى التحذير الذى أعلنته شركة (بيل) للهواتف السابق ذكره، وقد تضعف هذه الإعلامية فتؤدى إلى الارتباك والغموض وربما رفض النص[4].

**سابعًا: التناص Intertextuality:**

ويعنى به العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة، تم التعرف إليها

---

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٩٤، ودى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١٢.

(٢) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٤ - ٣٥ بتصرف.

(٣) دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٥، ٢٧٥، ٢٧٨ بتصرف.

(٤) د. إلهام أبو عزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٢ - ٣٣ بتصرف.

بخبرة سابقة. ومن ذلك قول سراج الدين الوراق:

**يـــا لائمـــى فى هواهـــا أفرطـــت فى اللـــوم جهـــلا**

**لا يعلـــم الشـــوق إلا ولا الصـــــــبابة إلا**

فالقارئ لهذا البيت قد يتشعب فكره فى مناح شتى، لا يدرك المراد منه إلا إذا كان على علم بقول الشاعر القديم:

**لا يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيهـــا**[1]

وقد تمثلت الخطابة النبوية هذا المعيار أصدق تمثُّل، ومن ذلك اقتباسها آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف والأقوال المأثورة وسيبين ذلـــك بالتفصـــيل فى تحليـــل الخطب. وفضلاً عن هذه المعايير التأسيسية التى تعين اتصاف تشكيلة لغوية ما بصفة النصية يمكننا تعريف معايير تنظيمية تستعمل لتعين نوعية النص وتقييمه. ومن هذه المعايير التنظيمية الجودة Efficiency، وتنجم جودة الـــنص مـــن اســـتغلاله فى الاتصال مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوافر سهولة معالجة النص، ومنها الفعالية Effectivity، أى شدة وقع النص وتأثيره فى المستقبل بحيث يتوافر عمق المعالجة والإسهام القوى فى تحقيـــق هـــدف المنـــتج: ومنـــها أخـــيرًا الملاءمـــة Appropriateness التى يقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطبـــاق معايير النصية على النص المحلل[2].

ولا يمكن فهم أى من هذه المعايير السابقة إلا مع أخذ أمور فى الحسبان هى: اللغة والعقل والمجتمع والتداولية Pragmatics، فيتحقق الفهم الـــذى هـــو توحيـــد المعلومات الطارئة والمعلومات المختزنة فى كيان واحد.

---

(١) السابق نفسه: ص٣٥ - ٣٦.

(٢) السابق نفسه: ص١٢.

## وظيفة علم اللغة النصي:

تتركز وظيفة علم اللغة النصى فى مهام:

**أولها**: وصف النص Text Description، **ثانيها**: تحليل النص Text Analysis.

ويقصد بوصف النص: توضيح مكونات النص؛ وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه، وتوضيح الموضوعات المتناولة فى النص، مع بيان الروابط الشكلية والمعنوية الموجودة فيه، وما تؤدى إليه من انسجام وسبك بين متتابعات النص حتى تصير كأنها جملة واحدة، وعندئذ يبدأ تحليل النص الذى لا يقتصر على بيان الروابط الداخلية فقط بل يهدف إلى توضيح الروابط الخارجية أيضًا؛ ومن ثم يظهر دور السياق فى تأليف أشتات النص التى تبدو متفرقة فتصبح متجاذبة(١).

**ثالثها**: يراعى دور النص فى التواصل؛ وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقى للنص.

**رابعها**: كما أن من الأهداف التى يسعى إليها علم اللغة النصى، والتى لا تقتصر على وصف النصوص وتحليلها؛ فهو ذو هدف أكثر عمومية وشمولا، فمن ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها فى السياقات المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى يتضمن الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات الطابع العلمى المحدد(٢).

**خامسها**: كذلك يتطلب تفسير الخطاب وتأويله الوقوف على المستوى النحوى التركيبى والمستوى المعجمى والمستوى الدلالى والمستوى الصوتى والمستوى التنغيمى

---

(١) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٤٧، ود. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/٥٥.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(مستوى بروز أو نتوء الصوت)، هذا بالإضافة إلى المستوى الإستراتيــــچــــى[(١)] المتمثل فى اختيار إستراتيـــچية معينة للخطاب، ومن ذلك طرائق وإستراتيـــچيات معالجة وفهم نصوص الخطابة النبوية.

## إرهاصات علم اللغة النصى عند القدماء:

مما لا شك فيه أن فرع علم اللغة النصى نشأ فى أحضان المناهج البنيويـــة والوصفية الغربية، لكن هذا لا يمنع من وجود ملامح لهذا المنهج متناثرة عند القدماء ولاسيما فى مؤلفات النحويين والبلاغيين والنقاد والمفسرين.

(١) ومن أوائل الذين أشاروا إلى مصطلحات (التضـــام Collocation، النظم، البناء، التركيب) فى دراسته للنحو (عبد القاهر الجرجانى) وذلك من خلال (نظرية النظم) وحديثه عن الفصل والوصل بين الجمل؛ وهو بذلك تجـــاوز مجــرد الإفادة الجزئية إلى النص، أو إلى منظومة الجمـــل التـــى تتفاعـــل وتترابط فيمـــا بينها مكونة سياقًا أعم منها وأشمل وأكمل، فلا وجود - موضـــوعيًا - للجملـــة المستقلة. وهذا هو مستوى الفصاحة المتمثل فى القرآن الكريم والشعر وأنواع النثـــر الفنى[(٢)]، ويمكننا القول بأن علم النظم عند (عبد القاهر) يعنى بدراســـة التبعيـــات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم، والعلاقات المتصلة بهذه المفاهيم والكلمات؛ لكونه لم ير الفصاحة إلا فى تركيب الكلمات بعضها مع بعض وتأليفها فى نســـق واحد[(٣)].

---

(١) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة.

(٢) ينظر تفصيل الفصل والوصل عند عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٢٤٣.

(٣) ينظر تفصيل قضية النظم: السابق نفسه، ص٨١ - ٨٣.

وقد خصص (دلائل الإعجاز) أبوابًا كاملة لمفهوم التضام ومقوماته - وهو ما عرف عند علماء اللغة النصيين بمصطلح (السبك) - من مثل: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والإضمار، والعطف وأدواته المختلفة ... إلى غير ذلك من الأبواب التي عرفت بمصطلحات المحدثين من مثل: الإحالة والربط والإعلامية وعالم النص وتأثير السياق وإعادة الصياغة ... إلخ[1].

(٢) أما البلاغيون فقد اهتموا بعرض تفاصيل دقيقة لأبواب (الحقيقة والمجاز) وعلاقاته التي منها: (علاقة التضاد، والسببية، والمسببية، والآلية، والكلية، والجزئية)، وقد اهتم (عبد القاهر الجرجاني) بهذه العلاقات من خلال عرضه لباب المجاز[2]، وهذه العلاقات هي ما عرفت عند علماء اللغة النصيين بمصطلح علاقات المفاهيم (الحبك Coherence).

(٣) أما النقاد فقد اهتموا بقضية الاقتباس والسرقات (التضمين)، ويعني بالاقتباس ما يستغله الكاتب من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف مستشهدًا به في كتاباته، ومنه قول الحريري: أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله.

كما يقصد بـ(التضمين) الأخذ من نصوص الآخرين بوجه عام. ومنه قول الحريري:

**على أني سأنشد عند بيعي — أضاعوني وأي فتى أضاعوا**

وهو متأثر فيه بقول العرجي:

---

(١) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص١٠٦، ١٤٦، ٢٢٢.

(٢) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص٢٩٣ - ٣٠١.

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغـر[١]

(٤) أما المفسرون فنجد منهم (السيوطى) الذى جعل من مظاهر إعجاز القرآن (التماسك أو الالتئام) وهو الوجه الثالث الذى يعنى به (حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته). ووجهه الرابع «مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعانى، منتظمة المباني»[٢]، ونلاحظ هنا مصطلحات التماسك والتلازم (الالتئام)، والمناسبة وجميعها من مصطلحات علم اللغة النصى التى عرفت عند المحدثين. كما تعرض السيوطى لمصطلح (الانسجام Coherence) فى قوله: «يكون الكلام، لخلوه من العقادة منحدرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك ... وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه»[٣].

وهذا المفهوم (للانسجام) عند السيوطى يختص بسهولة الألفاظ ورقتها، وهو يختلف عن مدلول المصطلح عند المحدثين الذى يعنى عندهم العلاقات المنطقية والتصورية التى تربط بين التتابعات النصية.

كما ذكر عن (ابن الإصبع) مائة نوع من بدائع القرآن فيها التكرار، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والإبدال، وحسن النسق ... وغيرها. وهذه

---

(١) القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م، ١٣٧/٦، ١٤٢، د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب، ط٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م، ص٦٢٠.

(٢) السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٢٦١/٣.

(٣) السابق، ٢٥٩/٣.

تعد من وسائل الترابط[1]. وبالرغم من أن العرب القدماء لم يضعوا نظرية فى علم اللغة النصى و لم يصطلحوا عليه فى مؤلفاقم، وإنما جاءت أقوالهم فى سياق حديثهم عن دور البلاغة والنحو ومظاهر الإعجاز القرآنى ... إلى غير ذلك من الأبواب. إلا أن ملامح هذا الدرس الحديث لا يمكن إنكارها وتحتاج إلى دراسة مفصلة[2].

**طبيعة النص المحلل:**

حرصت على تناول معيار السبك النحوى والمعجمى من خلال تحليل الخطب النبوية لما كان لها من أثر فعال فى بناء الدولة الإسلامية ونشر الوعى والثقافة الدينية، فى وقت لم يكن فيه معلم للمسلمين سوى رسول الله (ص)، هذا بالإضافة إلى أن الخطب النبوية قد استوفت القواعد العامة للبناء اللغوى والإيقاعى والنحوى والدلالى. وكذلك لأهمية الأفكار والاختيارات التى أراد الرسول (ص) توصيلها إلى المستمعين والمتلقّين من توجيه وإرشاد ووعظ وتبليغ لقواعد الدين وأصوله وفروعه ... إلخ.

وقد عرفت الخطابة بأنها «فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة» هذا التعريف يقوم على عناصر معينة هى:

١- أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من الناس.

---

(١) السابق نفسه، ٢/٨٠، د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/٨٦ بالهامش.

(٢) ينظر ملامح جهود القدماء عند د. عبده الراجحى: فقه اللغة فى الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص٧١ - ٧٢، علم اللغة بين النظرية والتطبيق، ١/٨٦ - ٨٧، ١/١٣٠ - ١٣٣، لسانيات النص، ص٢٧ وما بعدها، الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية، ص٨ - ١٠.

٢- أن يكون بطريقة إلقائية، وهذا يعنى جهارة الصوت وإبداء الانفعال بـــه، وأيضًا من مكملات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد، كما يبدى الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين ويوجـــه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.

٣- أن يكون الحديث مقنعًا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبـــت صـــحة الفكرة التى يدعو إليها الخطيب، فإذا خلت الخطبة من هذه الأدلة فإنها لا تزيد على أن تكون مجرد إبداء رأى.

٤- أن يتوافر فى الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعنى توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأى الذى تدعو إليه الخطبة؛ لأن السامع قد يقتنع بفكـــرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها، هذا العنصر من أهم عناصر الخطبة لأنه هو الذى يحقق الغرض المطلـــوب منها[1].

فإذا أردنا تصنيف النص المحلل (الخطابة النبوية) فى ضوء معايير تصـــنيف النصوص عند علماء اللغة النصيين[2] وجدناها متمثلة فى النقاط التالية:

١- المضمون: ويشار به إلى موضوع النص (نص دينى).

٢- الهدف ويشار به إلى الغرض الذى يرمى إليه منتج النص (توجيه ووعـــظ

---

(١) د. عبد الجليل شلبى: الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م، ١٥/١ - ١٦.

(٢) لمزيد من التفصيل: د. سعيد بحيرى: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، ص٦٦ - ٧٠ بتصرف، روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٤١١ - ٤١٩، وفولفجـــانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص١٩٩-٢٠٢ بتصرف.

وإرشاد).

٣- السياق: يشار به إلى كل ما يحيط بالنص من مـؤثرات تحكـم بنـاءه وصياغته مثل الأوضاع الاجتماعيـة للمشـاركين فى إنتاجـه وتلقيـه وأدوارهم ومكان وزمان النص.

٤- الشكل ويشير إلى شكل النص المُحلَّل وطبيعته وأركانه، فالخطبة الدينيـة تتكون من ثلاثة أركان (مقدمة وموضوع وخاتمة)، وتشمل الحمد والثناء لله والصلاة على رسول الله (ص) ثم قراءة آية والتعرض لتفسـيرها مـن حلال الموضوع المشار إليه فى نص الآية ثم الدعاء للمسلمين والمسلمات. ومثال ذلك خطبته (ص) للجمعة الأولى فى المدينة إذ يقول: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبـده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة مـن الرسـل ، ... وأوصيكم بتقوى الله، فإنها خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضَّه على الآخرة، ... »[1].

٥- الانفتاح والانغلاق وذلك من وجهين: أولهما الانفتاح من حيث كـون الخطب النبوية تعد نصًا مفتوحًا؛ وذلك لكونها موجهة لعدد غير محدد من المتلقِّين، وقابلة لأن يكون فيها حوار بين النبى (ص) والمستمعين، ومـن ذلك خطبته (ص) عند فتح مكة عندما سأل أهل مكة: «ما تـرون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبـوا فـأنتم

---

(١) ينظر نص الخطبة كاملاً: الطبرى: فى تاريخه، ٣٩٤/٢ - ٣٩٥.

الطلقاء»[1]. فقد تعدَّد محاوروها، ومن ثمَّ فهى نص مفتوح.

ثانيهما: إنها تعد نصًا مغلقًا[2] لأن المنتج فيها واحد هو الرسول (ص) وغالبًا ما يكون الموضوع محدد فهو الذى يدور فى فلكه الخطبة ومن ذلك خطبته (ص) لإعلام الناس بأن الله قد فرض عليهم الجمعة من يومهم هذا إلى أن تقوم الساعة يقول: «ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصِلُوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا، واعلموا أن الله - عز وجل - قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا، فى عامى هذا، فى شهرى هذا، إلى يوم القيامة، حياتى ومن بعد موتى»[3].

---

(١) الباقلانى: إعجاز القرآن، تحقيق أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، ١٩٩٤م، ص٩٨.

(٢) وقد فسر د. صلاح فضل مفهوم الانغلاق فى النص بمعنى أنه (النص الذى يكتفى بذاته والمكتمل فى دلالته) - بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٣٢.

(٣) الباقلانى: إعجاز القرآن، ص٩٦.

# ثانيًا: التطبيق

## عناصر السبك النصى:

من المتفق عليه عند علماء اللغة النصيين أن السبك النصى يعد من أهم المعايير النصية؛ وذلك لكونه هو السياج والرابط الذى يجمع بين المتفرقات فيجذب بعضها بعضا فيكون النص؛ ولذلك يصفونه بأنه: «عنصر جوهرى فى تشكيل النص وتفسيره»[1]. والحق أن هذا المفهوم لم يكن بعيدًا عن تناول القدماء، فقد ألحوا إلى أن الكلمات والجمل يعلق بعضها ببعض حتى تفيد معنى؛ ولذلك ذهبوا إلى أن الكلام لا يكون مفيدًا إذا كان مجتمعًا بعضه مع بعض دون ترابط[2]؛ لأنه إذا أصبح الكلام خاليًا من السبك أصبح الكلام فى حكم الأصوات التى ينعق بها[3] على حد قول ابن يعيش؛ ولذلك حصر علماء اللغة النصيون أهمية السبك فى: «جعل الكلام مفيدًا، وضوح العلاقة فى الجملة، عدم اللبس فى أداء المقصود، عدم الخلط بين عناصر الجملة، استقرار النص وثباته؛ وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة فى النص»[4]؛ وبذلك تظهر أهمية السبك فى كون كل جملة تملك بعض أشكاله التى تُربَط عادة مع الجملة السابقة أو اللاحقة، وكذلك يجب أن تحتوى كل جملة على رابطة أو أكثر تربطها بما يسبقها أو ما يلحقها[5].

ويتحقق السبك من خلال عناصره النحوية والمعجمية التى تؤدى إلى

---

(١) د. سعيد بحيرى: علم اللغة النصى، المفاهيم والاتجاهات، ص١٤١.

(٢) د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٦م، ص٨٢.

(٣) عند القدماء: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ١/٨٣.

(٤) د. صبحى الفقى، علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/٧٤.

(٥) Halliday and R. Hasan: Cohesion in English, p. 324.

اتصاف النص بسمة الاستمرارية أى تعاقب الأحداث اللغوية التى ننطق بها أو نسمعها فى تتابعها الزمنى، وتنتظم هذه الأحداث تبعًا لمبانيها النحوية ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو (الاعتماد النحوى Grammatical Dependency) ويتحقق فى شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هى: (فى الجملة - فيما بين الجمل - فى الفقرة أو المقطوعة - فيما بين الفقرات أو المقطوعات - فى جمل النص)[1].

تحتوى عناصر السبك على نوعين: أولاً: عناصر السبك النحوى Grammatical Cohesion ويشمل: (الإحالة Reference - الاستبدال Substitution - الحذف Ellipsis - الربط Junction). وقد أضافت الباحثة معيار التحديد Definiteness؛ اعتمادًا على ذكره عند علماء النصيين المتأخرين[2].

ثانيًا: عناصر السبك المعجمى Lexical Cohesion ويشمل: (التكرار Repetition - المصاحبة اللغوية (التضام) Collocation). وسوف نتعرض لهذه العناصر بشىء من التفصيل مستدلين عليها بنصوص من الخطابة النبوية.

## أولاً: عناصر السبك النحوى Grammatical Cohesion

### ١ - الإحالة Reference:

يقصد بها «وجود عناصر لغوية لا تكتفى بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر؛ ولذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء

---

(١) د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرى، دراسة فى قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ط١، م١٠، ع١،٢، يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م، ص١٥٤.

(٢) ينظر البحث، ص٣١.

الموصولة ... إلخ»[1].

وتقسم (الإحالة) عند المحدثين إلى إحالة (خارجية) Exophora، وفيها يحيل عنصر فى النص إلى شيء خارج النص يدركه منتج النص ومتلقيه كلاهما، وأخرى (داخلية) Endophora، فتقع داخل النص حيث تنقسم إلى (إحالة قبلية) Anaphora وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدمًا عليه. و(إحالة بعدية) Cataphora وفيها يحيل العنصر المتقدم إلى عنصر آخر يلحقه[2].

وقد قُسمت عناصر الإحالة إلى :

١- شخصية Personal: (أنا، أنت، نحن، هو، هم، ... إلخ).

٢- إشارية Demonstrative: (هذا، هؤلاء، أولئك، ... إلخ).

٣- مقارنة Comparative: (أفضل، اكثر، ... إلخ)[3].

٤- الموصولات Relative: وقد عدّها د. تمام حسان من عناصر الإحالة مستشهدًا عليها بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِى الأُمِّى الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾ (الأعراف ١٥٧)، فالاسم الموصول (الذى) قد قوى المعنى؛ وذلك بإحالته السابقة إلى (الرسول النبى)؛ لكون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب فى التوراة[4].

---

(١) د. محمد حطابى: لسانيات النص، ص١٦ - ١٩.

(٢) Baalbaki, Ramzy Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 421.

والخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية، ص٣٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 40.

وعلم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/١١٦.

(٤) البيان فى روائع القرآن، ط عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣١ - ٣٢.

كما أُحيل إليه بالعائد الضمير فى (يجدونه)؛ وبذلك يكـــون للموصـــول إحالتان قبلية وبعدية.

والحق أن العرب لم يكونوا غافلين عن أهمية العناصر الإحالية، ولاسيما الضـــمائر مذكورة أو محذوفة، إلا أن المقام لا يتسع لعرض جهودهم[1].

فإذا تأملنا نصوص الخطابة النبوية لاحظنا توفر عناصر الإحالة بأقســـامها المختلفة وإليك الأمثلة:

(أ) من خطبته (ص) الأولى فى مكة عندما دعا قومه: «إن الرائد لا يكذب أهلـــه، والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»[2].

نلاحظ توفر الإحالة الداخلية فى تاء المتكلم فى (غررت - كذبت)، والضـــمير فى (إنى) إلى إحالة قبلية مرجعيتها إلى (رسول الله)، وإحالة الضمير (كم) إحالة قبليـــة ومرجعيتها إلى (أهله)، وهناك إحالة الضمير المستتر فى (يكذب) والظاهر فى (أهله) محيلان إحالة قبلية إلى محيل واحد هو (الرائد).

أما إحالة الموصول فقد وجدت فى قوله (ص): «والله الذى لا إله إلا هو»

---

(١) ينظر تفصيل أهمية الضمائر: سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ١/٨٤، ٨٧، ٨٨، السيوطى: الإتقان فى علـــوم القـــرآن، ٢/٢٨١ وما بعدها، ابن هشام: مغنى اللبيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط المدنى، ٢/٤٩٨ - ٥٠٠.

(٢) د. أحمد زكى صفوت: جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنـــان، د.ت، ١/١٤٧.

وهى إحالة قبلية للفظ الجلالة المتقدم، وكذلك وُجد (هو) الذى يحيـــل إلى لفـــظ الجلالة أيضًا.

ومن عناصر السبك المتوفرة فى النص الحذف فى قوله: «إنى لرســـول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة» حيث حذفت الجملة المتصدرة من التركيب الثـــانى اعتمادًا على ذكرها فى التركيب الأول (إنى لرسول الله)، وهـــذا أدى إلى الإيجـــاز وحسن السبك مع تحقيق هدف المخاطِب، وهو أنه مرسل من عند الله إلى النـــاس كافة وإلى قومه خاصة.

كذلك وجد التكرار التركيبى فى تماثل الجمل بين (لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم)، و(لو غررت الناس جميعًا ما غررتكم). والتكرار اللفظى بين (جميعًا) و(جميعًا). كذلك وُجد من عناصر المصاحبة اللغوية علاقة التضاد بـــين (كافـــة) و(خاصة)؛ وبذلك تنوعت عناصر الإحالة النحوية، والمعجمية؛ مما أدى إلى ســـبك النص وتماسكه.

(ب) قوله (ص) فى خطبته فى أول جمعة خطبها بالمدينة «فإنه من يصلح ما بينـــه وبين الله ...؛ يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى علـــى النـــاس ولا يقضون عليه»[1].

- ☆ فعنصر الإشارة (ذلك) قد أحيل إلى محيل قبلى، هو أن من يصلح ما بينـــه وبين الله يكفه الله شر الناس.
- ☆ أحيل الاسم الموصول (مَنْ) إلى محيل قبلى، وهو الضمير فى (إنه)، ومحيـــل بعدى فى الضمير المستتر فى (يصلح) هو.
- ☆ أحيل بالضمير فى (يكفه) إلى محيل قبلى، هو الهاء فى (إنه)، ومحيل بعـــدى

(١) الطبرى فى تاريخه، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

يؤكده فى (بينه) ومثله أحيل الضمير المستتر (هـو) فى يقضـى إلى لفـظ الجلالة المتقدم وهى إحالة قبلية.

☆ أحيل الضمير (واو الجماعة) فى (يقضون) إلى لفظ (الناس) المتقدم.

كذلك وجد من عناصر الحبك الدلالى علاقة السببية المتمثلـة فى قولـه (ص): «من يصلح ما بينه وبين الله» فتكون النتيجة «يكفه الله مـا بينـه وبـين الناس».

## من عناصر السبك النحوى الإحالة بـ(أفعل التفضيل):

كما تعد ألفاظ المقارنة من عناصر الإحالة النحوية، وتنقسـم إلى عامـة يتفرع منها التطابق (ويتم باستعمال عناصر مثل: same)، والتشابه (وفيه تستعمل عناصر مثل: similar)، والاختلاف (باستعمال عناصـر مثـل: otherwise, other)، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل more)، وكيفية (أجمـل من، جميل مثل ...). أما من منظور السبك فهى لا تختلف عن الضـمائر وأسمـاء الإشارة فى كونها نصية، وبناء عليه فهى تقوم، مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية تماسكية[1] ومثال ذلك قوله (ص): «إن أحسن الحديث كتـاب الله، قـد أفلح من زينه الله فى قلبه، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر، واختاره على سواه مـن أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث وأبلغه»[2].

فضلاً عن توفر عناصر السبك بإحالة الضمير فى (زينه واختاره وأصدقه وأبلغـه) إحالة قبلية مرجعيتها إلى (الكتاب). وإحالة الهاء فى (قلبه وأدخله) ومرجعيتـها إلى الذى أسلم (من). فقد وجدت الإحالة باسم التفضيل فى قوله (ص): (أحسن) التى

---

(١) د. محمد خطابى: لسانيات النص، ص١٩.

(٢) الباقلانى: إعجاز القرآن، ص٩٦.

تُحيل إلى ما بعدها (كتاب الله) و(أصدق) المحيلة إلى (الحـــديث) إحالـــة بعديـــة، و(أبلغه) المحيلة إلى (الحديث) من خلال الضمير (الهاء). هذا فضلاً عن وجود علاقة التضاد بين: (الإسلام والكفر)، وكذلك شبه الترادف بين (أصدق وأبلغه) ولاشك فى تضافر تلك العوامل فى سبك النص وانسجامه. وقد تعددت الإحالات بأنواعها المختلفة، ومن ذلك خطبة النبى (ص) فى أول جمعة بالمدينة إذ يقـــول: «ألا أيهـــا الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبـــل أن تشـــغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم لـــه، وكثـــرة الصـــدقة فى الســـر والعلانية، تُرزقوا وتُؤجروا وتُنصروا. واعلموا أن الله - عز وجل - قـــد افتـــرض عليكم الجمعة فى مقامى هذا، فى عامى هذا، فى شهرى هذا، إلى يـــوم القيامـــة، حياتى ومن بعد موتى؛ فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك الله فى أمره، ألا ولا حج له ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابى مهاجرًا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنًا، إلا أن يقهره ســـلطان يخـــاف ســـيفه أو سوطه»[1].

فمن عناصر الإحالة الموجودة فى النص ما يلى:

أ- إحالة الأسماء غير المحددة (الناس، أعرابى، فاجر، إمام، سلطان).

ب- إحالة الضمير (واو الجماعة) فى (توبوا، بادروا، تشغلوا، صلوا). و(كاف الخطاب) فى (بكم، ذكركم) وجميعها يحيل إلى (الناس) إحالة قبلية.

ج- إحالة الإشارة فى (قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هـــذا، فى عـــامى هذا، فى شهرى هذا) وهى إحالة قبلية ومرجعيتها إلى (المقـــام، العـــام، الشهر) الذى يتحدث فيه رسول الله (ص)، المعلوم لجمهور المخـــاطبين،

---

(١) الباقلانى: إعجاز القرآن، ص٩٦، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٣.

والذى يعد إحالة خارجية.

د- إحالة الموصول فى قوله: (صلوا الذى بينكم وبين ربكم) وهى إحالة بعدية داخلية راجعة إلى (كثرة الذكر والصدقة فى السر والعلن).

هـ- إحالة الاسم الموصوف مثل (الأعمال الصالحة).

و - إحالة الاسم المخصص بالإضافة (حياتى وموتى).

هذا بالإضافة إلى الحبك الدلالى المتمثل فى علاقة التضاد بين (السر والعلانية)، (فاجر ومؤمن). وعلاقة شبه الترادف فى (ترزقوا، تؤجروا). ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق فى المتتاليات النصية عنصرًا من عناصر الإحالة داخل النص؛ ومن ثمَّ يعد تعدد صور الإحالة وسيلة من وسائل دعم التماسك النصى، الذى يؤدى إلى التواصل بين المنتج والمستقبل؛ وذلك لما تؤديه من سبك المتتاليات الجملية والمفردات وربطها معًا فى إطار موحد يمثله النص.

## ٢- الاستبدال Substitution:

يعد الاستبدال من أهم عناصر التماسك والسبك النصى، ويعرفه النصيون بقولهم: «هو إحلال عنصر لغوى مكان عنصر آخر داخل النص»[(١)]. ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذى حل محله المستبدل به وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به فى مواقع نصية متوالية فإنهما يقعان - حسب هارفج- فى علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض. ويوجد فى حالة الاستبدال النحوى بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية[(٢)].

---

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88

(٢) فولفانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٢٧، ٢٨،=

بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال فى سبك النص وهى استحالة فهم ما يعنيه so أو do أو one كعناصر مستبدلة إلا بالعود إلى ما هى متعلقة به قبليًا، وفى هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليـــداى ورقيـــة حسن معنى الاستبدال: ينبغى البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذى يملأ هذه الثغرة فى النص السابق أى أن المعلومات التى تمكن القارئ مـــن تأويـــل العنصـــر الاستبدالى توحد فى مكان آخر فى النص[1].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذا النوع مـــن الاستدال، وإن كانوا تحدثوا عن الإبدال النحوى، والإبدال بين الحروف بعضـــها ببعض، والكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل[2]، وهو يختلف عن المفهوم الذى عرف به عند النصيين، وإن كنا لا نعدم شواهده فقد ذكره ابن هشام فى سياق الحديث عن لفظ (كذا) حيث يقول: «ترد على ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه وذا الإشارية كقولك: رأيت زيدًا فاضلاً ورأيت عمرًا كذا ...»[3].

فنلاحظ العنصر المستبدل به (كذا) والمستبدل منه (فاضلاً)، وكأن الكلام "رأيـــت زيدًا فاضلاً ورأيت عمرًا فاضلاً"، إلا أن ابن هشام لم ينص على اصـــطلاحه بمـــا

---

=وزتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص، ص٦١.

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88.

ود. محمد حطابى: لسانيات النص، ص٢٠، ٢١.

(٢) انظر الفرق بين الاستبدال عند النصيين ومفهوم الإبدال عند العرب: د. صبحى الفقـــى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢/٢٠٠ - ٢٠١.

(٣) ينظر المعانى المختلفة لـــ(كذا). مغنى اللبيب، ١/١٨٧.

عرف به عند المحدثين.

ويقسم علماء اللغة النصيون الاستبدال إلى ثلاثة أقسام:

(أ) استبدال اسمى Nominal Substitution: وفيه تستبدل الكلمات " same, ones, one"[1] من أسماء أخرى متقدمة عليها فى النص نفسه، ويقابلها فى العربية الكلمات "آخر، أخرى، وواحد وواحدة". ويمكن أن يكون اسم الإشارة مستبدلا لعنصر آخر متقدم عليه، ومنها خطبته (ص) فى مرض موته: «ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقًا إن كان له، وحللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس وقد أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا»[2]، فقد استبدل اسم الإشارة من المستبدل منه الجملة المتقدمة عليه (إن أحبكم ... طيب النفس). ومن اللافت للنظر هنا وجود تداخل بين الإحالة والاستبدال فى (هذا)؛ فهو عنصر مستبدل به كما أنه من عناصر الإحالة؛ ومن ثمّ فهناك بعض حالات السبك النصى يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل السبك فى آن واحد إذا تداخلت سمات كل منهما مع الأخرى. إلا أن هناك فرقًا بين الاستبدال والإحالة، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه، والاستبدال يعد علاقة على المستويين النحوى والمعجمى، بينما الإحالة تعد علاقة على المستوى الدلالى، هذا بالإضافة إلى أن العناصر المستبدلة يشترط اشتراكها فيما بينها فى البنية الوظيفية على حين لا يشترط ذلك فى الإحالة[3].

---

(١) لسانيات النص، ص٢٠.

(٢) تاريخ الطبرى، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 89.

خصائص اللغوية فى الخطابة الدينية فى العقدين الأخيرين، ص٤٨ وما بعدها.

(ب) استبدال فعلى Verbal Substitution: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم عليه، ويمثله فى الإنجليزية (do) بصيغه المختلفة، وفى العربية مادة (فعل) بصيغتها المختلفة، ومنه قوله (ص) فى خطبة الوداع: «لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ...»[1]. فالعنصر المستبدل به (فعل) قد حل محل الأفعال الثلاثة السابقة عليه (يوطئن - يدخلن - يأتين). هذا فضلاً عن توفر عناصر الإحالة من خلال مرجعية الضمير المخاطب فى (فرشكم - غيركم - بيوتكم ...) محيلة إلى الاسم الظاهر (الناس). هذا بالإضافة إلى بلاغة الإيجاز والقصر فى استعمال النفى والاستثناء وما أفاده من تخصيص.

(ج) الاستبدال العبارى Clausal Substitution: وفيه يتم إحلال عنصر لغوى محل عبارة داخل النص بشرط أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها[2]. وتمثله فى الإنجليزية الكلمات so, not، ومنه قوله (ص) فى خطبته الأولى بالمدينة: «فمن استطاع أن يقى وجهه من النار، ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة»[3]. فالعنصر (فليفعل) حل محل الجملة المتقدمة عليه وكأن الأصل (فَلْيَقِ وجهه من النار، ولو بشق تمرة) وأكد ذلك الجملة الواقعة بعدها (من لم يجد فبكلمة طيبة) أى: فليق وجهه بكلمة طيبة؛ لأن الكلمة الطيبة صدقة.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى، ص٩٧، تاريخ الطبرى، ١٥١/٣، جمهرة خطب العرب، ١٥٧/١.

(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 130.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١٤٨/١.

فهناك تداخل بين الاستبدال والحذف، فمن الباحثين من جمع بينهما، ومنهم من فصل(١)؛ ولذلك جاء الحديث عن الاستبدال مجملاً تارة ومفصلاً تارة أخرى. ومهما يكن من أمر فهذا الخلاف لا يقلل من أهميته فى السبك النصى حيث يدعم عملية السبك النحوى داخل النص، إذ يقوم العنصر المستبدل به بالدور الذى يؤديه العنصر المستبدل منه، وهذه الاستمرارية فى الأدوار فى سياق البناء اللغوى للنص تمنحه قوة السبك.

**٣- الحذف Ellipsis:**

يندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوى، وترد أهميته بعد الإحالة والاستبدال، وإن كان أكثر وقوعًا فى اللغة؛ حيث يميل المستعملون لإسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى(٢). وفيه يحذف عنصر أو أكثر من كلام تالٍ اعتمادًا على ذكر هذا العنصر فى كلام سابق. ويعرفه علماء اللغة النصيون بأنه: «اعتداد بالمبنى العدمى أو ما يسمونه Zero Morpheme، فالبنيات السطحية فى النصوص غير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي»، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ...﴾ (آل عمران ١٨) فلابد من فهم (وشهد

---

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.88 - 141.

ود. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٤٣٠ ود. صبحى إبراهيم الفقى: علم اللغة النصى، ١٩٩/٢ - ٢٠١.

(٢) عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجاز، ص١٤٦، ٢٤٣، طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت، ص١٤٤ - ١٤٦.

الملائكة وشهد أولوا العلم) بدليل ما فى آخر الآية من قوله تعالى: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولى العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إفساد لدلالة النص[1].

ويشترط فى الحذف إحاطة متلقى النص بمكونات السياق اللغوى والاجتماعى المصاحب له؛ ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرًا صائبًا. كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلاً؛ ومن ثمَّ عده بعض النصيين متداخلاً مع الإحالة القبلية إلا أنَّ ذلك يكون بعنصر صفرى[2]، وكذلك اشترطوا أيضًا وجود الدليل على المحذوف[3].

وقد تعددت العناصر المحذوفة فى خطب رسول الله (ص) فنجده قد حذف الحرف والكلمة (اسمًا أو فعلاً) والجملة والعبارة ... إلخ، وكان فى ذلك (ص) ممثلاً البلاغة النبوية والفصاحة العربية فى الإيجاز والاختصار، وإليك الأمثلة:

١- خطبته (ص) فى أول جمعة جمعها بالمدينة: «خذوا بحظكم، ولا تفرطوا فى حنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين»[4]. فقد حُذِفَت (اللام) من (يعلم) الثانية اعتمادًا على ذكرها أولاً.

٢- قوله (ص) فى خطبته يوم فتح مكة: «يا معشر قريش (أو يا أهل مكة) ما

---

(١) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٣٤.

(٢) لسانيات النص، ص٢١ - ٢٢.

(٣) ينظر تفصيل ذلك عند د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١٩٢/٢.

(٤) تاريخ الطبرى، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]. فقد حذف لفظ (فاعل) من العبارة (قالوا: خيرًا) والتقدير (فاعل خيرًا)، والذى أجاز ذلك ذكره سابقًا. كما أن هناك عنصرًا آخر حُذِفَ من الجملة، وهو (أنت) من جملة (أخ كريم) أى (أنت أخ كريم)؛ والذى دل على ذلك سياق الكلام. وقد أكد علماء اللغة النصيون كثرة وقوع الحذف فى سياق الاستفهام حتى قيل: إنه الأصل[2].

٣- قوله (ص) فى خطبة حجة الوداع: «أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد»[3]. فقد حذف لفظ (أخذ) من قوله (ص): (لا يحل لامرئ مال أخيه) والمراد (أخذ مال أخيه)؛ لأن المال لا يوصف بالحل والحرمة، وإنما المراد غصبه أو أخذه بغير وجه حق. كما أن هناك حذفًا عباريًا من جملة (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أنى قد بلغت).

٤- قوله (ص) فى خطبة الوداع: «وليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب»[4]. فالعنصر الفعلى قد حذف من عبارة (قالوا: نعم) والمراد

---

(١) إعجاز القرآن، ص٩٨، جمهرة خطب العرب، ١٥٤/١.

(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.144 - 145.

لسانيات النص ص٢١ - ٢٢.

(٣) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١٥٧/١.

(٤) السابقان نفساهما، ص٩٧، ١٥٧/١.

(نعم بلغت)، كما حُذِفَ شبه الجملة (منكم) من عبارة (فليبلغ الشاهد الغائب)، والتعبير بتمامه (فليبلغ الشاهد منكم الغائب)، ومثله حذف شبه الجملة من قوله (ص): «ألا وإنَّ أحبكم إلى من أخذ منى حقًا - إن كان له - وحللنى، فلقيت ربى وأنا طيب النفس»[1]. فقد حذف شبه الجملة من (حللنى)؛ فيكون النص بتمامه (حللنى منه) اعتمادًا على قوله (ص) (أخذ منى حقًا)، وهذا هو دليل الحذف.

٥- قوله (ص) فى أول خطبة له بمكة عندما دعا قومه: «والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»[2]. فالعنصر المحذوف هنا جملة جواب القسم من قوله: (إلى الناس كافة)، فالنص بتمامه (إنى لرسول الله إلى الناس كافة)، وقد أجازه ذكر جواب القسم سابقًا.

ومن خلال أمثلة الخطب السابقة يتبين أن السبك فى الحذف يقوم على محورين أساسيين:

أولهما: التكرار لكون المحذوف يشتق من مادة المذكور غالبًا أو من معناه أو مما يتعلق به. ثانيهما: المرجعية فى كون المحذوف غالبًا يقع فى التركيب الثانى، ويحيل بمرجعيته إلى ما سبق ذكره، فهى مرجعية قبلية كثيرًا وبعدية قليلاً، ولاشك أن هاتين الوسيلتين من وسائل السبك النصى[3].

وتظهر أهمية الحذف أيضًا من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النص فى مكوناته البيوية، ويعتمد فى ذلك على الإشارات اللاحقة، حيث ترد البنية بتمامها قبل

(١) تاريخ الطبرى، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

(٣) د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢/٢٢١.

ورود البنية التى وقع فيها الحذف. وينبغى أن يكون بالإمكان استرجاع البنية الكاملة فى مثل هذه الحالات[1]؛ ليتحقق للمتلقى الإفادة الكاملة من فهم النص بتمامه لإنجاح عملية التواصل بينه وبين المرسل.

**٤- الربط Junction:**

لما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيًا، وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصًا متماسكًا، وهذه الروابط تتنوع عند علماء اللغة النصيين إلى أربعة أقسام:

أ- إضافى Additive: ويمثله الأداتان (و، أو)، والتعبيرات (بالمثل، أعنى، كذلك، فضلاً عن ذلك، بالإضافة إلى ذلك، مثلاً، نحو)، وهذه الروابط تضيف معنى التالى إلى السابق، وقد أطلق عليه د. تمام حسان (الربط الجمعى) منعًا للبس بينه وبين مصطلح الإضافة فى العربية، كما فصل بينه وبين التخيير Disjunction، والذى من أدواته ( or - else - or either ... إلخ)، ويمثلها فى العربية (أو، إما)[2].

ب- العكسى Adversative: ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويمثله فى الإنجليزية (but, yet) وتعابير (nevertheless, however). ويمثله فى العربية حرف الاستدراك (لكن وأخواتها) (بيد أن، غير أن، وأما)، والتعبيرات (خلاف ذلك، وعلى العكس، وفى المقابل ... إلخ).

ج- السببى Casual: ويراد به الربط المنطقى بين جملتين أو أكثر، ويمثله العناصر (لذلك، من أجل، لأن، ل، لكى)، وقد عرفه بعض الباحثين

---

(١) د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١٠١.

(٢) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٣٥.

بـــ(الاتباع) وآخرين[1] بـــ(التفريع) Subordination.

د- الزمنى Temporal: هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيًـــا، ويمثلـــها فى الإنجليزية لفظ (Then)[2]. ويمثلها فى العربية الأدوات (فـــ، ثم، و، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما فى حين ...)، ونلاحظ من خلال عرض النصـــيين للروابط النصية أنها تشتمل على أدوات رابطة وتعبيرات تؤدى مؤدى هذه الأدوات وإن كانت ليست منها، والأمر فى العربية يختلف؛ فعندنا حروف العطف هى الروابط الحرفية، وما عداها تعد عبارات تـــدخل فى كونهـــا نتيجة للجملة السابقة، وهذه تسمى (أنماط رابطة).

وهناك تصنيف آخر لعلماء اللغة النصيين يتمثل فى تقسيمه إلى ربط نسقى Coordinatating Junction وربط اتباعى Subordinating Junction، ويشار بالنوع الأول إلى حالات الربط بواسطة كلمات يشترك طرفا العطف فيهـــا - المعطوف والمعطوف عليه - فى الرتبة ويمثلها حالات الـــربط بـــالواو و(لكـــن وبل ... إلخ) من تلك الروابط، أما النوع الآخر فيشار به إلى حالات الربط الـــتى يتبع أحد طرفى العطف فيها الطرف الآخر ولكنهما لا يشتركان فى الرتبة، ويمثلها الربط بالكلمات (ومن ثمّ، ولذا، ولذلك ... إلخ)[3].

---

(١) د. تمام حسان: السابق نفسه، د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغـــة النص، ص١٠٧.

(٢) لسانيات النص، ص٢٣ - ٢٤، د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢٥٩/١.

(٣) Baalbaki, Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 126.

والخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية فى العقدين الأخيرين، ص٦٨.

ويمتاز الربط عن باقى عناصر التماسك بكونه لا يبحث عن مرجعية فى السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال فى الإحالة، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتى تكتمل سلسلة المتتابعات النصية. وإنما تقوم علاقة الربط أصلاً على أدوات تجمع بين جملتين فى المتتالية النصية لإفادة التماسك بينهما. وهذه العلاقات متنوعة؛ ومن ثم نص المحدثون على صعوبة حصر أدوات الربط فى لغة ما[1]. إلا أن الأمر يختلف فى العربية؛ لكون أدوات الربط اللفظية محدودة ويمكن حصرها فى أى خطاب؛ ومن ثمَّ ستناول بعض نصوص الخطابة النبوية مبينين أثر تلك الروابط فى السبك النصى. هذا بالإضافة إلى أنه يوجد فى العربية ربط بدون الأداة وهو ما يعرف بالربط الإسنادى (المعنوى)، وسنمثل له بعلاقتى النعت والإسناد، وإليك النصوص.

**أولاً: الربط اللفظى:**

(١) خطبته (ص) التى خطبها بمكة حين دعا قومه إذ يقول: «والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتُجزونّ بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا»[2]، وخطبته (ص) فى حجة الوداع إذ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[3].

فبتأمل النص الأول يتبين رابط الواو فى الجمع بين جمل جواب القسم الثلاث (لتبعثن، لتحاسبن، لتُجزونّ)، وهن معطوفات على جملة جواب القسم الأولى: (لتموتن كما تنامون). كما جمعت (الواو) بين المتضادين فى العمل

---

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.242 - 243.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١٤٧/١.

(٣) تاريخ الطبرى، ١٥١/٣، جمهرة خطب العرب، ١٥٨/١.

والعقاب (بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا)، وكذلك جاءت (أو) التخييرية لتفيد أن نهاية الإنسان إما الجنة وإما النار تبعًا لعمله؛ وذلك فى قوله: (وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا)؛ وبذلك تكون (الواو) قد أفادت المشاركة بين المتتاليات. على حين دلت (أو) على التخيير، وكلاهما أدى إلى ربط الجمل بعضها ببعض؛ ومن ثمَّ تحقق السبك.

أما فى النص الثانى فجاء الرابط (أو) لمعنى الجمع المطلق، وهى فى ذلك[1] تؤدى مؤدى الواو فى (الادعاء لغير أبيه أو الموالاة لغير وليه)، وكلاهما يؤديان معنًى واحدًا، ثم جاء رابط الفاء ليبين نتيجة ما يترتب على هذا العمل، وهو استحقاق اللعنة من الله والملائكة والناس؛ وذلك من خلال تتابع المعطوفات بـ(الواو) والجمع بينها لإفادة دلالة المشاركة؛ وبذلك توافرت أنواع الروابط المختلفة فى النص (الواو - الفاء - أو)، كما تنوعت الدلالات التى أفادتها؛ ومن ثمَّ تعد هذه الروابط عناصر بنيوية ودلالية لما لها من أثر بالغ فى سبك النص والتحام أجزائه وترابط جمله.

(٢) خطبته (ص) يوم أحد إذ يقول: «أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله فى كتابه، من العمل بطاعته، والتناهى عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»[2].

نلاحظ وجود رابط (الواو) وجمعه بين المتتاليات النصية فى (العمل بطاعته، والتناهى عن معصيته)؛ فبالرغم من المقابلة إلا أن المراد منهما شيء واحد هو

---

(١) ينظر معانى (أو) ابن هشام: مغنى اللبيب، ٦٢/١.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١، ١٥٠.

صلاح العباد المتحقق فى طاعة الله وما يستلزمها من البعد عن معصيته. كما ورد الرابط (ثم) بعده مباشرة؛ ليدل على الانتقال الزمنى من شىء إلى آخر فى إدراك العبد لما حوله من المتع، وما يتبع ذلك من توطين نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط وما يلزم ذلك من جلدٍ لمجاهدة الشيطان؛ لكونها لا تتحقق إلا لمن أوتى سبل الرشد والفلاح، وقد تبين ذلك من خلال الربط بالفاء وما لها من معنى الترتيب والتعقيب[1].

(٣) خطبته (ص) فى حجة الوداع إذ يقول: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ... أيها الناس: إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله»[2]، وقوله: «واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس»[3].

فقد توفرت فى النص عدة أشكال من الروابط النصية السببية منها:

أ- (الفاء) فى الجمع بين الشرط وجوابه فيما وجّهه (ص) من الأمر بضرورة التزام الأمانة ووجوب أدائها إلى من ائتمنه.

ب- (لام التعليل) فى جمعها بين السبب والغاية فى بيان موقف أهل الجاهلية فى عملهم بـ(النسىء) حيث كانوا يبادلون بين الأشهر وذلك تحايل منهم على استمرار القتال خلال الأشهر الحرم؛ ولذلك يبين لهم المصطفى أن النسىء زيادة فى الكفر وأن الزمن قد استدار فعليهم اتباع الترتيب الزمنى

---

(١) ينظر معانى (الفاء) ابن هشام: مغنى اللبيب، ١/١٦١، ١٦٢.

(٢) إعجاز القرآن، ص٩٧، تاريخ الطبرى، ٣/١٥١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٣) تاريخ الطبرى، ٢/٣٩٥، جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩.

الطبيعى، وقد ظهر ذلك من خلال الربط بالواو بين الجمل المتعاطفة. وكذلك اللام فى (ليواطئوا عدة ما حرم الله).

ج- ففضلاً عن توفر الروابط الإضافية والتعاقبية من (الواو والفاء) فى النص الثانى، نلاحظ وجود الرابط (بعد)؛ وما له من دلالة الزمن المتمثلة فى كون الإنسان يعمل لما بعد الموت. وإن كانت العربية لا تعد هذه من الروابط، وإنما تجعلها من الظروف إلا أنها قد أفادت الجمع بين الجملتين المتقدمة والتالية لها وتوضيح ما بينهما من ترتيب زمنى.

(٤) خطبته (ص) فى حجة الوداع إذ يقول: «وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ... أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم»[١].

فقد توافر فى النص السابق أمثلة للربط التعاكسى وذلك من خلال الأداة (غير)؛ إذ بينت أن جميع مآثر الجاهلية موضوعة إلا خدمة البيت وسقاية الحجيج، فهما من الخصال المحمودة التى حرص عليها الإسلام ودعا إليها، والتعاكسى هنا بمعنى أن الجملتين متخالفتان، فالأولى تحقر وتستبعد كل مآثر الجاهلية، أما الثانية فتمجد وتعظم منها السدانة والسقاية.

أما الأداة (لكن) فى النص الثانى فقد بينت أن الشيطان بالرغم من يأسه أن يعبد فى مكة إلا أنه قد ارتضى منهم (أهل مكة) اقترافهم الآثام ولو فى محقرات الذنوب؛ فيكون المراد تنبيههم على ضرورة الابتعاد عن الصغائر والمحقرات من الذنوب؛ لأن ذلك مدخل من مداخل الشيطان.

ونستنتج من خلال التحليل للنصوص السابقة أن أدوات الربط فى العربية تختلف

(١) تاريخ الطبرى، ١٥٠/٢، جمهرة خطب العرب، ١٥٨/١.

شيئًا ما عنها عند النصيين، فلاشك فى أهميتها فى سبك النص شكليًا، وقد تحقق ذلك من خلال الأدوات المتنوعة بين (الواو والفاء وثم وأو)، أو من خلال الربط المنطقى بين السبب والنتيجة والممثل له بلام التعليل والفاء الواقعة فى جواب الشرط أو الرابطة بين المبتدأ والخبر إذا كان المبتدأ بمعنى الاسم الموصول. وهذا لا يمنع من وحود أمثلة كثيرة تُربَط ربطًا منطقيًا (بدون الأداة)، حيث يقوم المتلقى بتفسير النص تبعًا لمتطلبات السياق. كما وجد الرابط الاستدراكى وما يؤديه من جمع بين المتحالفين.

وقد حاول بعض الباحثين النصيين حصر الدلالات التى تفيدها عناصر الربط فى السبك، فحضور الروابط مقيد بالخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين - ومصطلح الخلاف يجمع عددًا من الوجوه:

- ☆ تعاقب فى الذكر (و / أو).
- ☆ تعاقب على أساس السببية: النتيجة تعقب السبب.
- ☆ تعاقب على أساس إضافة عنصر إخبارى جديد.
- ☆ تعاقب على أساس الترديد أو التذكير.
- ☆ تعاقب يجمع نظريًا هذه الوجوه كلها أو بعضها، أو بعضها مع غيرها.
- ☆ تعاقب على أساس البيان وهو أمر يكثر فى الجمل الاعتراضية المفسرة[1].

ويلخص البحث هذه الوجوه فى قاعدة مضمونها أن كل جملتين متتاليتين فى النص، ثانيهما تخالف الأولى، ترتبطان بأداة ربط.

---

(١) الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص٥٦، ٥٧، د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢٦٣/١.

## ثانياً: الربط المعنوي:

### (أ) النعـــت:

يعد القدماء النعت من الروابط المعنوية، فبالرغم من أنه لا يعتمـــد علـــى رابط ملفوظ يجمع بين النعت والمنعوت، إلا أن الربط بينهما متحقـــقٌ فى علاقـــة الإسناد الذهنية الجامعة بينهما، والتى تجعل الاسم بمنـــزلة الجزء من الأول؛ ولذلك يوجد بين العنصرين من شدة السبك والالتحام ما يوجد بين المسند والمسند إليـــه، والتوكيد والمؤكد، والمضاف والمضاف إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تـــُتْلَى عَلَيْـــهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ (لقمان ٧). فالجملتان (كأن لم يسمعها، كأن فى أذنيه وقرًا) نعت لما قبلهما وبينهما من شدة السبك مـــا لم يحتج إلى رابط لفظى، وهذا ما عرف عند القدماء (بكمال الاتصال)[١].

وقد زعم أحد الباحثين المحدثين أن النصيين لم يجعلوا النعت من عناصر الإحالة[٢]، على حين اقتصروا على الاستبدال والعطف. وهذا زعم غير متحقق؛ لكون النصيين قد ذكروا (الإحالة بالتبعية) ضمن عناصر الإحالة. والتبعية تشمل (العطف والنعت والتوكيد والبدل). ومن هؤلاء زتسيسلاف واورزيناك[٣].

أما القدماء فقد جعلوه من عناصر الربط؛ وملخص أقوالهم: «إن النعـــت مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد» على حد تعبير سيبويه[٤]، فهو - أى التابع - دال على معنى فى المتبوع أو متعلق به، بل متمم له، ومكمل له. والنعت كما ذكر

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١/٢٦٦.

(٣) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص٦٩ - ٧٠.

(٤) سيبويه: الكتاب، ١/٤٢١ - ٤٢٢.

ابن الناظم «إنما يجيء لتكميل المنعوت»[1]. والأمر يزداد ارتباطًا فى نعت الجملة؛ وذلك لكونه لا يكتفى فيه بالرابط المعنوى، وإنما يتطلب رابطًا لفظيًا هو الضمير فى جملة النعت، ووجوب مرجعتيه إلى المنعوت؛ ومن ثمَّ عده (ابن هشام) من روابط الجملة[2]. وسوف نتبين أهميته من خلال تحليل بعض الخطب، وإليك الأمثلة:

من خطبته (ص) فى الاستسقاء قوله: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثا، مريئًا هنيئًا مريعًا، سحًا سحالاً، عدقًا طبقًا، ديما دررًا، تحيى به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سُقيًا نافعة، عاجلاً غير رائث»[3].

فتأمل هذا النص يتبين اشتماله على نوعين من النعت:

أولهما: النعت المفرد وقد بين صفات المنعوت، فالرسول (ص) يطلب غيثًا مغيثًا نافعًا متبعًا دُلالاً كثيرًا كافيًا للناس والأنعام، وهذه نعوت ارتبطت مع منعوتها برابط الإسناد، فصار (النعت والمنعوت كالكلمة الواحدة)؛ ومن ثمَّ لم يحتج إلى الروابط اللفظية؛ وهكذا تبين شدة التماسك بينهما.

ثانيهما: نعت الجملة فى (تحيى به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع) ووجود الرابط (الضمير) فيها ومرجعيته إلى (الغيث). ونلاحظ التكامل بين الجملتين الأوليتين والترتيب المتحقق على إحياء الأرض وإنبات الزرع، وما يترتب على ذلك من إشباع للأنعام فيدر به الضرع؛ وهكذا تحقق السبك من خلال توافر عناصر الربط اللفظى والمعنوى.

---

(١) ابن الناظم: شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٤٩٠-٤٩١.

(٢) مغنى اللبيب، ٢/٥٠٣.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٥.

وهكذا تكون (التبعية) بوجه عام من أنواع الإحالات النصية، ويمكن أن تبحث الإحالة فيها من خلال جانبين على الأقل. فمن جانب يتعلق الأمر بالترابط المعنوى بين النعت والمنعوت فى الدلالة. ومن جانب آخر لزوم المطابقة بينهما فى النوع والعدد والإعراب، ولاسيما فى النعت المفرد؛ وهكذا تتحقق الإحالة بالتبعية معنًى ولفظًا.

**(ب) الإسناد:**

لما كان السبك بين العناصر النصية يعنى التحامها بحيث لا يستغنى أول العناصر عن ثانيها والعكس صحيح؛ عُدَّ الإسناد من أوثق أنواع السبك؛ وذلك للرابط المعنوى الجامع بين العنصرين المسندين. وإن كان هذا الإسناد يقع فى الجملة إلا أنه يقع أيضًا بين الجمل فى المتتاليات النصية. وقد أشار علماء اللغة النصيون إلى هذا النوع من الترابط الدلالى النحوى، حيث قسموا الجملة إلى (مسند إليه ومسند)، فأطلقوا على أولهما الموضوع (المسند إليه) Topic، وهو المعلومة المذكورة سلفًا فى النص. أما المحمول (المسند) أو الخبر Predicate، فهو المعلومة الجديدة فى النص[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن ١-٤)، فالمسند إليه هو الرحمن سبحانه وتعالى، والمسندات تتمثل فى (علم، خلق، علمه). وهكذا نلاحظ شدة السبك بين هذين العنصرين مع استمرارهما عبر التتابعات النصية؛ وبذلك عد النصيون[2] الإسناد خاصية دلالية تعتمد على فهم

---

(١) د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٧٢/١.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٥٢، ٢٦٣، د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص١٢٠ - ١٢١، د. صبحى الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق،=

كل جملة مكونة للنص فى علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ومن ذلك قوله (ص) فى خطبة يوم أحد: «فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»[1].

فالمسند فى النص السابق جاء جملة؛ فارتبط برابطين رابط الإسناد الذهنى ورابط الضمير (الهاء) فى جملة المسند والمطابق للمسند إليه فى النوع والعدد، وهذه كلها روابط توثق العلاقة بين ركنى الإسناد مما أفاد السبك والانسجام.

### ٥- التحديد Definiteness:

عد بعض النصيين التعريف والتنكير من عناصر السبك النحوى، حيث يعمد المخاطب إلى استعمال مورفيمات معينة فى حالة التعريف تفيد أن هذا الاسم قد سبق ذكره، على حين يعد استعمال أداة التنكير ملائمًا لمعلومات لاحقة لم يرد ذكرها بعد[2]. وقد مثلوا لذلك بقولهم: (كان هناك فى قديم الزمان فتاة، الفتاة كانت جميلة) فـ(فتاة) النكرة تشير إلى معلومة لاحقة، يتوقع خلالها المتلقى أن يخبر أكثر عن تلك الفتاة. أما (الفتاة) المعرفة فهى تشير إلى أن هذا الاسم قد ذكر سابقًا[3]؛ ومن ثمَّ فهذه الظاهرة ترجع فى أذهان المستمعين إلى ما هو مركوز فيها من المعلوم والمجهول؛ ولذلك كان هذا العنصر النحوى يكاد يكون واحدًا فى جميع اللغات، وإن كانت أدواته تختلف من لغة إلى أخرى[4].

---

= ١/٧٣.

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩، ١٥٠.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٧.

(٣) د. فالح بن شبيب، مدخل إلى علم اللغة النصى، ص٢٩.

(٤) د. محمود نحلة: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التوني للطباعة والنشر،=

فهناك أدوات تستعمل لتعيين المعرف من النكرة فى أكثر اللغات، فمن المعرف ما هو من الأعلام كـ(آدم وماريا). وأسماء عامة متبوعة بـ(الصفة أو البدل والمشتقات وجمل الصلة). وأسماء عامة مع تحديدات (الأدوات، وضمائر الإشارة، وضمائر الملكية، والأعداد، والكلمات الدالة على الكميات). أما غير المحددات فهى النكرات كـ(المرء، شخص ما، شىء)[1]. ومن خلال ما سبق يتبين أن أسماء المعرفة لا تتطلب تنشيطًا كبيرًا لذهن المتلقى؛ لكونها غالبًا ما تكون معلومة لديه. على حين تثير النكرات قدرًا أكبر من تنشيط الذهن لدى المتلقى؛ لكونها غير معلومة له قبلاً.

فإذا تأملنا الخطب النبوية وجدنا أن فيها ألفاظًا معرفةً فى بنيتها غير محددة فى دلالتها نحو (العبد، المرء، الناس، المسلم ... إلخ). كما وجدنا أن الأسلوب النبوى قد جمع بين النكرة والمعرفة فى لفظ واحد؛ اعتمادًا على السياق. ومن ذلك خطبته (ص) فى مرض موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضى فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً، فهذا مالى فليأخذ منه»[2].

فقد جاء لفظ (ظهر) نكرة حيث لم يرد به ظهر شخص معين، بل أراد أى شخص قد ضربت له ظهرًا فله أن يقتص منى بضرب ظهرى، فجاءت (ظهرى) معرفة بالإضافة حيث أسندها النبى (ص) إلى نفسه. والحال ذاته فى الجمع بين (عرض - عرضى، مال - مالى). هذا فضلاً عن مجىء رابط (الواو) الذى جمع

---

=١٩٩٧م، ص١١.

(١) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص٦٩ - ٧٠، ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الطبرى، ١٨٩/٣، ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١٥٨/١.

بين الجمل المتتابعة داخل النص؛ فمنحه الانسجام والسبك.

## ثانيًا: عناصر السبك المعجمى Lexical Cohesion:

تتصافر عناصر السبك النحوى والتى سبق ذكرها مع عناصر السبك المعجمى فى تماسك النص والتحامه، ويُعنى بالسبك المعجمى "العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية". وهى علاقة معجمية خالصة حيث لا تفتقر إلى عنصر نحوى يظهرها؛ ومن ثمَّ فهى تخضع لعلاقات أخرى غير التى تخضع لها عناصر السبك النحوى؛ ولذلك خصها النصيون بدراسات مستقلة[1].

وقد اتخذت دراسة السبك المعجمى لدى اللغويين النصيين محورين أساسيين تدور حولهما: أولهما: التكرار Repetition، وثانيهما: المصاحبة اللغوية Collocation، حيث أفرد لهما اللغويون مجالاً واسعًا للدراسة والتصنيف[2].

### ١ - التكرار Repetition:

يُعنى به عند النصيين «إعادة عنصر معجمى ما أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم عام»[3].

والحق أن العرب القدماء قد التفتوا إلى هذا المظهر من المظاهر البيانية مدركين أهميته فى تماسك النص وتقوية المعنى، إذ يقول الرضى: «التكرير ضم الشىء إلى مثله من اللفظ مع كونه إياه فى المعنى للتأكيد والتقرير»[4]؛ وذلك لكون التكرير يعتمد على ترداد اللفظ أو إعادة ذكره بنفسه أو بمعناه سواء أكان هذا المعنى مصاغًا فى كلمة

---

(١) لسانيات النص، ص٢٤.

(٢) الخصائص اللغوية، ص٧٤.

(٣) لسانيات النص، ص٢٤.

(٤) الرضى: شرح الكافية فى النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١٥/١.

مفردة أم فى جملة، والسبك هنا تَأتّى من تعلق الألفاظ بعضها ببعض[1]. وهذا ما دعا النصيين إلى جعل التكرار من عناصر السبك المعجمى؛ ولكونه تعبيرًا يكرر فى الكل والجزء[2]. كما عرفه د. سعيد بحيرى بقوله: «الإحالة التكرارية هى الإحالة بالعودة وتتمثل فى Epanaphora تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ فى بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ... والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانًا فى الكلام»[3].

ويرى علماء اللغة النصيون أنها أوثق أنواع التكرار حيث يقول دريسلر: «إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطى منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر»[4].

**صور التكرار**:

تعددت أشكال التكرار داخل النص ومنها:

(أ) إعادة تكرار اللفظ نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ (الحاقة ١ - ٢)، وعد البلاغيون منه رد العجز على الصدر، كما فى قول الأقيشر:

**سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى الندى بسريع**

حيث كرر لفظ (سريع) فى صدر البيت وعجزه، وهكذا يقوم العنصر المعجمى

---

(١) ينظر علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ١٩/٢.

(٢) Crystal, David: The Cambridge Encyclopedia of Language, p.119.

(٣) د. سعيد بحيرى: من أشكال الربط فى القرآن الكريم، مقال من مجموعة مقالات مهداه للعالم الألمانى فيشر، إشراف د. محمود فهمى حجازى، ط مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٥١.

(٤) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٦.

المعاد بوظيفة الربط بين شطرى البيت[1]. ويشترط لهذا التكرار وحدة المحيل إليه فى اللفظين المتكررين حسب مبدأى الثبات والاقتصاد[2].

ومنه خطبته (ص): «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل من تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وآمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره ...»[3].

فنلاحظ اعتماد الأسلوب على تكرار عناصر بعينها مثل (كأن) التى أفادت التشبيه مع تكرار التركيب بين الجملتين الأوليتين ففيهما (كأن + اسم + جار ومجرور + قد + فعل). كما كرر العنصر (طوبى)، الذى بيَّن جزاء وثواب من جاء بهذه الخصال المحمودة من الخير. وقد جاء العنصر المكرر فى بداية كل جملة فعمل على الربط بين سابقتها ولاحقتها؛ فكان لذلك أثره فى السبك والتماسك المعجمى.

(ب) التكرار بإعادة المعنى واختلاف اللفظ (الترادف) وقد عرف المحدثون المترادفات بأنها «ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها فى أى سياق»[4]. وكما

---

(١) القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، ١٠٢/٦.

(٢) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٣.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١٥٣/١.

(٤) ستيفن أولمان: دور الكلمة فى اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٥٨.

عرفه النصيون بقولهم هى تعبيرات استبدال سبقت صياغتها فى النظام «قابلة للتوسيع أحيانًا أيضًا»[1]. وهذا النوع من التكرار يلى ما سبق فى الأهمية، ويمكن عده من أوجه الصياغة الاسمية المتكافئة نصيًا، وهى تشبه المترادفات النصية وتكمن أهميته فى كون المترادفات متحققة فى النص فعلاً، وهى التى أعيد تعيينها من خلال المتكررات المعنوية، وهذا يعمد إليه مؤلف النص لتأكيد فكرة ما أو إثباتها أو الحث عليها[2].

وهو إما ترادف تام Synonymy أو شبه ترادف Near Synonymy. أما الترادف التام فمختلف فيه بين القدماء والمحدثين[3].

أما شبه الترادف ويقصد به تكرار المعنى مع وجود فروق بين المعنيين فى دلالة اللفظ، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف ٨٦) فقيل البث هو تفرق الحزن وعدم كتمانه، من قولهم: (بثثتك ما فى قلبى) أى أعلمتك إياه. أما (الحزن) فهو غلظ الهم وكتمانه[4].

فأما الترادف فمنه خطبته (ص) فى الاستسقاء: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا هنيئًا مريعًا، سحًا سجالاً، غدقًا طبقًا، ديمًا دررًا، تحيى به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقيًا نافعة، عاجلاً غير رائث»[5].

---

(١) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص١٣١ بتصرف.

(٢) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص١٣٨ بتصرف.

(٣) ينظر للباحثة مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت الشاطئ، مجلة علوم اللغة، م٦، ع٢١، ٢٠٠٣م، ص١٨٢ وما بعدها.

(٤) أبو هلال العسكرى: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م، ص٢٦٧.

(٥) جمهرة خطب العرب، ١٥٥/١.

فنلاحظ من خلال النص السابق ميل الأسلوب النبوى إلى تكرار المعانى للفظة (معيث) وذلك من خلال تعدد صفاته، وجاء ذلك فى ألفاظ مفردة فهو غيث (يعيث الناس من الموت، هنيئًا مريئًا لهم، متبعًا مغطيًا عامًا موزعًا على الجهات كلها)، كما ختم بجمل متقاربة المعنى نحو (تحيى الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع)، وهذا من باب إعادة الصياغة الموسعة للفظة[1] (معيث).

أما شبه الترادف فمنه خطبته (ص) فى أول جمعة بالمدينة إذ يقول: «... من يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا، وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة»[2].

فقد ورد تكرار باللفظ نفسه متمثلاً فى (تقوى الله)، كما جاء تكرار بالمعنى فى (مقته، عقوبته، سخطه). فضلاً عن إحالة الضمير ومرجعيتها إلى لفظ الجلالة. كما جاء شبه الترادف فى (يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة)؛ وذلك بغض النظر عن الفروق بين تلك المعانى، إلا أنه يجمع بينها تساوى الجمل ووحدة تركيبها وقرب معانيها.

(ج) هذا وقد يرد التكرار بواسطة كلمة شاملة تندرج تحتها كلمة أخرى، وهو ما يطلق عليه الاسم الشامل Super Ordinate.

ومنه خطبته (ص) فى يوم أحد: «أيها الناس إنه قذف فى قلبى أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلى على محمد وملائكته عشرًا، ومن أحسن وقع أجره على الله فى عاجل دنياه، أو فى آجل

---

(1) ينظر أوجه إعادة الصياغة الاسمية التعبيرية: د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص١٣٧.

(2) تاريخ الطبرى، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا»[1].

فقد ورد فى النص ألفاظ عامة مثل (الناس) فهى تشمل تارك الحرام رغبة فى رضا الله، والمصلى على النبى وملائكته، والمحسن فى عمله، والمؤمن بالله واليوم الآخر. كما جاء العنصر (مَنْ) اسمًا موصولاً عامًا يجمع كل من آمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة، واستثنى من ذلك الصبية والنساء والمرضى والعبيد فهى غير واجبة عليهم. هذا فضلاً عن عناصر السبك النحوى التى اتحدت مع قسيمتها فى جعل النص وحدة واحدة يعلق بعضه بعجز بعض.

(د) وقد يرد التكرار فى النص من خلال اسم عام غير محدد الدلالة مثل كلمة (شىء أو أمر أو مسألة) إذ يعنى كل منها عدة دلالات تختلف باختلاف السياق الواقع فيه[2]. ومنه قوله: تفوق زيد فى المسابقة وهذا شىء جميل.

ومنه خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «نضَّر الله عبدًا سمع مقالتى فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3].

فلفظة (عبد) جاءت نكرة غير محددة، إلا أن الأُسلوب الخطابى قد بين المراد منه، وهو من سمع مقالة النبى (ص) فوعاها وفهمها وبلغها لغيره فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع؛ ولذلك يدعو له بنضرة الوجه يوم القيامة، وقد بدا النص كله كجملة واحدة لشدة سبكه.

---

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٠.

(٢) الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية، ص٧٥.

(٣) إعجاز القرآن، ص٩٨، جمهرة خطب العرب، ١/١٥١.

(هـ) ومن صور التكرار التفصيل بعد الإجمال ويُعنى به شرح ما أجمل سابقًا؛ ولذلك يحمل التفصيل مرجعية خلفية لما سبق إجماله[1]، ومنه خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة»[2]. وخطبة له (ص) إذ يقول: «... إن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ...»[3].

فقد فُصِّل ما أجمل فى قوله: (ثلات لا يغل عليهن قلب المؤمن) بما جاء بعدها من (إحلاص العمل لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة). كذلك جاء لفظ (مخافتين) مجملاً وقد تم تفصيله فيما بعدها من خوف العبد مما مضى من أجله أكان له أم عليه؟ وكذلك مما بقى، وكأنه شرح وتوضيح لما جاء أولاً.

(ز) مں صور التكرار (التكرار التركيبى) وفيه يعمد المخاطِب إلى توجيه حطابه فى شكل جمل منسقة تركيبيًا من حيث مكوناته، ومنه قول الجاحظ: «الكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك ... إلخ»[4]. فقد اعتمد الكاتب على أشكال متكررة مكونة من (اسم + الذى + لا + فعل مضارع + ك)، وهى أيضًا تعبيرات مرتبطة فى المعنى تدل على تكريم الكتاب بصفته صديقًا مخلصًا للقارئ[5]. ومنه خطبته (ص) فى مرض

---

(١) علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق، ٢/١٤١.

(٢) إعحاز القرآن، ص٩٨، جمهرة حطب العرب، ١/١٥١.

(٣) تاريح الطبرى، ٢/٣٩٥، جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩.

(٤) الحاحط: الحيوان، تحقيق عىد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، ١/٥٠.

(٥) إلهام أبو عزالة، على خليل حمد: مدحل إلى علم لغة النص، ص٨٧.

موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهرى فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضى فليستقد منه، ومن أخذت له مـــالاً، فهـــذا مـــالى فليأخذ منه»[1].

فنلاحظ تكرار النمط التركيبى المتمثل فى أُسلوب الشرط وأجزاءه (اسم الشرط + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط) ويمثله (من + الفعل الناســـخ بركنيـــه + الفاء + جملة جواب الشرط). وهذا يدل على مدى حـــرص الـــنبى (ص) علـــى التحلص من أية حقوق للعباد عليه سواء أكانت بالضرب أو السب أو أخذ المال، وهو أبعد ما يكون عن ذلك إلا أنه أراد أن يجعل من نفسه مثلاً يُحتذى به.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن التكرار إذا جاء فى سياق غير محتاج له أدى إلى إضعاف الإعلامية، وذلك بسبب الإسراف فيه، كأن يقـــال: ذهبنـــا إلى البيت وذهبنا إلى البيت.

ويمكن التغلب على ذلك باستعمال بعض الأساليب التى تتكرر فيها الأشكال مـــع بعض الاختلاف فى المحتوى، أو يتكرر فيها المحتوى مع اختلاف الأشكال، ومنه ما يعرف بـــ(الموازاة)، والمقصود بها تكرار أشكال الإخراج ذاتها فى ظاهر النص، مع شغلها بتعبيرات مختلفة[2].

## ٢- المصاحبة اللغوية Collocation:

تعد المصاحبة اللغوية ثانى عناصر السبك المعجمى بعد التكـــرار وآخـــر العناصر المعجمية فى تناولنا، ويعنى بها العلاقات التى تربط بين بعـــض الوحـــدات

(١) الطبرى، ٣/١٩١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٩.

(٢) إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٨٢، ٨٧.

المعجمية المنفردة، وهو ارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه فى الكلام بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة فى النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة كما كان الحال معروفًا بالنسبة للعناصر السابق ذكرها[1]. ويصنف النصيون هذه العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة تصنيفًا علميًا بالرغم من صعوبة ذلك؛ لشدة التداخل بين هذه الأصناف ويمكن رصدها على النحو التالى:

أ- علاقة التضاد بين الأسماء المتعارضة مثل (رجل - امرأة) و (ولد - بنت)، كما تقع بين الأفعال مثل (يصمت - يتكلم - يأتى - يذهب)[2]، وقد عُرف عند القدماء[3] بـ(الطباق) فى المفردات، ومنه قوله تعالى: ﴿**تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء**﴾ (آل عمران ٢٦). وبـ(المقابلة) فى الجمل ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[4] (الليل ٥-١٠).

ب- علاقة التدرج التسلسلى المرتب بين زوجين من الألفاظ مثل: (أيام الأسبوع أو الشهور).

ج- علاقة الجزء بالكل، مثل: (السقف - الجدران - الحجرة) وعلاقتها بالمنزل.

---

(١) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, p. 62: Monir Baalbaki: Dictionary of Linguistics Terms, p. 98.

(٢) د. سعيد بحيرى: مدخل إلى علم النص، ص١٣٣، لسانيات النص، ص١٣٠ -١٣٢.

(٣) القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، ٦/٨.

(٤) السابق نفسه، ٦/١٨.

د-   علاقة الجزء بالجزء، مثل: (الأنف - الذقن - العين).

هـ- علاقة الصنف العام، مثل: (الطواف - الكعبة - السعى) وعلاقتها بالحج فهو الصنف الذى يجمعها.

و-   علاقة التلازم الذكرى، مثل: (المرض - الطبيب، السفر - الطائرة، الطالب - الامتحان)[1].

ولاشك أن تداخل هذه الأزواج من الألفاظ يسهم بدور فعال مع باقى العناصر الأخرى فى السبك المعجمى، وستبين ذلك من خلال تحليل بعض الخطب النبوية فيما يلى:

(**١**) خطبته (ص) حين دعا قومه بمكة: « والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا»[2].

فبتأمل النص السابق نلاحظ ورود أزواج من الألفاظ يعارض بعضها بعضًا، كـ(خاصة - كافة، إحسانًا - سوءًا، جنة - نار). هذا فضلاً عن ورود عناصر نصية ومعجمية متمثلة فى: (الإحالة المرجعية فى (هو) المحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة) والحذف فى (وإلى الناس كافة) والعنصر المحذوف (إنى لرسول الله)، ودليل حذفه سبق ذكره أولاً والإحالة فيه داخلية سابقة. والربط بـ(الواو) الجامعة بين المتشابهات لإفادتها المشاركة. هذا بالإضافة إلى التكرار باللفظ نفسه فى (والله). كما نلاحظ الجمع بين (الإحسان إحسانًا، والسوء سوءًا) بالرغم من اختلاف

---

(١) لسانيات النص، ص٢٥، الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية، ص٨١، ٨٢.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

المعنى، فالإحسان والسوء المعرفين يراد بهما العمل، على حين يراد بالنكرتين الجزاء، وهكذا تضافرت العناصر النحوية والمعجمية فى سبك النص وتماسكه.

(٢) ولا يقتصر التعارض على المفردات بل يتعداها إلى الجمل المتعالقة عبر وقرات من النص، ومن ذلك خطبته (ص) بالخيف إذ يقول: «ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»[١].

فالمقابلة جاءت رابطة بين الجمل المتتابعة عبر النص؛ وذلك من خلال الجمع بين حال من كان همه الآخرة فعمل لها؛ فكان جزاءه جمع شمله وغنى قلبه وأتته الدنيا مُنقادة له، وحال من كان همه الدنيا فعمل لها ونسى آخرته؛ فكان جزاءه تفريق أمره وفقره ولم يصب من الدنيا إلا ما قد قدر له. وقد جاء الخطاب مرتبًا ترتيبًا يتناسب مع الواقع، مقدمًا الأولى للأهمية (حال الصالح وشأنه)، مرغبًا أولاً ثم مرهبًا؛ فكان لذلك أثره فى انسجام النص[٢].

كما نلاحظ سوق هذه الجمل من خلال (أسلوب الشرط) الذى يتعالق فيه جملة الجواب بجملة الشرط وتعالقهما باسم الشرط، وهذا من عناصر الحبك، كما يمكن عده من التكرار التركيبى لتماثل التركيبين. وفيه ربط بـ(الواو) بين الجمل المعطوفة على جواب الشرط مما يفيد تلاحمها. فضلاً عن الإحالة المرجعية فى الضمير (الهاء) فى (همه - شمله - غناه - قلبه - أتته - أمره - فقره - عينيه - يأته)، وجميعها محيلة إحالة داخلية سابقة راجعة إلى (من). كما جاء الضمير (هى) محيل إحالة

---

(١) إعجاز القرآن، ص٩٩، جمهرة خطب العرب، ١/١٥١.

(٢) سطر أثر ترتيب الخطاب لسانيات النص، ص٤٠.

داخلية سابقة أيضًا ومرجعيتها (الدنيا)، وهو الحال نفسه فى (راغمة)؛ وهكذا تعالقت الجمل المتتابعة داخل النص فصارت كأنها جملة واحدة.

(٣) ومن علاقات المصاحبة التدرج التسلسلى الواضح فى خطبته (ص) إذ يقول: «وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله، يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حُرم، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!»[1].

فقد ذكر النبى (ص) عدة الشهور عند الله ردًا على فعل الجاهليين فى العمل بـ(النسىء) وهى مرجعية داخلية سابقة مبينًا الحرم منها وهى ثلاثة متواليات (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) ، وواحد منها منفرد هو (رجب)، وهذا ترتيب تسلسلى يعتمد على علم المخاطب والمتلقى بشهور العام وهى مرجعية خارجية ترتبط بالسياق الذى ورد فيه النص. كما يمكن عد هذا النص من باب التفصيل بعد الإجمال. هذا بالإضافة إلى أن هناك حذفًا عباريًا متمثلاً فى (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أنى قد بلغت)؛ اعتمادًا على ما سبق ذكره أولاً؛ ومن ثمَّ فهو محيل إحالة داخلية سابقة. هذا كما جاء الربط بـ(الواو) بين الأشباه من أسماء الشهور فى (ذو الحجة، والمحرم ورجب) وعطفها على (ذو القعدة). كما جاءت الإحالة بالاسم الموصول ومرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى (رجب). هذا بالإضافة إلى التبعية المتمثلة فى النعت المخصص لـ(أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد، رجب الذى بين جمادى وشعبان) ونلاحظ تنوعها بين المفرد والجملة؛ وهكذا أسهمت هذه العناصر جميعها (نحوية ومعجمية) فى سبك النص.

---

(١) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١٥٧/١.

(٤) أما علاقة الجزء بالكل فنجد منها النصوص التالية:

الأول: قوله (ص): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا»[1].

الثاني: قوله (ص): «فلا ترجعن بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

الثالث: قوله (ص): «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهرى فليستقد منه»[3].

فنلاحظ فى النص الأول أن الأسلوب قد شمل جميع المسلمين بلفظة (من) فى افتراض الجمعة، إلا أنه استثنى أصنافًا محددة هى، (الصبية والنساء، والمرضى، والعبيد)؛ فهم غير مكلفين بأدائها فى المساجد ومن أداها لا يعدم ثوابه من الله، وتمكن عد (من) فى أول النص اسمًا عامًا شاملاً يجمع الأصناف المذكورة وغيرها. كما أن الرابط (أو) جاء بمعنى (الواو) فى الجمع بين المعطوفات فى (امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا). بالإضافة إلى تبعية النعت فى (عبدًا مملوكًا) لإفادة عدم أهليته.

أما النص الثانى فجاء فيه لفظ (الرقاب) يمثل جزءًا من كل، وخصه بالذكر لأنه موضع القتل. وقد جاء الأسلوب إنشائيًا نوعه النهى؛ لإفادة النصح والتوجيه من النبى (ص) إلى العباد من بعده. وهنا تلازم ذكرى بين لفظى (يضرب ورقاب) فلا يذكر الرقاب فى سياق القتل إلا وذكر معه الضرب، ودليله قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد ٤).

أما فى النص الثالث فقد جاء فيه لفظة (ظهر) وهى جزء من الجسم؛ وخصه بالذكر لأنه موضع الجلد. وقد أكدت الإحالة باسم الإشارة فى هذا

---

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٠.

(٢) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٣) تاريخ الطبرى، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(ظهرى) ومرجعيته داخلية لاحقة. أما الضمير فى (منه) فمرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى (من). هذا فضلاً عن علاقة الشرطية المتمثلة فى الشرط وجوابه، وهى من علاقات (الحبك).

(٥) أما آخر هذه العلاقات فهى علاقة الصنف العام الذى يندرج فيه أكثر من لفظ ومنه قوله (ص) فيمن ترك الجمعة دون عذر مبينًا عقابه فيقول: «فلا جمع الله له شمله، ولا بارك فى أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابى مهاجرًا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنًا»[١].

فألفاظ (الحج - صوم - الصدقة - الإمامة فى الصلاة) كلها من العبادات. على حين يكون البر من (الأخلاق). كما نلاحظ شبه الترادف الجملى بين (فلا جمع الله له شمله، ولا بارك فى أمره) إضافة إلى إحالة الضمير (الهاء) فى (له - شمله - أمره)، ومرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى من ترك الجمعة. كما وجد من عناصر السبك المعجمى التكرار فى العنصر (ألا ولا)، وما أفاده من تأكيد. والربط بالواو بين المعطوفات وما أفاده من الجمع والمشاركة. والتضاد بين (الفاجر والمؤمن) و(أعرابى ومهاجر). وقد جاء هذا كله فى أسلوب إنشائى دعائى.

وهكذا جاءت نصوص الخطابة النبوية متمثلة جميع معايير النصية، فهى تعتمد أولاً على الهدف المرجو منها أى الفكرة التى أراد النبى (ص) التركيز عليها، فجاء ذلك من خلال نصوص متلاحمة الأجزاء مستوفية لشروط السبك النحوى والمعجمى، مناسبة للموقف الذى جاءت فيه، موجزة قصيرة الجمل؛ فأدى ذلك إلى نجاح عملية الاتصال من جانب المتلقى؛ فتحقق الفهم والإدراك؛ ومن ثم تحقق مقصد الخطبة.

---

(١) إعجاز القرآن، ص٩٦، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٣.

ويمكن تحديد خطوات بناء الخطبة فى (الموضوع العام، الأفكار الأساسية والفرعية التى يعرض من خلالها)، مع مراعاة ترتيب تلك الأفكار ترتيبًا منطقيًا، وتغليف ذلك بقواعد لغوية مناسبة، عرفت بفصاحتها وجزالتها ووضوحها.

## النتائج

١- عنى البحث بدراسة معايير علم اللغة النصى المختلفة، وذلك فى الإطار النظرى. على حين ركز على عناصر السبك بنوعيها (النحوى والمعجمى)، من خلال القسم التطبيقى على الخطب النبوية؛ رغبة فى الإيجاز، إلا أننا قد ألمحنا إلى بعض العناصر التى لم يتناولها البحث كـ(عناصر الحبك) عند تحليلنا للنصوص كلما كان ذلك لازمًا.

٢- أثبت البحث أن مهمة علم اللغة النصى تتمثل فى وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة؛ ومن ثمّ أصبحت النصوص بأبنيتها وشروطها الوظيفية موضع بحث مركزى فى الدراسة اللغوية.

٣- يمثل علم اللغة النصى علمًا متداخلاً، حيث يعمد إلى منهجيات العلوم الإنسانية الأخرى والاستعانة بها فى تحليل النصوص، ومن ذلك (علم الاتصال خاصة مشاكل الاتصال الجماهيرى، علم الاجتماع والنفس. ولاسيما علم النفس الإدراكى. وكذلك علم التربية وعلم القانون ... إلخ)؛ ومن ثمّ يوصف بأنه علم متداخل؛ فهو مجموعة علوم متشابكة.

٤- التفت البحث إلى إسهامات القدماء فى دراسة عناصر وأصول تتصل بعلم اللغة النصى عند المحدثين، وإن كانت لم تأخذ شكل النظرية أو تتشكل فى

قوالب علمية متكاملة.

٥- يمتاز التحليل النصى بكونه لا يقتصر على دراسة المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) فحسب، بل يسعى إلى جمع هذه المستويات فى إطار كلى يتدرج فيه من دراسة الجملة إلى دراسة النص كوحدة واحدة، لا يعدم فيها أثر المتلقى ومقصد المخاطب والسياق الذى دار فيه النص والموقف، كل هذا فى إطار عناصر السبك النحوى والمعجمى.

٦- استهدفت الخطابة النبوية مقصدًا عامًا يتمثل فى توجيه النصح والوعظ والإرشاد إلى جمهور المستمعين؛ وذلك لكون النبى - صلى الله عليه وسلم - هو المعلم لشئون الدين والدنيا.

٧- يمثل المتلقى ركيزة فى التحليل النصى؛ لكونه هو المستقبل للنص، والذى يقوم بفهمه وفك شفرته؛ استجابة لغرض المخاطِب فى إنجاح توصيل الرسالة المقصودة.

٨- يهتم التحليل النصى أيضًا بالسياق الذى ورد فيه النص؛ لكونه يمثل الموقف بما فيه من أحداث وشخصيات ومكان وزمان وظروف وملابسات ... إلى غير ذلك من المؤثرات.

٩- أثبت البحث من خلال عرض العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص أنهما متكاملان؛ لكون الجملة هى بنية النص؛ ومن ثمَّ يجب اعتماد قواعد نحو الجملة ودلالتها داخل تحليل بنية النص؛ وبهذا يكون هناك نظام دلالى ونحوى واحد يجمع بينهما.

١٠- أثبت التحليل النصى أهمية استعمال اللغة بطريقة عملية؛ وذلك من خلال دورها فى التواصل الإنسانى؛ ومن ثمَّ يجب على النصيين الاهتمام بدراسة

النصوص وتحليلها واستنباط قواعدها أكثر من اهتمامهم بوضع أشكال نحوية تفرض على دراسة النصوص.

١١- أثبت البحث بعض الاختلاف بين قواعد التنظير عند النصيين من جهة والنصوص العربية من خلال التحليل من جهة أخرى، ومن ذلك عناصر الربط اللفظى والمعنوى؛ وهذا يؤكد أنه بالرغم من ثبات القواعد فى أكثر اللغات، إلا انه يظل لكل لغة خصوصيتها فى تداول هذه القواعد وممارستها بالفعل.

١٢- حرص البحث على الجمع بين قواعد النصيين وأقوال القدماء فى دراسة بعضها، فأضاف إلى تناول المحدثين ما ورد ذكره عند القدماء؛ ومن ذلك عنصر التفصيل بعد الإجمال فى إطار التكرار. والربط المعنوى دون الأداة فى النعت والإسناد فى إطار عنصر الربط ضمن عناصر السبك النحوى.

١٣- أضاف البحث إلى عناصر السبك النحوى عنصر (التحديد) التعريف والتنكير؛ وذلك بالرغم من أن أكثر النصيين لم ينصوا عليه. كما لفت البحث إلى نمط آخر من أنماط التكرار اختصت به العربية هو (التكرار التركيبى)، حيث يميل المخاطِب إلى توجيه خطابه فى شكل جمل متناسقة تركيبيًا، وقد أُثبِت ذلك من خلال نصوص الخطابة النبوية.

١٤- بيَّن البحث أن وصف وتحليل نصوص الخطابة النبوية وسَّع فى إضافة قواعد جديدة فى الأصول النظرية، ومن ذلك الحذف حيث حصره النصيون فى (حذف الاسم والفعل والعبارة). على حين أثبت التطبيق حذف الحرف والحركة وأكثر من جملة من خلال السياق.

١٥- اتفق القدماء من علماء العربية والمحدثون من النصيين على جعل الإحالة

بالتبعية من عناصر السبك النحوى سواء أكانت فى المفردات أم الجمل. وقد أثبت البحث توافرها أيضًا فى النص بأكمله.

١٦- أثبت البحث أن الإسناد خاصية دلالية تعتمد على كل جملة مكونة للنص فى علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى.

١٧- اتفق القدماء والمحدثون فى جعل التكرار من عناصر السبك المعجمى، حيث يؤدى إلى تكرار اللفظ ذاته أو بمعناه أو بلفظ شامل أو عام له أو بالتفصيل أو بالتكرار التركيبى؛ ومن ثمَّ يعد سلسلة من أوجه إعادة الصياغة المتكافئة نصيًا، أى المتساوية بالنسبة لسياقاتها الواردة فيها، فهى ذات طبيعة مشابهة فى التحديد إذ يمكن أن تعد محددات لمحدد واحد هو موضوع النص.

١٨- تناول البحث عنصر المصاحبة اللغوية، والمتمثلة فى الجمع بين أزواج من الألفاظ يحتم وجود أحدها وجود الآخر، فعرض لعلاقة التضاد فى المفردات والتراكيب، وعلاقة التدرج التسلسلى المرتب، وعلاقة الجزء بالكل والجزء بالجزء، هذا بالإضافة إلى علاقة الصنف العام، وهو اللفظ الذى يجمع عدة ألفاظ، وعلاقة التلازم الذكرى، وهذه كلها عناصر معجمية تضافرت مع غيرها من العناصر النحوية؛ فعملت على سبك النص وتلاحمه.

# المصادر والمراجع العربية


١- د. الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٢- د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبى عند العرب، ط٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م.

٣- د. أحمد زكى صفوت: جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٤- د. إلهام أبو غزالة، على خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفجانج دريسلر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

٥- د. إيناس حسين محمد: الخصائص اللغوية فى الخطابة الدينية فى العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م.

٦- أبو بكر الباقلانى: إعجاز القرآن، تحقيق الأستاذ أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٤م.

٧- الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، د.ت.

٨- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م.

٩- د. حسنى عبد الجليل يوسف: إعراب النص، ط١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م.

١٠- الرضى: شرح الكافية فى النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦- روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.

١٢- زتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه د. سعيد بحيرى، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م.

١٣- ستيفن أولمان: دور الكلمة فى اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٤- د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرى، دراسة فى قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ط١، م١٠، عدد ١، ٢، يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م.

١٥- د. سعيد بحيرى:

١- مقال/ من أشكال الربط فى القرآن الكريم ضمن مجموعة مقالات مهداه للعالم الألمانى فيشر، إشراف د. محمود فهمى حجازى، ط مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة ١٩٩٧م.

١٦- سيبويه: الكتاب، تحقيق الشيخ عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٧- السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٨- د. صبحى إبراهيم الفقى: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكية، ط دار قباء، القاهرة، ج١، ٢، ٢٠٠٠م.

١٩- د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م.

٢٠- د. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.

٢١- د. عبد الجليل شلبى: الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٢- عبد القاهر الجرجانى: دلائل الإعجار، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠م.

٢٣- د. عبده الراجحى: فقه اللغة فى الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م.

٢٤- فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصى، ترجمه د. فالح بن شبيب العجمى، ط جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م.

٢٥- القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى، ط مكتبة الأزهر للتراث، ١٩٩٣م.

٢٦- د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ط دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٦م.

٢٧- مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.

٢٨- د. محمد خطابى: لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب، ط المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٩١م.

٢٩- د. محمود أحمد نحلة: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التونى

للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

٣٠- د. نادية رمضان النجار: مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت الشاطئ، مجلة علوم اللغة، عدد ٢١، مجلد ٦، ٢٠٠٣م.

٣١- ابن الناظم: شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٣٢- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المدني، د.ت.

٣٣- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م.

## المراجع الأجنبية

34- Baalbaki, Ramzy Mounir: Dictionary of Linguistics Terms Beirut, 1990.

35- David Crystal:

1- An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, Benguin Books, 1992.

2- A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Bacil Blackwell Publishers, 1993.

3- The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987.

36- Halliday and R. Hassan: Cohesion in English, Longman, London, 1976.

رقم الإيداع ٦٨١٥

